
أدب بوليسي
من تحقيقات محمد حميد
من تجارب د.يحيى فهيم
محمد حسن
t.me/twinkling4

# من
# تحقيقــات
# مـحـمــــد
# حَـمـيـــــد

(من تجارب د. يحيى فهيم)

تأليف:

محمد حسن
٢٧٠٦٠٩٠٢٩٤

كُتبنا
KOTOBNA

من تحقيقات محمد حميد: محمد حسن

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/١٩٣١٣
ردمك: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٠-٨٦٣-٢

إن منصة كتبنا للنشر الشخصي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن آراء المنصة والعاملين فيها.
تم تجهيز هذه النسخة بواسطة: أشرف غالب.
الحقـوق محفوظـة ولا يسـمح بإعـادة إصـدار الكتـاب أو أي جـزء منـه، أو تخزينـه فـي نطـاق اسـتعادة جميـع المعلومـات، أو نقلـه بـأي شـكل مـن الأشـكال بـدون إذن سـابق مـن الناشـر.

وسائل التواصل مع الدار:
الإيميل info@kotobna.net
الموقع https://kotobna.net/en
الفيسبوك
https://www.facebook.com/kotobnabooks/
٢٧٠٦٠٩٠٣٩٤

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَــاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ترتيب وتصميم: **أشرف غالب.**

t.me/twinkling4

# إهداء

إلى من شجعتني للعودة للكتابة ووعدتها في لقائنا الثاني منذ ست سنوات أن أهديها أول عمل ورقي لي وها قد صنعناها سويًا.

إلى زوجتي

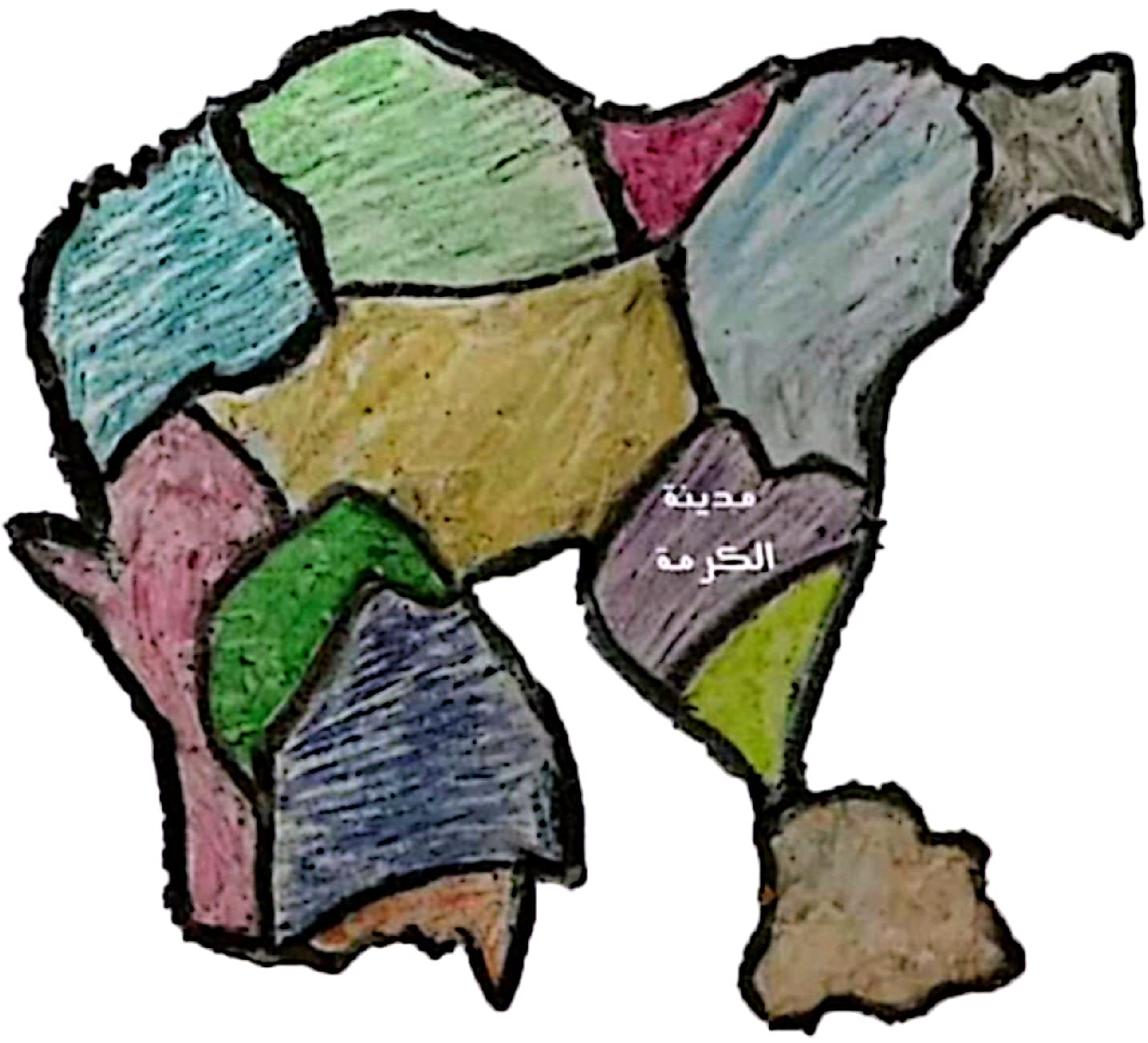
إلى من قرأَتْ كتاباتي البدائية منذ اثنتي عشرة سنة، وما إن انتهت من القراءة جاءتني قائلة «هنتجهالك».

إلى أمي

إلى صديقتي وابنتي.

# تنويه

هذا العالم من وحي الخيال، الشخصيات والأحداث والأماكن من دولة ومدن تم إنشاؤها من قِبَل المؤلف وهي خيالية لا تمتُّ الواقع بصلة، لذا فإن أي تشابه في الأسماء أو الأحداث أو الأماكن هو من قبيل الصدفة، لذا وجب التنويه.




تدور أحداث الرواية داخل مدينة (الكرمة) بدولة (دونسيار).

# (١)

# إنفلونسر

جامعة الحياة - المدينة الجامعية

تظهر إحدى الفتيات في غرفتها الخاصة داخل المدينة الجامعية وقد بدأت بثًا مباشرًا لمتابعيها، لم يكن المقطع المذاع عاديًا أبدًا، فلقد كان بثًا حيا لانتحارها.

إحدى ليالي ديسمبر الممطرة، كانت السماء ملبدة بالغيوم الشديد فقد تحوَّل النهار ليلًا حينها، لم تتوقف السحب عن إنزال الأمطار لعدة ساعات حتى بدأت السماء بعدها تعود لصفائها الطبيعي بيد أن موجة الصقيع التي خلَّفها المناخ كانت قوية جعلت الجميع يلزم البيوت لا يخرجون إلا لأمر جلل، لكن في ذلك اليوم كانت كل المدينة الجامعية بجامعة الحياة بالخارج تشاهد ما حدث.

كانت الفتاة تمتلك مئات الآلاف من المتابعين وقد أطلقت على نفسها «إنفلونسر» أو «بلوجر»، حيث تقوم بنشر تفاصيل حياتها الشخصية لمتابعيها يوميًا وتشاركهم معظم أو كل تفاصيل حياتها وذلك في مقابل زيادة شهرتها وزيادة عدد متابعيها والحصول على رعاة يقدمون بعض المنتجات لها في مقابل الترويج لبعض منتجاتهم.

كانت تلك الفتاة هي حديث مواقع التواصل لمدة كبيرة نظرًا لنوعية الفيديوهات التي تنشرها، حيث كانت تقوم بنشر العديد من الفيديوهات الجريئة لها وأيضًا تتحدث في بعض المواضيع الشخصية للغاية التي تثير المتابعين وتجلب العديد من المشاهدات، وبالرغم من شدة الانتقادات التي كانت تُوجَّه لها إلا أنها كانت تعلم أن ذلك هو ما يزيد أعداد المتابعين لها، بل بالعكس فقد كانت تتفنن في إثارة الآراء دائمًا، وكلما زادت الأمور الخارجة زادت المشاهدات والمتابعون وكان ذلك هو رغبتها الأولى، ولكن بعد فترة وبعد شهرتها الكبيرة اللافتة للنظر، تم تضييق الخناق عليها وتم إخبارها أنها إن

استمرت في ذلك الطريق، سيكون السجن هو مستقبلها، وتم إخبارها بمثيلات لها وبما حدث لهنَّ عندما تمادَيْنَ فيما يقدمنه من فيديوهات مبتذلة مليئة بالإيحاءات والأغراض المنافية للأخلاق والمجتمع، حتى إنهم هددوها بالطرد من المدينة الجامعية إن نشرت أي فيديو آخر يحمل شيئًا خارجًا، وبالنظر إلى أنها كانت يتيمة الأب والأم فكانت المدينة الجامعية هي المكان الوحيد المتاح لها.

بعد كم الضغوطات التي تعرَّضت لها الفتاة وكمية الاتهامات التي وُجِّهت لها والاستدعاءات التي طُلبت فيها في فترة قصيرة جعلتها تتراجع عما تقدمه ومعها تراجعت مشاهدات المتابعين لها وقلَّ عدد المتابعين بالرغم من أنها ظلَّت تقدم فيديوهات أخرى بمحتوى مختلف، ولكنها ليست كسابقتها، شعرت الفتاة بأن كل شيء ينهار من حولها وأن شهرتها قد انخفضت ولم يعد هنالك من ينظر لها بإعجاب أو تلهف مثلما كان يحدث لها سابقًا بل إن حتى الفتيات التي كانت تتهافت أن تتشارك معها الغرفة، لم يعد هنالك فتاة واحدة توافق أن تمكث معها ولو لليلة واحدة بعدما ذاع أنها ليست على خلق حَميد، هنا فكرت الفتاة بأمر ينهي مشاكلها.

بدأ البث المباشر لها، وحينها لم يكن هنالك الكثير يشاهدون، ولكن عندما بدأت الفتاة في التحدث قليلًا وشرح نواياها حتى بدأت الأرقام في ازدياد شديد، لقد كان فيديو تعلن فيه إقدامها على الانتحار، وبالفعل كانت قد جهَّزت كل شيء في غرفتها وقد ظهر خلفها حبل قد أعدَّته لشنق نفسها، وقد علَّلت انتحارها بأنها قد ملَّت من الحياة، آراء الناس وأحكامهم عليها ونظراتهم لها، ومن كلمات الشباب الجنسية عليها في وجهها دون أن تجد من يردعهم أو يحميها، بل بمجرد أن يتعرفوا عليها تتحول النظرات إليها إلى نظرات استحقار واشمئزاز، بالرغم أنها تعلم أن من هؤلاء الشباب من كان يتابعها ويتمنى مقابلتها لالتقاط صورة معها، أما الآن فهي تعيش أيام تعسة للغاية، ولم يكن هنالك أحد يساعدها في التخلص من تلك المشاكل، لذلك فقد قررت أن تقوم

بتخليص نفسها من عناء كل ذلك وشنق نفسها.

كان ذلك خلال دقائق قليلة، وبالفعل ازدادت أعداد المشاهدة بطريقة غير طبيعية، وحينها تقدَّمت الفتاة لتصعد الكرسي في منتصف الغرفة وتضع رأسها في حلقة الحبل وهي تنظر إلى الكاميرا وتذرف الدموع من عينيها، كل ذلك وأعداد المشاهدة الحية تزداد بشكل خرافي وتزداد التعليقات على البث، منها تعليقات تدعوها للرجوع عما ستفعله، وتعليقات أخرى ما زالت تقوم بسبها وتوجيه الاتهامات إليها، ولكن الفتاة لم تنتظر كثيرًا، وحينها أزاحت الكرسي برجلها ليقع وبدأت تتلوَّى والحبل يعتصر قصبتها الهوائية، بينما تحاول أن تتراجع عمَّا تفعله، ولكنها لم تجد مفرًّا، كانت تتحرك كثيرًا وتمد يدها محاولة تخليص رقبتها، ولكنها لا تقوى على فعل ذلك، ظلَّ الحبل يعتصر رقبتها أكثر فأكثر، حتى قلَّت حركتها شيئًا فشيئًا، وبدأت تتراخى يداها وجسدها ينتفض ثم ظلت ساكنة، ظَلَّ الحبل يمرجحها في الهواء قليلًا حتى توقَّفت تمامًا وقد خرجت الروح من جسدها، وظلَّ البث مستمرًا وظلَّ المشاهدون يتوافدون عليه بالملايين وقد تغيَّرت أغلب التعليقات حينها يتساءلون هل ما حدث حقيقي، وهل قامت بالانتحار فعلًا أم لا ؟ظَلَّ البث مستمرًا حتى تم دخول أفراد أمن المدينة الجامعية إلى غرفة الفتاة بعدما تم فتح باب غرفتها بواسطة مفتاح الأمن الإضافي، تم إنزالها على الأرض وتوجَّه مشرف الأمن إلى الهاتف الذي ما زال يبث الأحداث وحينها قام بإطفائه، طلب أحد المشرفين بالمدينة الجامعية من إحدى طالبات كلية الطب المقيمات بالمدينة الدخول إلى الغرفة للتأكد من وفاة الفتاة، وهو بالفعل ما أكدته الطبيبة التي بدا عليها التوتر الشديد بعدما رأت الفتاة المتوفاة، وهنا قام المشرف بإبلاغ كل الجهات المختصة.

تقف خارج الغرفة كل فتيات المدينة الجامعية يحاولن سرقة النظرات للوصول لزميلتهن والتأكد مما حدث، ولكن الأمن منع دخولهن، ولم يمض الكثير حتى وصل أفراد الشرطة والمباحث والإسعاف للمكان وبدؤوا عملهم.

لم تلبث الشرطة الكثير بالمكان بعدما رأت فيديو الفتاة المسجل وتأكدت أنها انتحرت، لذا فإن مهمتها لم تدم كثيرًا وستحوِّل تقريرها إلى مكتب كبير القضاة، ولكن زيارة ثقيلة من شخص غير محبوب قد غيَّرت مجرى التحقيقات قليلًا، فلقد وصل المقدم (محمد حَميد).

ما إن دخل (حَميد) المكان متكئًا على عكازه ذي المقبض البلاستيكي الأزرق الذي لا يناسب سنه وقبعته البيرية قديمة الطراز وملابسه غير المهندمة التي لا تناسب عمله كضابط في إدارة البحث الجنائي ويسبقه طفل صغير لا يتعدى عمره الخمس سنوات يرتدي «تيشرت» أصفر فاقع اللون وشورت أخضر قصير ويمسك بيده لعبة صغيرة، حتى تقدَّم إليه أحد ضباط البحث الجنائي متجهِّمًا ليتحدث معه بصوت خفيض:

خير يا باشا، القضية انتحار وعاينَّا المكان ومستنيين وكيل كبير القضاة ييجي عشان نخلص ونمشي.

لم يُعِر (حَميد) أي اهتمام لما قاله الضابط وتقدَّم إلى الغرفة يسير وراء الطفل ينظر له عن كثب، كانت الغرفة تحوي سريرين أحدهم يخص الفتاة وكان ذلك واضحًا من أغراضها الشخصية الموجودة عليه، أما الثاني فيبدو أنه لم يُستخدم لفترة طويلة، فقد وُضعت عليه بعض علب الطعام القديمة التي لم تُرمَ وبعض الملابس المتسخة التي تخص الفتاة، أما باقي الغرفة فلم يكن هنالك شيء سوى دولاب حديدي كبير يقبع في أحد أركان الغرفة، ونافذة صغيرة قد تجمَّع الغبار عليها لعدم استخدامها، وأسفلها توجد أغراض الفتاة التي كانت تستخدمها للتصوير وإعداد الفيديوهات الخاصة بها، موضوعة على مكتب خشبي قديم، وهو حيث قامت الفتاة ببث فيديوهاتها، كانت الغرفة تبدو أنها غير منسقة وأن أثاثها ليس له صلة ببعضه البعض، ظَلَّ (حَميد) يتأمل الغرفة وما زال يتبعه الضابط وهو يستشيط غضبًا، ولكنه احتفظ بصوته الخفيض المكتوم وهو يحدث (حَميد):

(حَميد) باشا من فضلك، دي قضيتي أنا، فبلاش نظريات فلسفية هنا، الموضوع خلصان.

ما زال (حَميد) مستمرًا في تفحُّص الغرفة جيدًا حتى توقَّف الطفل أمام هاتف الضحية وأشار إلى (حَميد) فاتجه إلى فني الأدلة الجنائية وأخذ منه أحد القفازات المطاطية ليرتديه متوجِّهًا إلى هاتف الضحية يمسكه، وهنا أوقفه الضابط ممسكًا بيديه وهو يستشيط غضبًا منه:

مش معنى إن معالي الوزير سامح لك أنك تدخل مواقع التحقيقات أنك تتلف الأدلة.

نظر إليه (حَميد) وهو ينظر إلى يديه وكأنه يخبره أن يتركه، وبالفعل تركها الضابط، فاقترب (حَميد) من الضابط قائلًا:

مكانتش لوحدها في الأوضة.

تسمَّر الضابط في مكانه، ولكنه تدارك نفسه سريعًا وهو يلحق بـ (حَميد) الذي أخذ الهاتف متجهًا نحو الفتاة، ولكن الضابط بدأ صوته يرتفع:

يا باشا ارحمنا من نظرياتك دي، هات التليفون واتفضل اخرج برة.

علم (حَميد) أنه لن يستطيع إكمال ما أتى له فقام بإخراج علبة دواء من جيبه وابتلع منها حبة، ثم أخرج هاتفه وقام بإجراء مكالمة هاتفية على إثرها تلقَّى الضابط مكالمة تأمره بترك حرية التصرف للمقدم (محمد حَميد) في موقع الجريمة، وبالفعل ذلك ما حدث وتولَّى (حَميد) زمام الأمور.

أمسك (حَميد) بهاتف الفتاة واتجه نحوها موجِّهًا إياه إلى وجهها لينفتح وسط اندهاش كل من بالغرفة لما يفعله ذلك الشخص، جلس وبجانبه ذاك الطفل يبحثان داخل هاتفها لفترة من الوقت حتى انتهيا، ليقوم (حَميد) بتشغيل الفيديو التي بثَّته الفتاة مسبقًا ويقوم بتقليده حيث جلب كرسيًّا آخر وبدأ في تجسيد ما كان قد حدث ثم انتهى مما يفعله وخرج من الغرفة وهو يطيل النظر إلى ذلك الجنش المثبت في سقف الغرفة والذي استخدمته الفتاة لتعلق الحبل الذي شنقت به نفسها، خرج (حَميد) ومعه الطفل وأخذا يتفحصان كل الفتيات اللاتي تجمَّعن في الخارج لمعرفة ما يحدث ولماذا قد طالت مدة

التحقيق.

يقف (حَميد) والطفل بالخارج ليشير الطفل بوجهه إلى إحدى الفتيات لينظر لها (حَميد)، شعر بقلقها وضربات قلبها المتزايدة، وكلما ازداد وقت مكوث الشرطة بالداخل زاد توتُّرها واضطرابها الذي يفضحها وسط زملائها، يبدو عليها الذكاء، ولكن خوف النساء دائمًا ما يفضحهن ويغلبهن، فوجب عليه أن يُحسِن التفكير ويبدأ في ترتيب الأحداث داخل رأسه أولًا منتظرًا اللحظة المناسبة للانقضاض.

توقف (حَميد) ليسأل بعض الفتيات عن أصدقاء الفتاة المتوفاة وكيف كانت تقضي وقتها، ولكنه لم يجد إجابة واضحة، فالكل كان يتجنَّبها ولا أحد كان يحاول مصداقتها وأنهنَّ لم يرين أحدًا يتحدَّث إليها منذ قضية التشهير والمشاكل التي وقعت لها، حتى إنهنَّ لم يرين أحدًا يدخل غرفتها أو يتحدث إليها، وكلما اقتربت هي من غرفة أحدهن كن يردعنها ولا يقبلن استضافتها، فقد كانت منبوذة من الجميع بالفعل.

طلب (حَميد) مقابلة مشرف الأمن لسؤاله بعض الأسئلة حول المدينة الجامعية وساكنيها، وبالفعل لم يتأخر المشرف وحضر سريعًا، وكان استفسار (حَميد) عن كاميرات المراقبة داخل المبنى، فقد لاحظ أن هنالك كاميرات خارجية تعمل، ولكن نظيرتها بالداخل لا تعمل، فكان رد المشرف بأن الكاميرات الداخلية لا تعمل منذ مدة بناء على طلب الفتيات وهن من طلبن ذلك وتم الموافقة على ذلك الأمر وتم إيقاف الكاميرات الداخلية والاكتفاء بالكاميرات الخارجية للمراقبة، هنا انتقل (حَميد) للاستفسار عن مفاتيح غرف الفتيات وعن إمكانية استنساخها، وقد كان رد المشرف أن هنالك ثلاث نسخ دائمًا لكل غرفة اثنان لمن يقطن بالغرفة والأخير يتواجد بغرفة الأمن دائمًا ولا يخرج إلا بتعليمات، أما في حالة الفتاة المتوفاة فقد كان هنالك مفتاح واحد فقط بالخارج والمفتاحان الآخران لدى الأمن وهو ما تأكد منه بنفسه عندما أُعطي المفتاح لفرد الأمن ليفتح غرفة الفتاة بعد انتحارها، أما عن فكرة استنساخ المفاتيح فقد استبعد ذلك الأمر فقد كانت المفاتيح قديمة

ذو زخرفة فريدة وصعبة الاستنساخ ولم يعد أحد يصنعها إلا شخص واحد ويتعامل مع مشرف الأمن نفسه عند طلب استنساخ أحد المفاتيح وقد ظلوا يستخدمون تلك المفاتيح القديمة لزيادة الأمن لدى الفتيات لتقليل عمليات السرقة وأيضًا حفاظًا على أرواحهن، ولكن الحقيقة هي عدم الرغبة في تكبد تكاليف إضافية في تغيير كل مفاتيح غرف المدينة الجامعية لما هو أحدث. كان سؤال (حَميد) الأخير لمشرف الأمن هو عن مكان غرفة إحدى الفتيات التي تقف منتظرة الشرطة أن تنهي عملها في غرفة الفتاة، وما إن أخبره المشرف حتى تمشَّى (حَميد) والطفل حتى وصلا إلى الدرج وجلسا بجوار بعضهما البعض وبدآ يسردان تخيُّلًا لما قد حدث للفتاة.

يظهر أمام (حَميد) والطفل صورة حية للغرفة وبها الضحية تتحرك بشكل طبيعي وكأنها تمارس حياتها الطبيعية وبجانبها (حَميد) والطفل يتابعانها بحرص، حينها قامت الفتاة بتشغيل مسجل الفيديو وبدأت البث المباشر.

«في بداية الفيديو الذي تم بثه من قِبل الفتاة، تظهر الضحية وهي تستدير لتجلس على الكرسي، أوقف (حَميد) الحركة في الغرفة ليقترب من رقبة الفتاة حيث اكتشف عليها علامات السحجات كمثل التي يسببها الحبل التي قد شنقت نفسها به، كان هذا أول دليل على أنها قد قامت بتجربة الحبل مسبقًا منذ فترة قليلة، وأيضًا هذا يقلل من احتمالية انتحارها؛ فالمنتحر لن يقوم بتجربة الأمر قبل فعله، أما الأمر الثاني هو زاوية الكاميرا التي صُوِّر بها الفيديو، في جميع الفيديوهات السابقة للفتاة التي صوَّرتها في غرفتها والتي نشرتها على قناتها على وسائل التواصل الاجتماعي كان باب الغرفة يظهر واضحًا مع ثبات الكادر كل مرة لا يتغير، ولكن في هذا البث تم تغيير زاوية الكاميرا بحيث لم يظهر الباب في الكادر تمامًا، وهو ما عزز احتمالية وجود شخص آخر معها في الغرفة يكون قريبًا منها للغاية لحظة التصوير، وأيضًا كان من المفترض أن يقوم هذا الشخص بإنقاذها مثلما تم في البروفة السابقة، ولكن ذلك لم يحدث، عندما قامت الضحية بدفع الكرسي وبدأ الحبل

يعتصر رقبتها لم تبدِ أي ردة فعل لأنها تعلم أن منقذها موجود، ولكن لم تمر ثوانٍ إلا واتجهت بنظرها بقوة باتجاه الباب وكأنها تنظر إلى أحد، هنا أوقف (حَميد) حركة الغرفة مرة أخرى ليوجِّه نظره إلى الباب يحاول تفسير رد فعل ذاك الشخص، حينها بدأت ردة الفعل التشنجية للضحية وعدم القدرة على التنفس، تركها ذاك الشخص وخرج من الغرفة وأغلق الباب بالمفتاح وتركها تموت، حينها بدأت محاولاتها اليائسة في إنقاذ نفسها، ولكن دون جدوى.

كان أكبر الشك في تلك الفتاة التي كانت آخر محادثة هاتفية بينها وبين الضحية والتي كان بينهما العديد والعديد من الاتصالات الهاتفية، وبالتدقيق في المحادثات بينهما على وسائل التواصل الاجتماعي لم يكن هنالك أي حديث سوى رسالة واحد متبادلة بينهما عبر الماسنجر وقد أجابت فيها الفتاة على الضحية بعبارة «كلميني واتساب»، وبالرغم من ذلك لم يكن هنالك أي محادثات بينهما عبر الواتساب، ولكن الأكثر غموضًا هو وجود مزامنة بين واتساب الضحية ومتصفح سفاري الخاص بأجهزة الماك بالرغم من عدم استخدام الضحية لأي من أجهزة شركة أبل، وهو ما كان واضحًا من الأجهزة المستخدمة في الغرفة، أما الأمر الذي يثير الريبة هو أن ذلك الجهاز المتزامن كان نشطًا بعد عملية شنقها بـ ٤ دقائق فقط، أي أن هناك من تعمَّد الدخول للواتساب الخاص بالضحية بعد وفاتها، وبالتأكيد كان لمسح محادثة خاصة، وفي الغالب كانت مع تلك الفتاة التي تحمل هاتف الآيفون وتحيط ساعة أبل وتش معصم يدها، فمن المرجح أن يكون جهاز الماك هو الذي في غرفتها.

ولكن مع كل تلك الأمور فلا يوجد دليل ملموس على تلك الفتاة بعدما تأكد توقف الكاميرات داخل مبنى المدينة الجامعية، لذا لم يعد هناك دليل سوى العثور على المفتاح بحوزتها، فهي من قامت بإغلاق الباب على الفتاة، ولكنها بالتأكيد قد أخفته بمكان صعب الوصول إليه، لذا كان عليه أن يقوم بجعلها هي من تجلبه إليه».

تيقَّن (حَميد) بأن المفتاح سيكون دليلَ إدانة تلك الفتاة وليس عليه إلا إيقاعها في خطأ بسيط.

توجه (حَميد) إلى الخارج مجددًا وبدا أنه يتحدَّث في الهاتف، وهنا بدأ يعلو صوته ليُسمِع تلك الفتاة بما يقوله:

آه يا أفندم، قضية انتحار واضحة.. بس بندور على مفتاح الأوضة بتاعتها عشان ده دليل قوي في القضية، ممكن تكون رمته من الشباك في الحديقة.. هبعت العساكر يمشطوا المكان ومش هنرجع إلا بيه يا أفندم، بس متقلقش أول ما نلاقيه هيبقى مفيش أي شبهة جنائية وممكن ننشر ده للإعلام على مسؤوليتي.

كان كلامه واضحًا وصريحًا أمام الفتاة التي سمعته وتغيَّرت ملامحها، وحينها قامت بالتحرك من مكانها ولأول مرة منذ قدوم الشرطة متَّجهة إلى غرفتها التي كان يعرفها (حَميد) بعدما سأل أحد أفراد الأمن عنها وتأكد أنها لن تستطيع رمي المفتاح في الحديقة من غرفتها، فهي في الجهة المقابلة لغرفة الضحية، وهنا تم نصب الكمين.

دخلت الفتاة غرفتها ولم تمضِ الكثير حتى كادت تخرج لتجد أمامها (حَميد) وفردين من الشرطة فذُعِرَتْ بشدة وخرجت منها صرخة شديدة جعلت كل من بالمكان يتجه بأنظاره إليها، هنا تحدَّث (حَميد) بصوت رخيم وكأنه يعلم بأن خُطته نجحت، لكنه لم يقُم بخطوته الأخيرة بعد ولن يقوم بها إلا بعد القليل من الإثارة في المكان، فقد كان يمسك بهاتفه وأخذ يكتب رسالة ما وضغط إرسالًا ليدوي صوت استلام رسالة من جهاز الماك بالداخل، حيث لم تقم بإلغاء المزامنة بهاتف الضحية، وهنا ابتسم (حَميد) وهو يقلب الشاشة ليريها للفتاة ويخبرها:

عارفة ده رقم مين؟ أعتقد إنتي عارفاه كويس.

لم يُرِد (حَميد) أن يقوم قسم البحث الجنائي بتفتيش الفتاة لأنه يعلم ألاعيب المحامين وقد يسقطون القضية لتفتيشها دون إذن مسبق، ولكنهم في المقابل داخل السكن الجامعي والطلاب يخضعون لقوانينه التي أقروا بها عند انضمامهم

للجامعة والتي تُمكِّن أفراد الأمن الجامعي أن يفتشوا الطلاب المتواجدين وغرفهم في أي وقت ودون إذن مسبق.

وهنا نظر (حَميد) إلى أحد أفراد الأمن من الفتيات التي تقدَّمت لتقوم بتفتيش الفتاة التي استسلمت تمامًا لها وأخذت الدموع تنهال من عينيها حتى أخرج المفتاح من أحد جيوبها، وكان ذلك وسط كل زميلاتها وهن مندهشات لما يحدث، فأخذه (حَميد) وتأكَّد من أنه مفتاح غرفة الضحية، وهنا سقطت الفتاة والدموع تنهمر من عينيها وهي تقول بصوت متقطع:

كان لازم أنتقم لأخويا من اللي عملته فيه.

كان ذلك الأمر لا يعني (حَميد) في شيء، فقد جلب عكازه ومتعلقاته وهمَّ بالرحيل وخلفه الطفل الذي بدأ مجددًا يلعب بلعبته، كان ذلك وسط نظرات الطالبات له وهو يسير غير مهتم بأي شيء سوى أن نظرياته ما زالت صائبة.

## (٢)

# صُنع في..

يجلس (حَميد) بمكتبه في أحد أقسام الشرطة بمدينة (الكرمة)، كان مكتبه مشتركًا مع عدد من ضباط البحث الجنائي الآخرين، ولكن مكتبه كان مختلفًا عنهم بالتأكيد، فقد كان مكتبه هو الوحيد الموجود في الزاوية البعيدة المنطوية عن باقي المكاتب، هم من وضعوا مكتبه هناك، فهم يعلمونه جيدًا ولا يريد أحد أن يتعامل معه أبدًا أو التواصل معه بأي وسيلة كانت، كانوا يعتبرونه أنه غير موجود معهم بالمكتب، بل في بعض الأوقات كانوا يطلقون النكات والمزاح السخيف عليه وفي حضوره، لم يكن (حَميد) يعير لذلك أهمية ولم يؤثر به الأمر مطلقًا، فقد كان يعطي كل اهتماماته للقضايا التي تثير انتباهه، لم يكن يتولَّى قضية يراها سهلة أو نمطية تلك التي تدفعه إلى الدخول في سجال بدني أو عنيف مع مجرم؛ لأنها تنتهي سريعًا بسقوط المجرم حيث يكون في النهاية ومن وجهة نظر (حَميد): مجرم غبي يفتقر لأبسط مميزات البشر وهي استخدام العقل، بيد أنه كان يحب قضايا الألغاز، القضايا التي يبذل فيها المجرم بعض المجهود حتى يبعد عنه الأنظار، ولكنه يا للأسف نادرًا ما كان يجد تلك القضايا، معظمهم كانوا نمطيين للغاية، وإن حاول المجرم التفكير قليلًا فإنه لن يستمر كثيرًا ثم سيسلك أسلوب العنف في الأخير، وحينها يجد (حَميد) نفسه ملولًا ولا يستكمل التحقيق بالقضية.

جاءت تلك القضية التي حدثت فجر اليوم لتجذب انتباه (حَميد)، بالرغم من أن كل زملائه لا يشركونه في قضاياهم ولا يحبون أن يشتركوا معه في أي تحقيق، إلا أنه جلوسه معهم في غرفة واحدة قد جعلته يسمع منهم بعض القضايا، حتى إنه كان يحضر معهم بعض التحقيقات، كان ذلك رغمًا عنهم وليس حبًّا منهم في اطلاعه على شيء، فهم يعلمون أسلوب حديثه معهم أو قد حُكي لهم عن من هو (محمد حَميد) وأسلوبه المنفر مع زملائه، فهو يعتبرهم كلهم أنهم يحتاجون إلى إعادة

تأهيل حيث تنقصهم الفطنة والذكاء للتواصل معه فهم أقل منه لدرجات ودرجات، يشعر بالضيق كلما طالت النقاشات والجدالات غير المثمرة معهم، لا تستمر محادثة معه أكثر من ٥ دقائق ويكون الطرف الآخر قد امتلأ غضبًا من (حَميد) فإما يوبخه بأبشع الألفاظ إن كان شخصًا عدائيًا، أو أن ينسحب من الحوار بأدب ولا يتحدث معه مجددًا إن كان ذاك الشخص على خُلق.

كانت القضية تتحدث عن مقتل الحاج (محمود المهدي) صاحب أكبر شركات استيراد الأجهزة الإلكترونية الحديثة المصنعة في الصين، كانوا يعتبرونه وحش العلامات التجارية الصينية اقتصادية السعر، وجدوه مقتولًا في مكتبه في الساعات الأولى من صباح أحد أيام العمل الرسمية، حيث سمع عامل النظافة والأمن صوت طلق ناري صادر من داخل مكتبه، وما إن دخلا حتى وجداه جثة هامدة.

سرد أحد الضباط المسؤول عن القضية عمًّا قد جمعه من معلومات عن الجريمة، ما إن سُمع صوت الطلق الناري كان عامل النظافة هو أقرب شخص لمكتب الحاج (محمود) وقد تبعه عامل الأمن يحاولان الدخول فوجدا المكتب مغلقًا، فأسرعوا إلى المهندس (طارق) وهو المسؤول عن إدارة شركات الحاج (محمود) والذي سمع صوت الطلقة أيضًا وخرج من مكتبه يستفسر عن سبب الصوت ليجد عامل النظافة يركض باتجاهه يطلب نجدة الحاج (محمود)، فجلب المفتاح حيث كان لديه نسخة من مفاتيح المكتب، حاول (طارق) فتح الباب بالمفتاح، ولكنه لم يستطع، فقد كانت هناك نسخة أخرى من المفتاح في الباب من الداخل، حينها طلب (طارق) من الجميع أن يساعدوه في كسر الباب، وبالفعل ظلُّوا يضربون الباب حتى انكسر وفُتح ليجدوا الحاج (محمود) مصابًا بطلق ناري في الصدر وفارق الحياة بسببه والخزينة بجواره مفتوحة على مصراعيها وبجوارها بعض من فئات النقود المختلفة المكرمشة ونافذة المكتب الجانبية مفتوحة أيضًا.

وصلت الشرطة بعد فترة قصيرة وبدأت التحقيقات، وبسؤال كل من كان موجودًا بالمكان توصلوا إلى أن الحاج (محمود) هو شخص محبوب للغاية ليس له أي أعداء أو خصوم قد ترغب بأذيته وقد كان رجلًا خيِّرًا معروفًا بالمعاملة المحترمة والطيبة مع الجميع، كما أنه لم يكن له أولاد أو أقارب يعرفونهم، حتى زوجته قد تُوُفِّيَت منذ سنوات وظَلَّ وحيدًا من بعدها واتجه حينها إلى الإنفاق على الأعمال الخيرية بكثرة.

يوم وفاته كان من المفترض أنه اليوم التقديري للكُهْنَة، حيث كان يقوم الحاج (محمود) بشراء أجهزة إلكترونية كُهْنَة من العديد من الجهات المختلفة ويقوم بعرضها على تجار لإعادة تدويرها واستخدامها مرة أخرى بأسعار زهيدة، يحدث ذلك الأمر غالبًا كل بضعة أشهر بالتنسيق مع الحاج (محمود) والتجار الآخرين والمهندس (طارق) مدير شركات الحاج (محمود).

كان الاجتماع ليلًا واستمر طوال الليل حتى قارب الليل على الانتهاء، وطلب الحاج (محمود) أن ينهي الاجتماع ليستريح قليلًا ويستعد لصلاة الفجر، فقد كان يواظب دائمًا على صلاته في المسجد الذي قد بناه صدقة جارية على روح زوجته، وبالفعل انتهى الاجتماع ورحل التجار وظَلَّ الحاج (محمود) في مكتبه، ولم تمض فترة قصيرة حتى سمع الجميع صوت الطلق الناري ووجدوا الحاج (محمود) قتيلًا.

بعد التحقيقات تبيَّن أن الحاج (محمود) لم يخرج لأداء صلاة الفجر بشهادة رجل الأمن (إبراهيم) وأيضًا من يصلون معه دائمًا، وبمعرفة نوع فارغ طلقة الرصاص تبين أنها كانت طلقة عيار ٩ مم، وهو النوع الذي يصلح للعديد من الأسلحة النارية القديم منها والحديث، ووجدوا أيضًا بعض فئات النقود ملقاة على الأرض في نفس مكان النافذة التي كانت مفتوحة حيث كان مكتب الحاج (محمود) في الدور الأول علوي، وبمعاينة النافذة اتضح أنها يمكن الوصول لها عن طريق المواسير الخارجية بسهولة، وأيضًا بالبحث عن تغطية الكاميرات وُجِد أن ليس هنالك تغطية للمنطقة الخلفية

للمكتب نظرًا لقرب تلاصق المكتب مع أحد البنايات الأخرى خلفه.

تمَّت معاينة مسرح الجريمة من قِبَل ضباط البحث الجنائي وتم طلب كل من التقى بالحاج (محمود) لسماع أقوالهم والتحقيق في القضية.

كانت تلك نبذة مختصرة لما حدث في تلك القضية، فقد أخذ الضباط يحكون لبعضهم البعض ما حدث في يومهم وهم يتناولون وجبة الغذاء سويًّا داخل مكتبهم، كل ذلك ويجلس (حَميد) على مكتبه وحيدًا، ولكنه كان يستمع لما كان يُقال، ولكنه لم يكن مهتمًّا بتلك القضية إلا بعد أن حضر الأشخاص لسماع أقوالهم، وهنا تغيَّرت وجهة نظر (حَميد) وشعر بأن هنالك متعة قادمة في تلك القضية.

تمَّ استدعاء جميع التجار الذين كانوا مع الحاج (محمود)، وأيضًا تمَّ استدعاء المهندس (طارق) وعامل الأمن وعامل النظافة لاستجوابهم، وكان أول المُستجوَبين هو المهندس (طارق)، حيث إنه أكثر شخص كان يتعامل مع الحاج (محمود) ويعرف عنه الكثير، كان المهندس (طارق) ممن يهتمون للغاية بملابسه وحالة جسده وإبراز عضلاته من خلال القمصان المشدودة وأيضًا ارتداء تلك الإكسسوارات الفارهة التي تجعله كما يطلقون عليهم لقب جان، ولكنه أيضًا كان في حالة فزع تام ولم يتوقف عن البكاء منذ أن رأى الحاج (محمود) وهو مقتول، ولم يستطع تمالك نفسه رغم محاولة جميع الضباط تهدئته، حتى إن الضابط المسؤول عن التحقيق المقدِّم (حسام) قد نهض ليهدئه بنفسه وطلب له كوبًا من العصير.

توصَّلت الشرطة إلى عدة خيوط من المهندس (طارق) قد تفيدهم في التحقيق، وهو أن الحاج (محمود) قام بطرد أحد العمال منذ أسبوعين بعدما علم بسوء خلقه الشديد، كما أنه كان يقوم بسرقة الأموال من العمل، وحينها واجهه الحاج (محمود) وقام بطرده وتوبيخه، وقد علموا أيضًا أن ذلك الشخص هو مسجل خطر سرقة بالإكراه وعمليات الاعتداء

بالأسلحة البيضاء.

توالت التحقيقات بعد ذلك مع التجار وكانت كل أقوالهم واحدة ومتطابقة مع مهندس (طارق) حول ما حدث في ذلك اليوم وأنهم غادروا قبل الفجر بفترة بناء على رغبة الحاج (محمود) للاستعداد لصلاة الفجر وأنهم تفاجؤوا بما حدث له بعدما رحلوا ولا يعلمون من قد يفعل بذاك الرجل النبيل ذلك، ولكن التحقيقات استمرت مطوَّلًا مع أحد التجار وهو الحاج (بدير) الذي كان دائمًا على خلاف مع الحاج (محمود ) منذ بدايتهما سويًّا في العمل، وقد كان لهما العديد من المواقف التنافسية الشديدة سويًّا والتي كانت تنتهي بجلسات الصلح التي ينظمها الحاج (محمود) ويخرجان منها دون أي خلاف، ولكنها ذُكرت مجددًا بعد مقتله وقد ذُكر الأمر في التحقيقات وقد نفى الحاج (بدير) أن يكون له يد فيما حدث للحاج (محمود) وقد برَّرَ ما كان يحدث أنه تنافس شريف في سوق التجارة وأنه كان يحب الحاج (محمود) ويحترمه ويحترم كلمته دائمًا.

وكان آخر التحقيقات مع عامل الأمن (إبراهيم)، الفتى المتدين الذي يقف على الباب في الطابق الأرضي الذي لم يلحظ شيئًا غريبًا في ذلك اليوم، فقد حضر التجار واستقبلهم المهندس (طارق) ثم صحبهم للدور العلوي لمقابلة الحاج (محمود)، ثم بعد عدة ساعات نزلوا جميعًا ومعهم المهندس (طارق) أيضًا وودعهم قبل أن يخبره أنه سيظل في مكتبه في الطابق الأرضي قليلًا قبل أن يأتي باقي العمال إلى العمل، ولكنه بعدها انتظر الحاج (محمود) أن يخرج لصلاة الفجر، ولكنه لم يخرج، وكان الأمر غريبًا، وقد أخبر عامل النظافة بذلك عندما حضر للعمل.

أما عامل النظافة (رامي) فقد أتى إلى العمل قبل طلوع النهار مثلما يفعل كل يوم ليجعل عامل الأمن (إبراهيم) يلحق بصلاة الفجر كما أمره الحاج (محمود)، وعندما حضر أبلغه (إبراهيم) أن الحاج (محمود) لم ينزل لصلاة الفجر وهذا أمر نادرًا ما يحدث، وعللوا الأمر أنه من الممكن أن يكون مجهدًا

من الاجتماع الليلي، وذهب رامي ليكمل عمله وينظف المكتب الإداري قبل حضور باقي الموظفين إلا أنه وهو قريب من مكتب الحاج (محمود) سمع صوت إطلاق النار، وعندما حاول فتح الباب وجده مغلقًا فركض مسرعًا إلى المهندس (طارق) الذي حاول فتح الباب بمفتاحه ولم يستطع، وتم كسر الباب حينها ليجدوا الحاج (محمود) قتيلًا.

انتهى اليوم الأول من التحقيقات وكانوا في انتظار تقرير الطب الشرعي الذي قد يُغيِّر من حقائق ما حدث، ولكن قبل منتصف الليل جاء تقرير الطب الشرعي يؤكد أن المُتوفَّى قد قُتِل إثر الإصابة بطلق ناري أُطلق عليه من مسافة أقل من ثلاثة أمتار بزاوية أفقية، وقد أصابت الطلقة منطقة الصدر وتسببت في نزيف داخلي أدى إلى الوفاة، وكان توقيت الوفاة من الخامسة إلى السادسة صباحًا وهو وقت صلاة الفجر وبداية العمل الرسمي في المكان لعمال النظافة.

ظَلَّ (حَميد) في مكتبه لم يغادر، فقد شغلت تلك القضية انتباهه، فانتهز فرصة انصراف الضباط لمنازلهم واتجه إلى إدارة المحفوظات لمشاهدة صور القضية وما حدث هناك قد يجد شيئًا يؤكد له صحة شعوره بأن هنالك شيئًا مثيرًا في القضية، وبالفعل مع الإمعان في بعض التفاصيل توصَّل إلى إحدى الصور التي تحتاج إلى تفسير، لقد كانت صورة الطلقة التي اخترقت صدر الحاج (محمود) واستقرت في البرواز الخشبي خلفه، وهنا أيقن أن هناك أمرًا مختلفًا بتلك القضية وأن تلك القضية تخصه.

انطلق (حَميد) إلى مكان مكتب الحاج (محمود) حيث تمت الجريمة، وظَلَّ منتظرًا الليل بأكمله حتى أُذِّنَ الفجر، وبعدها بقليل جاء عامل النظافة وبدأ الموظفون بالتوافد، هنا ظهر (حَميد) وهو يدخل المكتب بعكازه الشهير ويتقدمه طفل في العاشرة من عمره يرتدي تيشرت أسود وبنطلون رصاصي ووجه أبيض دائري تميِّزه عيناه الزرقاوان ويبدو عليه علامات الحماسة الشديدة، ظَلَّ الموظفون يتساءلون حتى تقدَّم أحدهم ليسأل (حَميد) عن نفسه فيجيبه (حَميد) ببرودة أعصاب وهو

يخرج الكارنيه الخاص به، معرفًا إياهم بأنه المقدم (محمد حَميد) ضابط البحث الجنائي وقد كُلِّف بإكمال التحقيقات في مقتل الحاج (محمود) وهو ما لم يحدث، لقد أتى من تلقاء نفسه دون أن يعلم أحد بقدومه.

بدأ (حَميد) والطفل يتجولان في المكان ينظران عن كثب عن شيء قد يفيدهما، التقى (حَميد) بعامل الأمن يسأله بعض الأسئلة عن الليلة الماضية وأن يذكر له كل شيء بالتفصيل حتى إن كان الأمر تافهًا فقد يكون مهمًّا بالنسبة له، ظلَّ عامل الأمن يسرد ما حدث مجددًا وذلك الطفل يتجوَّل في المكتب ينظر في زوايا الكاميرات الموضوعة في المكان والتي كانت تغطي المكتب من الخارج فقط ولا تغطي المكاتب الداخلية، هنالك كاميرا وُضعت على الخزينة أما باقي الكاميرات فهي موضوعة في المخازن، إذًا فإن الكاميرات لم تكن موجودة لتراقب مكتب الحاج (محمود) لتكشف حقيقة ما حدث.

التقى (حَميد) بمدير الحسابات وعامل الخزينة ليسألهما عن حجم المبلغ المسروق، فاندهش عندما علم أن الحاج (محمود) لا يحتفظ بأمواله داخل الخزينة التي في مكتبه، بل إن جميع الأموال موجود في خزينة قسم الحسابات وإن من يحتاج إلى صرف المال ليس عليه سوى إحضار ورقة مختومة بختم الحاج (محمود) الذي يظل دائمًا معه في جيبه، وإنهم لا يعلمون شيئًا عن تلك الأموال التي أُخذت من خزنته في الليلة السابقة ولا يستطيعون تقدير حجمها.

همَّ (حَميد) ليغادر الحسابات ليتجه نحوه مدير الحسابات وهو يتحدث بصوت خفيض:

حضرتك أنا مش عارف المفروض أقولك الحاجة دي ولا لأ، بس الحاج (محمود) كل معاملاته المالية بتبقى عن طريقنا وبتبقى بأوراق رسمية، حتى المسجد الخيري كل أمواله المصروفة متسجلة عندي عشان الحاج يعرف الفلوس اتصرفت فين، حتى لو صرف فلوس وطلب مني إني مطلعش ورق بيها بعد فترة بيقولي أسجلها تحت مسمى معين، بس من حوالي سنتين الحاج صرف ٥ مليون جنيه وقالي معملهمش

ورق صرف من عندي، ولما سألته قالي «صاحبهم عزيز عليا وعايزهم كده» ولحد ما تُوُفِّي ومتعملش ورق ليهم.

دارت بعض الأفكار برأس (حَميد) للحظة قبل أن يشكر الرجل ويغادر.

اقترب الطفل من (حَميد) يخبره:

الموظف المطرود أكيد عارف الفلوس مكانها فين.

ابتسم (حَميد) وهو يجيبه:

دافع الانتقام لسه معانا، متنسهوش.

ترك (حَميد) الخزينة وتوجَّه إلى مسرح الجريمة وهنا سبقه الطفل وتملؤه الحماسة وهو ينظر إلى (حَميد) ويبتسم له فيبتسم له (حَميد)، دخلا بعدما تجاوزا ذاك الشريط الأصفر الذي وُضِع لمنع أحد من الدخول لمسرح الجريمة، كان المكتب ذا محتويات بسيطة، فلم يكن يحوي على أثاث فاره أو الكثير من البهرجة، فقد كان هنالك مكتب خشبي كبير وأمامه دولاب خشبي يحوي بعضًا من الأجهزة الإلكترونية التي كان يستوردها الحاج (محمود)، كان يستخدم الدولاب كوسيلة عرض لمن يأتي لزيارته، وبجانب المكتب هنالك منضدة وُضِعت عليها الخزينة الخاصة بالحاج (محمود)، وأخيرًا كانت هنالك أريكة تقبع في أحد جوانب المكتب وتصلح أن تكون سريرًا لكبر حجمها، يحاول (حَميد) الاقتراب من الكرسي الذي قُتِل عليه الحاج (محمود) يحاول أن يستنبط ما حدث في الغرفة، أما الطفل فأخذت عينه تجوب المكان تتفحصه بعناية شديدة أملًا في إيجاد شيء، وبالفعل لم يمضِ الكثير حتى وقعت عيناه على شيء دخيل بالغرفة.

ظلَّ (حَميد) يتفحص البرواز الخشبي الذي انغرست به الطلقة وهو يحاول تفسير شيئًا ما، يمسك بعكازه وهو يوجهه كأنه سلاح يصوبه في اتجاه الكرسي كي يعيد تمثيل ما حدث، علم الطفل ما يفكر به (حَميد) فقام بالجلوس على الكرسي وتمثيل دور الضحية وحينها ارتسمت ابتسامة على محياهما، لقد بدأت الأمور تنكشف لهما شيئًا فشيئًا.

خرج (حَميد) ليتوجَّه إلى الكاميرات، لقد أراد أن يفحص تسجيل الكاميرات للأيام السابقة، لقد طلب وقت دخول الموظفين كل يوم لينظر فيه وذلك لمدة شهر سابق، ظَلَّ ينظر في تسجيل كل يوم في توقيت حضور الموظفين للعمل.

اتَّجَه (حَميد) إلى أحد الموظفين القدامى يسأله عن ذاك الموظف الذي طرده الحاج (محمود) من فترة وعن طوله، كان وقع السؤال غريب للموظف، ولكنه أجاب (حَميد) بأن ذاك الموظف كان قصير القامة بطريقة ملحوظة، فسأله (حَميد) عن أخلاق ذاك الموظف وعمَّا حدث لطرده، فأجابه الرجل بأن ذاك الموظف قد اكتُشِف وهو يسرق بعض الأجهزة الكُهنة ليقوم ببيعها في الخارج، وقد علم الحاج (محمود) الأمر وقام بمواجهته وطرده، وحينها حدثت مشادة وثار الموظف في المكان وهدد الحاج (محمود) وأنه سينتقم لما حدث له.

ما إن استدار (حَميد) للمغادرة حتى استوقفه الموظف قائلًا:

ألف سلامة على حضرتك.

استدار له (حَميد) وهو متعجب وعلامات الاستفهام على وجهه فأكمل الموظف موضحًا:

شوفت حضرتك بتعرج وأنت في مكتب الحاج (محمود) جوه، أجيب لحضرتك كرسي؟

زالت علامات الدهشة من وجه (حَميد) واستكمل طريقه قائلًا:

شكرًا، مش مستاهلة؟

أخيرًا اتَّجَه (حَميد) إلى مكتب المهندس (طارق) الذي ما زال متأثرًا لما حدث للحاج (محمود)، فما زال يبدو عليه الحزن الشديد. جلس (حَميد) على أحد الكراسي، أما المهندس (طارق) فقد استدعى عامل البوفيه ليصنع مشروبًا لـ (حَميد)، ولكن (حَميد) رفض، فقام (طارق) بطلب كوب من القهوة الدوبل من عامل البوفيه ليجيبه عامل البوفيه:

قهوتك إيه يا باشمهندس (طارق)؟

هنا استدار الطفل فجأة وهو يحملق بعينيه في عيني (حَميد)

الذي أومأ للطفل لانتباهه لما حدث، وحينها أخذت عيناه تمسح المكان سريعًا قبل أن يأخذ (حَميد) نفسًا عميقًا وهو يجلس في مكتب المهندس (طارق) ويبدو أنه أنهى ما قد أتى من أجله.

لم يمر الكثير من الوقت حتى حضر وكيل كبير القضاة حتى ينهي المحضر ويباشروا البحث عن ذلك المتهم الذي تحوم حوله الشكوك، ولكن (حَميد) كان يسير أمامه وهو يتحدث في الهاتف يطلب من رئيسه أن يرسل له قوة، وما إن رآه (حَميد) فأنهى المكالمة واتجه إليه قائلًا بصيغة أمرية:

أنت وكيل كبير القضاة؟

فنظر له وكيل كبير القضاة باستعجاب شديد وبدا عليه الضيق لطريقة حديث (حَميد) وأجابه:

أنت مين؟

نظر له (حَميد) وهو يمسكه من يده يجذبه:

تعالى معايا، القاتل قاعد جوا.

انتشل الوكيل يده من يد (حَميد) وهو يصيح به:

أنت مجنون يا جدع أنت، أنت مين وعايز إيه؟

ابتسم (حَميد) وهو يبتعد عن الرجل قائلًا:

براحتك، بس أنا هقول كلامي مرة واحدة عشان مش هكرره.

ثم صاح (حَميد) بصوت عالٍ في منتصف المكتب قائلًا:

يا مهندس (طارق)، تعالى بعد إذنك اعترف لوكيل كبير القضاة أنك قتلت الحاج (محمود).

توقَّف المكان للحظة وساد الصمت وظَلَّ الجميع ينظرون لبعضهم البعض لا يعلمون ما يحدث، ولم تمر ثوانٍ حتى خرج (طارق) من مكتبه مندهشًا وهو يتتبع الصوت الذي يوجِّه له الاتهام والذي كان (حَميد) الذي أشار إليه بيده ليتقدم ليقف بالقرب من الجميع.

يقف (طارق) مذهولًا مما يحدث، وحينها تدخَّل الوكيل لينهي حالة الجدل:

أنت يا باشا عندك دليل ضده، ولا هو اعترفلك واحنا منعرفش؟

هنا ابتعد (حَميد) خطوتين للخلف وقد اجتمع كل من بالمكتب ينظرون ما يحدث، وحينها بدأ في شرح ما قد حدث للجميع.

بدأ (حَميد) حديثه وكيف أعدَّ (طارق) وخطَّطَ كل شيء لقتل الحاج (محمود)، ففي اليوم الذي حضر فيه الاجتماع كان يحمل شنطة ظهر صغيرة، وهو الأمر الغريب عليه، فهو دائمًا لا يحمل أي شيء قد يقلل من صورته كشخص أنيق، كانت تلك الشنطة هي التي وضع بها المسدس الذي استخدمه لقتل الحاج (محمود) ولم يستطع إخفاءه في ملابسه لأن الكاميرات ستفضحه، انتظر (طارق) حتى انتهاء اللقاء مع التجار وكان يعلم أن الحاج (محمود) سينهيه قبل الفجر ليذهب للصلاة، وحينها قام بإيصال التجار وتوديعهم وأخبر عامل الأمن أنه ذاهب إلى مكتبه، وبالفعل ذهب لمكتبه لجلب المسدس وانتظار الفجر للدخول إلى مكتب الحاج (محمود) وقتله، هنا استوقفه أحد الموظفين قائلًا:

بس الحاج (محمود) اتقتل بعد الفجر و(رامي) عامل النظافة هو اللي سمع صوت الطلقة.

فقام البعض بتأكيد ذلك الأمر ومنهم (رامي) نفسه، هنا أخبرهم (حَميد) أن يتبعوه، وصعدوا إلى الأعلى متجهين إلى مكتب الحاج (محمود)، وحينها مدَّ (حَميد) يده يمسك بسماعات من طراز JBL Boombox التي كانت موجودة بدولاب الأجهزة الإلكترونية، وبمجرد أن قام بتشغيلها حتى قامت بالارتباط بأحد الهواتف الموجودة بالمكان وهنا طلب (حَميد) من (طارق) أن يلغي الربط بين هاتفه وبين تلك السماعات، هنا تحدث (طارق) ليجيب:

السماعات دي الحاج (محمود) كان حابب يجربها عشان يستوردها وأنا كنت بفرجها له وسبتها عنده.

ابتسم (حَميد) وهو يخبره أنها أمريكية الصنع، وأن الحاج

(محمود) جميع استيراداته من الصين، ولكنه بعد تكرار طلبه لـ (طارق) قام بإلغاء الارتباط فعلًا، وهنا قام (حَميد) بربطها بهاتفه، وهنا قام بتشغيل أحد الأصوات ليتفاجأ الجميع بأنه مماثل لصوت الطلقة التي سمعها (رامي)، وهذا ما كان يحاول إثباته (حَميد) أن وقت إصدار ذلك الصوت كان الحاج (محمود) مقتولًا بالفعل، وهنا تطوَّع أحدهم قائلًا:

طب الطلقة اللي قتلت الحاج (محمود) محدش سمعها إزاي؟

هنا أشار له (حَميد) بإصبعه بأنه سؤال جيد، وحينها استكمل (حَميد) شرحه وعن القطعة الأخرى التي كانت بشنطة (طارق) والتي كانت مع المسدس وهي كاتم الصوت، فلقد كان المسدس مزودًا بكاتم صوت، وحين دخل (طارق) المكتب لقتل الحاج (محمود) انتظر الوقت المناسب لإطلاق طلقته، فبالرغم من وجود كاتم الصوت إلا أنه يصدر صوتًا ملحوظًا قد يكشفه، لذا فكان أفضل وقت لإطلاق الرصاصة كان لحظة سماع الأذان في المُكبِّر، حينها لن يتم سماع الصوت الطفيف الناجم عن كاتم الصوت، أما الدليل على استخدام كاتم الصوت هو اختراق الطلقة لصدر الضحية واختراق الكرسي المعدني الذي يجلس عليه وإحداث فجوة كبيرة في البرواز الخشبي خلفه، لن يحدث ذلك إلا باستخدام كاتم الصوت الذي يزيد من سرعة الطلقة العادية التي من الطبيعي لن تخترق كل هذه العوائق مع استخدام أقوى أسلحة إطلاقًا لطلقات ٩ مم.

ظَلَّ الجميع صامتًا لبعض الوقت لما يسمعونه، ولكن (حَميد) لم يترك لهم الفرصة، فأكمل حديثه مخبِرًا أن (طارق) قد أعدَّ الأمر مسبقًا بأن يوجِّه أصابع الاتهام إلى الموظف المطرود، ولكي يحبك الأمر جيدًا يجب أن يمثِّل جريمته جيدًا، فقام بالنزول على ركبتيه قليلًا حتى يصبح على نفس الطول مثل ذلك الموظف القصير، ولكنه لم يعلم أن تصويبه سيختل حينها فخرجت الرصاصة في صدر الضحية وليست قلبه كما كان مقدِّرًا لها، وحينها ظلت الضحية على قيد الحياة لبعض

الوقت ولم تمت فورًا، الأمر الذي أفزع (طارق) فانطلق مسرعًا لتكميم فم الضحية لعدم إصدار أي صوت، ولكن الضحية حاولت التخلص من يده، وهنا تم جرح يد (طارق) بخاتم الحاج (محمود) الذي لا يفارق يده والذي كان مفقودًا بعد موته بالرغم من ارتدائه له يومها، وقد تم التأكد منه من خلال الكاميرات اليومية، أما عن الجرح لدى )طارق( فهو دائمًا يثني قميصه للداخل حتى تظهر إكسسواراته الفاخرة التي يزين بها معصمه، لكنه منذ يومين وهو يقوم بغلق أزرار القميص كاملة لإخفاء ذلك الجرح كما أخفى ذلك الخاتم.

هنا تقدَّم وكيل كبير القضاة يأمر (طارق) بفتح أزرار القميص وإظهار يده، وبالفعل ظهر الجرح واضحًا بيد (طارق) الذي تغيَّرت ملامحه وتغيَّر صوته أيضًا وهو يدافع عن نفسه:

الأوضة كانت مقفولة من جوا بالمفتاح والشرطة أثبتت كده، أنا دخلت عشان أقتله إزاي؟

وحينها أكد عامل الأمن وعامل النظافة رواية (طارق).

هنا أكمل (حَميد) حديثه معللًا ذلك بأنه بالفعل كان هنالك مفتاح موضوع بالباب من الخلف، ولكنه لم يكن بكامله داخل الكالون، بل جزء منه فقط، الجزء الذ يسمح لمن سينفذ جريمته وينتهي أن يخرج ويستخدم المفتاح من الجانب الآخر ويغلق الباب ويظل الآخر معلقًا أيضًا، وعندما تم محاولة فتح الباب كان (طارق) هو الوحيد من حاول فتح الباب بالمفتاح، وحينها اصطنع أنه لا ينفتح، وحينها أشار لهم بكسر الباب، ثم وجَّه (حَميد) نظره إلى (رامي) و(إبراهيم) يسألهما إن كانا حاولا فتح الباب بالمفتاح فجاءت الإجابة بالنفي، وأخيرًا حتى يجعل الأمر يبدو أنه سرقة قام (طارق) برمي بعض فئات النقود في أرجاء الغرفة بالرغم أن الحاج (محمود) لا يحتفظ بأية أموال داخل خزينته بالمكتب.

هنا حاول (طارق) جمع شتات نفسه وهو يقول:

أنا مقتلتش الحاج (محمود)، كل الحاجات دي نظريات من دماغك ولا تفيد في حاجة.

هنا ابتسم له (حَميد) وتركه ودخل مكتبه ليحضر ماكينة إعداد القهوة الخاصة بـ (طارق)، وهنا تغيَّرت ملامح طارق تمامًا وكأن صاعقة قد ضربته، ترك (حَميد) الماكينة لتسقط على الأرض لتنكسر وتظهر منها الشنطة الخاصة بـ (طارق) والتي تحتوي على المسدس وكاتم الصوت وخاتم الحاج (محمود) وإيصالات أمانة بمبلغ ٥ مليون جنيه كانت عليها إمضاء (طارق).

حينها اقترب (حَميد) من (طارق) يخبره:

مش عيب يكون عندك ماكينة زي دي وتطلب من الساعي يعملك قهوة دبل؟ أهو فضحك وقالك قهوتك إيه.. أنت عمرك ما طلبت منهم قهوة هنا.

ثم نظر (حَميد) لوكيل كبير القضاة الذي أوما له برأسه ليخرج (حَميد) كلبشًا من جيبه الخلفي ويضعه بيد المهندس (طارق).

# (٣)

# جريمة في اللينوفارد

استيقظ (حَميد) على صوت هاتفه الذي ظَلَّ يرن لمرات عديدة دون توقف، أمسك بهاتفه ليجد مديره بالعمل العميد (سعيد رسلان) هو المتصل، لم يجب (حَميد) على الهاتف، ولكنه ظَلَّ يستمع لرنينه الذي لم يتوقف، يعلم بأن هنالك أمر جلل، ولكنه يشعر بشيء بداخله يدفعه لعدم الرد، شعور قد جعل ساقه المتألمة تنشر آلامها داخل جسده بالكامل، الهاتف يرن وهو يمسك بساقه يستجديها أن تتوقف، ولكن لم يتوقف أيٌّ منهما.

استمر الوضع هكذا حتى قرر (حَميد) أن يجيب الهاتف أخيرًا بعدما فكر قليلًا بالأمر، فمديره هو أحد الأشخاص القلائل الداعمين له إن لم يكن هو الوحيد الداعم له، ليس حبًا فيه، ولكن لأنه ينهي له القضايا المعقدة وأصبحت إدارة البحث الجنائي ذات سمعة جيدة بسببه، ولكن ذلك لن يشفع له إن لم يجِب على الهاتف بعد أكثر من عشرين اتصالًا من مديره.

أجاب (حَميد) على الهاتف ليجد صوت مديره ينفجر به غضبًا مع وجود شعور بالارتياح بعدما وصل لـ (حَميد):

كل ده عشان أعرف أوصلك يا (حَميد)؟

أجابه (حَميد) بصوت بارد رخيم:

اؤمر يا باشا، حصل حاجة؟

أجابه المدير قائلًا:

حصلت جريمة قتل في منتجع اللينوفارد وعايزك تروح تحضر التحقيقات حالًا، أنا بعتلك عربية تيجي تصحيك وتاخدك للفندق اللي حصلت فيه الجريمة.

اندهش (حَميد) من هذا الطلب الغريب وأجاب مديره:

حضرتك مش أنا النبطشي، فيه ضابط تاني النهارده، أنا مبمسكش نبطشيات.

قاطعه مديره قائلًا:

عارف إنك مبتمسكش نبطشيات، بس القضية دي أنت اللي هتروحها وتحضر التحقيقات من أولها، هتروح هناك هتقابل (جمال بيه عسل) والمحامي بتاعه، (جمال) بيه في مشكلة وأنا محتاجك تتابع القضية بنفسك وتعرفلي إيه اللي حصل.

ما زال (حَميد) يشعر بألم ساقه يتزايد أكثر فأكثر، ومن شدة إمساكه بساقه بدأت أظافره تغرز في لحم ساقه وبدأت بعض قطرات الدماء تسيل منها، تمالك (حَميد) نفسه وهو يخبر مديره:

ممكن يا أفندم تعذرني من القضية، مش هقدر.

هنا صاح المدير وقد ارتفع صوته للغاية في الهاتف:

يعني أنه مش هتقدر، قدامك نص ساعة وتكون هناك يا إما اعتبر نفسك منقول برة الإدارة.

أنهى العميد (سعيد) المكالمة بعدها وترك (حَميد) بلا خيار آخر، يعلم (حَميد) أنه ليس لديه حلول أخرى سوى أن يستجمع قواه وينفذ أوامر مديره، فنهض من سريره وما زال الألم يسري داخل جسده، ولكنه تحامل على نفسه وقام بتغيير ملابسه، ولم تمض دقائق حتى سمع صوت العربة التي أرسلها مديره له.

**منتجع اللينوفارد**

دخل (حَميد) إلى الفندق وهو متجهم ما زال غاضبًا من تلك المكالمة التي حدثت مع مديره التي اضطرته إلى النزول إلى الفندق، كان أبغض شيء لدى (حَميد) أن يُساق إلى شيء لا يريد فعله، لَكَمْ كلفه ذلك الأمر الكثير والكثير من الجزاءات والعقوبات التأديبية الرادعة، كانت تلك الأمور لا تشغل باله كثيرًا المهم أن ينفذ ما في رأسه، ولكنه الآن في وضع صعب، لم يكن يهتم بمديره وما يقوله له، ولكنه يعلم أنه إن لم يستمر في عمله وانشغل عقله بالقضايا والجرائم المعقدة فإنه هالك لا محالة ولن يستطيع معالجة الأمر حينها.

ما إن دخل (حَميد) إلى الفندق بهيئته الرثة وشعره الأبيض المنكوش حيث اتفقت جميع خصل شعره ألا يتجهوا في اتجاه

واحد، كلٌّ في اتجاه خاص، اندفع إليه أحد مفوضي الشرطة الداخلية يخبره أنه ممنوع الدخول للفندق في ذلك التوقيت، فلم يعره (حَميد) أي اهتمام وأشار له بيده أن يبتعد عن طريقه، حينها ابتعد المفوِّض بالفعل وهو خائف ظنًّا منه بأنه أحد الشخصيات الهامة، أكمل (حَميد) طريقه ليصعد بالمصعد إلى الطابق الثامن، الطابق الذي ما زالت أنوار جميع الغرف مضاءة به حتى تلك الساعة المتأخرة من الليل، يبدو أن جميع الجيران قد علموا بالأمر.

كان منتجع اللينوفارد من أكبر المنتجعات في المدينة، يحتوي على مساحات شاسعة ومباني كثيرة، يقصده كل الأغنياء والمشهورين من جميع البلاد لشهرته ورفاهيته، ولكن تلك الجريمة قد جعلت كل المنتجع في حالة استنفار وخصوصًا الفندق الذي خُصِّص للشقق الفندقية الذي حدثت به الجريمة.

وصل (حَميد) إلى الشقة رقم )٨١٤)، وما إن رآه أحد ضباط مفوضية الشرطة حتى انطلق عليه صائحًا باسمه، الأمر الذي جعل محامي (جمال عسل) يترك كل شيء وينطلق عليه مسرعًا ليرحب به ويعرفه بنفسه:

(سيد رضوان)، المستشار القانوني لجمال بيه عسل، أعتقد (سعيد) بيه شرحلك الوضع هنا.

أشار (حَميد) إلى المحامي برأسه نافيًا، لم يخبره (سعيد) بيه بشيء، فكانت علامات التعجب سائدة على وجه المحامي الذي أسرع في شرح الأمر لـ (حَميد) الذي ظَلَّ واقفًا يسمع بأذنه ما حدث، وتجوب عيناه المكان تستكشف كل ما حولها.

شرح المحامي الأمر لـ (حَميد) سريعًا بأن )جمال عسل( قام باستئجار تلك الشقة الفندقية لتمكث فيها إحدى الفتيات التي يعطف عليها )جمال( ويزورها من كل حين لآخر، ولسوء الحظ أثناء زيارته لها هذا اليوم وأثناء تواجده بالمرحاض وبمجرد أن خرج وجد الفتاة مقتولة بسكين في صدرها وملقاة بأرضية المطبخ، لم يتمالك )جمال( نفسه لا يعرف ماذا يفعل وقرر الرحيل من الغرفة، ولكنه بمجرد أن أفاق من الصدمة

عاد مجددًا إلى الغرفة وقام بالإبلاغ عمَّا حدث، وحينها تم التواصل مع العميد (سعيد رسلان) وهو صديق مقرب من (جمال عسل) وهو من طلب حضور (حَميد) إلى مكان ارتكاب الجريمة.

سمع (حَميد) كلام المحامي وبدأ في ترجمته على أرض الواقع، فتاة يعطف عليها ويزورها من كل حين لآخر يعني أنها كانت عشيقته ولا يعلم بها أحد، وأمر هروبه من الغرفة هو للتملص من الجريمة وليس من ذعره لما حدث ولكنه عاد لأن كل شيء بالتأكيد سيورطه فيما بعد، الكاميرات والزيارات السابقة والمكالمات الهاتفية، بالتأكيد هذا كان رأي محاميه أن يعود إلى الغرفة والإبلاغ عن جريمة القتل، يبدو على محاميه أنه يدعي الذكاء ولكنه ليس كذلك، هو من الأشخاص الذين بمجرد أن ترى سحنتهم تعلم أنه شخص كالح يدس أنفه في كل شيء ظنًّا منه أنه عليم بالماورائيات، لكن وجود (حَميد) أنهى حالة الذكاء المصطنع الذي تملَّكته، أما الشيء الذي أثار فكر (حَميد) هو مكالمة مديره له وإصراره على اختياره هو للقدوم لتلك القضية بالرغم أن (جمال) هو صديقه المقرب كما قال ذاك المحامي، هل يريد مديره أن يضحي بصديقه أم إنه يثق به لدرجة أنه يعلم ببراءته وأرسل (حَميد) لمساعدته، بالإضافة أنه لم يرد شرح حقيقة القضية له في الهاتف لعدم ربط اسمه بـ (جمال) مستقبلًا، لم يشغل (حَميد) باله كثيرًا بالأمر فكل شيء سيتضح قريبًا.

توجه (حَميد) إلى المطبخ حيث توجد جثة الفتاة وكانت تُدعى (سارة عثمان)، كانت في أوائل العشرينات من عمرها، يبدو على وجهها الجمال الشديد، ذات جسد رشيق فارع تنافس به أفضل الفتيات من سنها، أما (جمال) فقد كان عمره يقارب الستين، احتل جسدها منتصف المطبخ مرتدية بيجامة قصيرة فاتحة اللون، انتشر الدم بشكل دائري أسفلها بعدما استقرت إحدى سكاكين المطبخ في صدرها واختارت قلبها لتمزقه، لاحظ (حَميد) اتساخ الشورت التي كانت ترتديه بالدماء مع وجود بعض الدماء بيدها اليمنى.

ترك (حَميد) مكان الجريمة وحاول التحرك داخل الغرفة ذهابًا وإيابًا وأخذت عيناه تدور بالمكان وكأنه يبحث عن شيء ما، شعر الجميع بشيء غريب به فهو ليس على ما يرام، فجأة دخل الطفل ذو السترة الصفراء والشورت الأخضر إلى المكان ممسكًا بلعبته الصغيرة وهو يبتسم لـ (حَميد) الذي أحس بارتياح إلى حد ما، وحينها استعاد تركيزه وانضم للطفل الذي عاد إلى جثة الفتاة يتفحَّصها عن كثب.

كانت الأمور غامضة بعض الشيء مع حالة (جمال عسل) الذي يبدو في صدمة واضحة مما حدث، ليست صدمة ناجمة من شخص ارتكب فعلًا شنيعًا، ولكن صدمة رؤيته، ظَلَّ (حَميد) والطفل يتفحَّصان المكان جيدًا بحثًا عن أمر قد يفيدهم، كل ذلك ويقف المحامي في منتصف الغرفة بجوار (جمال عسل) يطمئنه أن كل شيء سيسير على ما يرام ويعرض عليه سيجارة ليدخنها ليتعجب (جمال) من عرض محاميه الذي يعلم أنه لا يدخن، سحب المحامي السيجارة وأشعل خاصته وبدأ في تدخينها بنهم شديد وسط نظرات حنق من (جمال عسل).

استمر (حَميد) في البحث ليجد المحامي يندفع نحوه يحاول سؤاله عمَّا وجده، أقحم نفسه في تفاصيل التحقيق وبدأ إبداء رأيه في تفاصيل القضية وتخمينه أنها قد تكون قضية انتحار، أراد (حَميد) في تلك اللحظة انتزاع سكين آخر من المطبخ وزرعها في منتصف جبهة ذلك المحامي الذي يصرصر بالكلام منذ حضر، ولكنه تمالك نفسه ولم يُعِر ذلك المحامي أي انتباه ونظر إلى ضابط المفوضية يخبره:

هننتظر نتيجة المعمل الجنائي على أداة الجريمة، ولحد أما تطلع اتحفظ على (جمال بيه عسل) في قسم البحث الجنائي.

ما إن سمع المحامي ذلك الكلام حتى بدأ في الصياح وأخبره بأن ذلك غير قانوني وأنه هو من أبلغ عن الجريمة، وأخذ يتفوه بكلام لا يعلم معناه، كل ذلك و(حَميد) لا يعيره أي انتباه حينها، وفجأة بدأ الطفل الصغير في البكاء وأخذ يشير بإصبعه إلى رجل يقف خلف (حَميد).

انقبض قلب (حَميد) وبدأ يستدير ببطيء ليجد رجلًا بنهاية الثلاثينيات نحيلًا ذا شارب كثيف يرتدي قميص كاروهات فضفاض وشورت أخضر قاتم طويلًا يقف وراءه وهو محتد الوجه عابثًا ينظر لـ (حَميد) بعينين قاسيتين تملأهما الغِل، لم يتمالك (حَميد) نفسه فانتفض جسده مرة واحدة وارتمى على الأرض وأخذته رعشة قوية لا تتوقف وظَلَّ يمسك ساقه بقوة يغرز فيها أظافره وما زال جسده يهتز وهو ينظر إلى الطفل الذي يحاول أن يصل إليه ليحتضنه، ولكنه لا يستطيع.

أسرع الضابط إلى (حَميد) يحاول إنقاذه واجتمعت كل قوات البحث الجنائي بالمكان للاطمئنان على (حَميد) الذي ظَلَّ جسده ينتفض على الأرض ولم يوقفه شيء سوى حقنة مهدئة أعطاها له أحد المسعفين الذي أتى لأخذ جثة الفتاة.

مرَّت عدة ساعات ليستيقظ (حَميد) على سرير إحدى غرف الطوارئ بمستشفى الشرطة، لم يكن معه أحد بالغرفة أو من ينتظر إفاقته، فقط هو بمفرده، نهض (حَميد) من السرير وجلب أشياءه التي وضعوها له بجانبه ونظر إلى ساقه التي وضعوا عليها قطعة من الشاش الطبي بعدما جرحها بأظافره، اتَّجَه (حَميد) إلى الباب ليجد إحدى الممرضات تقابله لتخبره أن عليه انتظار الطبيب حتى يسمح له بالمغادرة، لم يستمع (حَميد) لكلامها، بل استمر في طريقه وغادر المستشفى واتجه إلى منزله.

عاد (حَميد) إلى منزله وهو منهك يريد أن يرتاح، قام بتغيير ملابسه، جلس على سريره، وحينها قرر أنه قد وجب عليه زيارة طبيبه الخاص، أمسك بهاتفه ليقوم بحجز ميعاد له، ولكنه نظر في الهاتف الذي جعله على وضع صامت منذ ذهابه للفندق فوجد العديد من المكالمات الفائتة، كان عدد المكالمات يوحي بأن هناك حربًا قد نشبت وهو سبب اندلاعها، ولكنه فضَّل ألَّا يهتم بالأمر وقرر الاتصال بالطبيب على أية حال، وما إن أجابته السكرتيرة حتى علمت بالمتصل قائلة:

أستاذ (محمد حَميد)؟ حضرتك دايمًا بتتصل تحجز وعمرك

ما جيت.

أجابها (حَميد) بصوت ضعيف مستسلم:

لا المرة دي هاجي في معادي.

سألته السكرتيرة:

متاح مواعيد من ٩ لـ ١١ تحب أسجل حضرتك امتى؟

ظهر الطفل الصغير فجأة، اقترب من (حَميد) وأخذ يهمس في أذنه فاتسعت عينياه فجأة وانتفض قائمًا من نومته وأسرع يرتدي ملابسه بسرعة وبجانبه ذاك الطفل يميل بظهره إلى سرير (حَميد) يلعب بلعبته وينتظر (حَميد) أن ينتهي من ارتداء ملابسه، هما ذاهبان إلى المنتجع مجددًا، كل ذلك وما زالت السكرتيرة على الهاتف تردد اسمه، ولكن دون إجابة.

وصل (حَميد) والطفل إلى الفندق مجددًا ودخلا إلى غرفة الضحية بمساعدة مدير الفندق الذي اندهش من عودة (حَميد) بتلك السرعة بعد حالة التشنجات القوية التي أصابته فجرًا، أمسك (حَميد) بكرسي طويل ووقف عليه ليصل إلى أحد حساسات الحريق الموجود بمنتصف الغرفة، قام بلف الغطاء الخاص بها ليجد خلفها كاميرا متحركة بدلًا من حساس الحريق، لقد كان هناك من يتنصت على من بالغرفة.

نزل (حَميد) من على الكرسي وأخذ يجوب المكان ومعه الطفل بحثًا عن أي دليل قد يفيدهم، ولكنه سرعان ما أنهى ما قد جاء من أجله ورحل إلى قسم البحث الجنائي ليجري محادثة مع (جمال عسل) الذي تم التحفظ عليه حتى الانتهاء من التحقيقات، فجميع الشكوك كانت موجَّهة إليه في مقتل تلك الفتاة.

عاد (حَميد) إلى قسم البحث الجنائي ليجد التقرير النهائي للطب الشرعي ليعلم أن أداة الجريمة الأساسية وهي السكين تحمل بصمات (جمال عسل) وأيضًا ذُكر بالتقرير أن السكين لم يكن حادًا ما جعل الأمر صعبًا أن يقوم القاتل بغرسه قي قلب الضحية وهو ما كان جليًا على أنسجة عظام الضحية التي اهترأت وتكسَّرت نتيجة ذاك السكين الثلم، أصبحت الأمور

الآن رسمية وتم توجيه الاتهام لـ (جمال) بقتل (سارة عثمان) ذات الواحد والعشرين عامًا وقد تم وضعه في غرفة خاصة حتى عرضه على وكيل كبير القضاة للبت في أمره.

دخل (حَميد) إلى الغرفة حيث يوجد (جمال عسل) مقيَّدًا بأحد المكاتب ويجلس أمامه محاميه ومستشاره القانوني، وما إن رآه المحامي حتى انفجر بوجهه يسأله عن سبب مجيئه إليهم، وأنه لن يتغاضى عن المعاملة التي عامل بها موكله في الفندق، لم يكن (حَميد) يستمع لما يقوله ذاك المحامي، بل إنه شعر لوهلة أنه غير موجود. جذب (حَميد) كرسيًّا وجلس أمام (جمال عسل) مباشرة ليعطي ذاك المحامي ظهره الذي اندهش لما يفعله (حَميد)، اقترب (حَميد) من (جمال عسل) يسأله بعض الأسئلة وإن كان له أعداء يريدون الإيقاع به وبتلك الفتاة، كان (جمال) ما زال في حالة ذهول لما يحدث له، ولكن حديث (حَميد) قد شد انتباهه قليلًا.

يقف المحامي من خلفهما يخبر موكله (جمال) بألا يجيب أيًّا من أسئلة (حَميد) ويأمر (حَميد) بمغادرة الغرفة وتركهما بمفردهما، ظَلَّ (حَميد) يسأل (جمال) عدة أسئلة متعلقة بمن يريد به سوءًا أو إن كانت الفتاة لها علاقات أخرى قد يكون لها علاقة بالجريمة.

بدأ (جمال) في الحديث وأخبر (حَميد) عن أعدائه في العمل التجاري وإن كانت الأمور قد تصل بهم إلى تلك الدرجة، وأيضًا تحدث عن علاقته بسارة وأنه التقاها في إحدى الحفلات الخاصة وتعرفا على بعضهما البعض وأنه لا يعلم أي شيء عن علاقتها السابقة، كل ما قاله (جمال) لم يلفت اهتمام (حَميد) ولن تجعل أعدائه يقومون بتلك الجريمة بتلك الطريقة لتلك الأسباب التي يقولها، يحاول (حَميد) معرفة إن كان هنالك عدو مشترك له ومع الضحية، ولكن (جمال) ظَلَّ يفكر ولم يصل لإجابة، شعر (حَميد) أنه يضيع وقته مع (جمال) وأن هنالك شيء ما زال غير مكتمل، نهض (حَميد) وهمَّ بالمغادرة، ولكن (جمال) استوقفه قائلًا:

كان فيه موقف حصل لـ (سارة) في الفندق مع مهندس

المعلومات من حوالي ٣ شهور، بس احنا كنا السبب فيه مش المهندس.

وقف (حَميد) عند باب الغرفة الذي أغلقه مجددًا وعاد إلى (جمال) وقد أحس بشيء مثير للاهتمام قادم، عاد مجددًا إلى (جمال) يحدثه:

إيه هو الموقف؟

بدأ (جمال) في سرد ما حدث منذ ما يقرب منذ ستة أشهر عندما حدث عطل كبير في شقتها الفندقية واستلزم الأمر حضور أحد مهندسي المعلومات، وحينها قابلها المهندس (عماد حسن) وقد أُعجب بـ (سارة) وبدأ يتقرب منها ويتودد لها، وقد شعرت بذلك وأخبرت (جمال) بالأمر وحينها اتفقا أن يقوما بمجاراة المهندس وإيهامه أن (سارة) قد بدأت تكنُّ له المشاعر أيضًا وقد أخبرته أن (جمال) هو خالها الذي يعتني بها بعد وفاة والديها، كان كل ذلك بغرض الضحك والسخرية من المهندس الذي أخذ يتعلّق بسارة أكثر فأكثر حتى مرت ثلاثة أشهر، وحينها طلبت (سارة) منه أن يلتقي خالها الذي طلب لقاءه، وبالفعل تم اللقاء، وحينها تم كشف الخدعة للمهندس مع وصلة مستمرة من السخرية والتنمر عليه وعما فعلاه به وأنهما لم يجدا شيئًا مسليا في حياتهما مثل ما فعلاه معه، وفي النهاية نهر (جمال) المهندس (عماد) وأخبره فيما معناه ألا ينظر لما ليس في مقدرته وأن يحترم وضعه الذي هو فيه وأمره بالانصراف وعدم التعرض لـ (سارة) مجددًا، وبالفعل منذ ذلك الوقت لم يسمعا شيئًا عنه أو التقياه مجددًا.

استمع (حَميد) لما قاله (جمال) وهو يحاول استيعاب ما قام به ذو الستون عامًا مع ذلك الشاب، ولكنه لم يبدِ له أي ردة فعل عمّا قاله، فقط نهض وخرج من الغرفة وهو على يقين بأنه سيجد ضالته وراء ذاك المهندس، (عماد حسن).

عاد (حَميد) إلى الفندق وهو يعلم أنه يسير في الاتجاه الصحيح تلك المرة في تلك القضية، دخل (حَميد) بصحبة الطفل إلى غرفة الأمن التي يتواجد بها شاشات كاميرات

المراقبة، تفقد الكاميرات الموجودة في طرقات طوابق الفندق، قد كانت كاميرات ثابتة غير متحركة وترصد الحركة في الطرقات المؤدية للغرف وأيضًا هنالك كاميرا موضوعة بداخل المصاعد، يُبقي الفندق تسجيلات الكاميرات لمدة ١٤ يومًا وبعدها يتم مسح بيانات الكاميرات، شاهد (حَميد) ليلة مقتل الفتاة والكاميرا التي التقطت (جمال) وهو يدخل الغرفة، وأيضًا وهو يهرع إلى المصعد وهو ينظر خلفه، كان ذلك عندما قرَّر الهروب بعد رؤيته للفتاة مقتولة، ولم تظهر الكاميرا شيئًا آخر.

سأل (حَميد) عن مهندس المعلومات الذي كان متواجدًا يوم الحادث فوجد أنه (عماد حسن)، فطلب تسجيل الكاميرات الخاص بطابق المهندسين، أراد رؤية هيئة (عماد) بذلك اليوم وتحركاته وقت وقوع الجريمة، انتقل بعدها لمقابلة مدير إدارة الاتصالات بالفندق، وحينها ظَلَّ لفترة طويلة معه يحاول معرفة آلية النظام بالفندق وكيف تسير عملية إدارة كل الأجهزة الإلكترونية.

علم (حَميد) بأن كل الأجهزة الإلكترونية في الفندق هي الأحدث والأفضل عالميًا، وأن لديهم نظامًا إلكترونيًا شاملًا للأمن والحفاظ على أمان النزلاء، أخبره المدير بأن هنالك ٢٨ كارت ماستر يستطيع فتح أي غرفة بالفندق وهي موزعة بين عدة إدارات منها الأمن والنظافة والحقائب ومدير الفندق، وأيضًا مهندسي المعلومات حيث هم من يقوموا بإعدادها.

طلب (حَميد) بمراجعة كل الكروت التي ولجت إلى غرفة الضحية في ذلك اليوم، توتَّر مدير الاتصالات من ذلك الطلب بعدما وصلت لهم الأخبار أن هنالك متهم رئيسي بالقضية، لقد كان الأمر يمسُّ الفندق مباشرة ويؤثِّر على سمعتهم، فكان عليهم أن يكونوا على علم دائم بمستجدات تلك القضية، ولكن على كل حال انصاع المدير لطلب (حَميد) وقام بالولوج إلى جهاز المرور الخاص بغرفة الضحية، وحينها جلس (حَميد) بجانبه وهو يُظهِر البيانات على شاشة الحاسوب، أظهر النظام أن آخر كارت استُخدم لدخول الغرفة مسجل باسم (جمال

عسل) وهو ما كان يؤكد ما حدث، ولكن (حَميد) كان ينظر إلى أمر آخر، فقد لاحظ الفارق الزمني بين تسجيل الكاميرات وقت دخول (جمال) للغرفة ووقت استخدام الكارت لدخول الغرفة.

عاد (حَميد) مجددًا إلى غرفة الضحية وكان بصحبته الطفل الصغير ومدير الفندق أيضًا، وقف (حَميد) بالمطبخ وأمامه الطفل يحاولان تقليد ما قد حدث للضحية وأثناء تمثيل الأمر بدأ الطفل في البكاء مجددًا فخفق قلب (حَميد) وهو ينظر أمامه ليجد سيدة ثلاثينية بفستان أحمر ذي طراز قديم بعض الشيء، تقف أمامه وقد ملأ وجهها الغضب الشديد تمسك بسكين كمثل الذي قُتِلت به الفتاة وبدَتْ وكأنها ستنقض على (حَميد) لتقتله، ولكن حينها أغمض (حَميد) عينيه وبدأ يهرول وهو مغمض عينيه يحاول الخروج من الغرفة بسرعة وهو يعرج بسبب ساقه، أخذ يتخبط كثيرًا في كل شيء حوله وسط دهشة مدير الفندق لما يحدث، ولكن في النهاية نجح (حَميد) في الخروج من الغرفة وقلبه يكاد يخرج من صدره.

استطاع (حَميد) أن يتمالك نفسه تلك المرة بعدما خرج سريعًا من الغرفة، يقف مدير الفندق بجواره يحاول الاطمئنان عليه، ولكن (حَميد) فاجأه بسؤاله عن قسم خدمة الغرف وعن طريقة تنظيف الغرف:

أنتم بتنضفوا الشقق إزاي؟

بدأ المدير في التعوُّد بعض الشيء على غرابة أطوار (حَميد) وأجابه بأن خدمة الغرف مسؤولة عن تنظيف الغرف يوميًّا ويشمل ذلك تغيير أدوات المطبخ المتسخة بأخرى نظيفة، وقام المدير بالاتصال بقسم خدمة الغرف بناءً على طلب (حَميد) ليتأكد من أنه قد تم تنظيف الغرفة في اليوم الذي حدثت به الجريمة وهو ما أكده مدير الفندق لـ (حَميد) بالفعل، حينها طلب (حَميد) طلبًا أخيرًا من مدير الفندق وهو تفتيش مكتب المهندس (عماد حسن)، وحينها ازداد التوتر أكثر داخل أروقة الفندق.

حضر مدير أمن المنتجع مع مدير الفندق بعدما أحسَّا أن هنالك أمر كبير بتلك القضية، قام مدير الأمن بفتح مكتب المهندس (عماد حسن) وبدا أن (حَميد) يعرف إلى أين يتجه، لقد اتَّجَه إلى الكرسي الخاص بمكتب المهندس عماد حسن وأخذ يتفحصه وسط استغراب من مدير الأمن ومدير الفندق، وما إن فرغ (حَميد) مما يفعله حتى قام بطلب قسم الأدلة الجنائية ليحضروا إلى الفندق مجددًا ليقوموا بتحليل بقعة لزجة وجدها على كرسي المهندس (عماد حسن).

ما إن أتى أحد ممثلي الأدلة الجنائية وقام بأخذ عينة من تلك البقعة، حتى رحل (حَميد) من الفندق ليقوم بزيارة ثقيلة لأحد الأشخاص، زيارة المهندس (عماد حسن).

وصل (حَميد) إلى منزل المهندس (عماد) وطرق الباب عدة مرات حتى أجابه (عماد) فعرَّفه (حَميد) بنفسه وأخبره أنه أتى لسؤاله بعض الأسئلة عن تلك الجريمة التي حدثت أثناء نوبتجيته، كان (عماد) قوي البنية طويل القامة ممن يترددون على صالات القوى وهذا يبدو من حجم عضلاته التي تبرز من خلف ملابسه، كما أنه كان ثابتًا لا يبدو عليه القلق أو الرهبة من تلك الزيارة من (حَميد)، بل اصطنع الود وحسن المعاملة والتعاون الشديد من (حَميد).

علم (حَميد) أن الأمر سيكون أكثر متعة بعدما قابل (عماد)، يريد أن يتفحص تعابير وجهه أثناء حواره معه وكيف ستؤول الأمور معه في النهاية، بدأ (حَميد) في مباغتة (عماد) وأراه صورة له في ذلك اليوم حيث حدثت الجريمة قد التقطتها كاميرات الفندق وطلب منه أن يجلب له تلك الملابس ليفحصها، حينها علم (عماد) أنه قد وُضع في دائرة المشتبه بهم، وتيقَّن من ذلك بعدما علم أن (جمال) قد حكى عمَّا حدث مع (سارة) والتنمر الذي حدث له، قام (عماد) بسؤال (حَميد) إن كان مشتبهًا به في القضية فأجابه (حَميد) بأنهم قد حققوا مع كل الأفراد الذين تواجدوا في ذلك اليوم وقد حان الدور عليه.

وافق (عماد) ودخل لغرفته يجلب تلك الملابس لـ (حَميد)،

وما إن أتى بهم بدون الحذاء فطلبه (حَميد) أيضًا، فابتسم (عماد) ابتسامة خافتة وعاد لجلب الحذاء أيضًا، أمسك (حَميد) بالملابس لفحصها وتبيَّن أنها خالية من أي شيء يثير الشك حتى الحذاء كان يبدو نظيفًا للغاية، يعلم (حَميد) من نظرة (عماد) التي يملؤها الثقة أن أمر الملابس قد أُعد له مسبقًا وقد وجد له طريقة ما، قد تكون تلك الملابس هي نسخة مطابقة لتلك التي ارتداها يوم الجريمة. كان (حَميد) يوقن بأنه في حضرة المجرم وما هو إلا مجرد دقائق حتى يأتيه الخبر اليقين.

انتهى (حَميد) من فحص الملابس، وهنا ظن (عماد) أنه على وشك الرحيل، ولكن (حَميد) جلس على الأريكة الملاصقة لباب منزله ونظر إلى (عماد) الذي تغيَّرت ملامحه بعض الشيء حينها أشار له (حَميد) أن ينضم إليه ليجلس لتتغير نظرات (عماد) لـ (حَميد) وبدأ يتوتر قليلًا.

علم (حَميد) أن (عماد) يعيش وحيدًا نظرًا للغبار الموجود أمام بعض الغرف التي لم تُنظَّف لفترة طويلة، فقط الغرف التي يستخدمها (عماد) هي ما قد تشعر بها بالحياة وأكياس تلك الوجبات السريعة التي لاحظها عند دخوله المنزل، حتى الأريكة التي جلس عليها (حَميد) كانت محملة بالأتربة، ولكنه صمم أن يجلس عليها مع اتساخها الشديد.

عرض (عماد) على (حَميد) أن يقدم له مشروبًا ليشربه، ولكن (حَميد) رفض وبدأ في الحديث عن تلك الجريمة وأنها الأولى التي تحدث في ذلك المنتجع الفاره، وأن كل المسؤولين هناك يريدون غلق القضية بأسرع وقت حتى يبرؤوا أنفسهم من الأمر، ولكن الأمر لا يبدو كما هو عليه. بدأت الثقة التي على محيا (عماد) تهتز شيئًا فشيئًا وهو يهمُّ بالجلوس أمام (حَميد) يسأله:

إيه إلي خلى القضية فيها شك؟

هنا بدأ (حَميد) والذي أوضح لـ (عماد) أنه قد وصل لصورة تخيلية لما قد حدث، استهل (حَميد) شرحه بأن هنالك شك

ببراءة (جمال عسل) من تلك الجريمة، وأن المجرم الحقيقي قد صنع خطة قد تبدو له ذكية، ولكنها على النقيض فهي تنم عن غباء شديد لدى المجرم الحقيقي، قالها (حَميد) وهو يتابع ملامح وجه (عماد) الذي بدا عليه التركيز في حديث (حَميد)، استبدل نظرات الثقة بتلك التي يملؤها الترقب والحيطة من ذاك الشخص الجالس أمامه.

أوضح (حَميد) بأن جميع الكاميرات في أروقة الطوابق ثابتة وجميعها ذو زاوية متطابقة إلا تلك المتواجدة في الطابق الثامن، كانت زاويتها منحرفة بعض الشيء، الانحراف الذي قد لا يثير الانتباه لدى رجال الأمن في الفندق، ولكنه انحراف يصنع نقطة عمياء بسيطة لغرفة الضحية إن اتبعه المجرم بدقة شديدة أثناء الدخول والخروج، واستخدم حينها سلم الخدمات غير المراقب بالكاميرات بدلًا من المصعد، وحينها ظهر فقط (جمال عسل) على الكاميرات سواء أثناء دخوله الغرفة وخروجه مهرولًا بعد اكتشاف جثة الفتاة، أما المجرم فلم تلتقطه الكاميرات.

أما عن دخول الغرفة فقد كان المجرم يمتلك كارت ماستر استطاع به الولوج للغرفة والخروج منها، وأيضًا تم استخدام نفس الكارت للدخول إلى سلم الخدمات، كل ذلك كان بكارت تحت اسم (جمال عسل) وهو ينفي ما حدث في الحقيقة، حيث وقت تسجيل الكاميرات اختلف مع وقت استخدام ذلك الكارت، وأيضًا ينفي هروب (جمال عسل) إلى المصعد.

هنا بدأ نظرات القلق تظهر على وجه (عماد) الذي حاول أن يخفي قلقه وبدا أنه مهتم بكلام (حَميد) الذي أكمل تخيله بأن المجرم كانت له القدرة على الدخول على نظام الفندق ليمسح آخر دخول لـ (جمال عسل) للغرفة من نظام المراقبة، ولكنه لم يستطع محوه من سجل الـ logs على النظام، وهو ما أوضح أنه كارت ليس تابع للكروت المخصصة لـ (جمال عسل) المسجلة بالرقم التسلسلي المميزة، لكل كارت يُعد للنزلاء وإنما تم صنعه بواسطة المجرم.

بدأت ضربات قلب (عماد) تخفق تدريجيًا وبقي صامتًا لا

يتحدث، فلم يتم توجيه أي اتهام له بعد، ولكنه يعلم بأن طرف الخيط قد انسدل وأصبحت الأمور سلسة تخرج من فم (حَميد) كأنها بسيطة سهلة الكشف.

أكمل (حَميد) وصفه بأن المجرم دخل الغرفة واختبأ منتظرًا (سارة) أن تأتي إلى المطبخ وانقض عليها من الخلف واضعًا يده على فمها لمنعها من الصراخ وأمسك باليد الأخرى السكين البارد وبدأ في طعنها في القلب بهدوء شديد مستعينًا بقوته الجسدية بالرغم من انثلام السكين وهو ما ظهر جليًا في بعض عظام القفص الصدري للفتاة التي تبيَّن أنها كانت مهشَّمة نتيجة دفع السكين بالقوة داخل قلبها، حدث كل ذلك للفتاة وهي تقاوم دخول السكين لصدرها، ولكن قوة المجرم كانت تفوقها بالكثير، وما إن ماتت حتى تركها المجرم في بركة من الدماء ورحل مسرعًا للعودة بسرعة لمسح البيانات الخاصة بالكارت الذي استخدمه وإلا كان سيظهر أن (جمال عسل) قد دخل الشقة مرتين دون أن يخرج.

استكمل (حَميد) حديثه بأن المجرم كان يعلم بأن (جمال عسل) ما إن يصل للشقة فإنه يقضي وقتًا مناسبًا بالحمام ليستحم ويستعد لقضاء ليلته مع (سارة)، أما (سارة) فكانت تعد بعض الطعام الذي يوصله الفندق إلى غرفتها قبل وصول (جمال عسل) بقليل، انتهز المجرم فرصته وأحضر سكينًا كان بحوزته منذ فترة وقد أخذها من الغرفة أيضًا لأنها تحمل بصمات (جمال) عليها لتلفيق التهمة به، كل ذلك قد علمه عن طريق تلك الكاميرا التي وضعها بدلًا من جهاز الحريق والتي قام بتوصيلها بإنترنت الفندق وأصبحت هي عينه داخل الغرفة، وهو الأمر الذي ينفي التهمة عن (جمال) إن كان يشك في الفتاة فكان يستطيع وضعها في غرفة النوم بدلًا من الصالة، لكن المجرم كان مهتمًا بزرعها بمكان يسمح له بمراقبة الشقة كلها.

ما إن سمع (عماد) عن اكتشاف تلك الكاميرا حتى بدأ وجهه في الشحوب وانطفأ فجأة وتلاشت آخر نظرات الثقة من على وجهه وظَلَّ حبيس الكلام.

حينها وصلت رسالة على هاتف (حَميد) نظر بها بسرعة كأنه كان ينتظرها وابتسم بداخل نفسه ووجَّه نظره عائدًا إلى (عماد) ينهي حديثه معه:

عارف مين عمل الكارت الماستر ولغى الإنذار بعد فصل جهاز الحريق يا مهندس (عماد)؟

اتسعت عينا (عماد) وهو يعلم أن (حَميد) يعلم بأنه توصل أنه هو من قام بذلك، فأجاب (حَميد):

أنت بتتهمني أني أنا اللي قتلت (سارة) عشان الموضوع اللي حصل بيننا من كام شهر؟ حضرتك غلطان، أنا نسيت الموضوع يومها ومشوفتهاش خالص تاني.

أجابه (حَميد):

واضح أنك نسيت الموضوع بدليل القضيتين اللي عليك في خلال شهر، ضرب سواق ميكروباص وكنت هتموته واتصالحتوا بعد أما اديتلو فلوس، وخناقة الجيم مع صديق ليك وكسرتله ٣ ضلوع.

هنا احتد (عماد) في حديثه:

ده إيه علاقته بالقضية دي، وبعدين مش فيه أداة جريمة عندكم وعليها بصمات المجرم، كل اللي قُلته ده ميساويش حاجة مع أداة الجريمة، ولا أنا غلطان مبفهمش، معلش اعذرني أصلي جاهل في القانون.

ابتسم (حَميد) وهو يقوم بفتح باب منزل (عماد) وهو جالس على الأريكة ليظهر من خلفه عدد من الجنود الذين أمرهم بالقبض على (عماد) الذي اتسعت عيناه لما يحدث.

تحدث (حَميد) مكملًا:

وأنت بتقتل الضحية، إيديها اللي كان عليها دم مسكت بنطلونك الأسود من ورا بتحاول تتخلص منك وأنت مخدتش بالك.. الدم ده لقيناه على كرسيك في المكتب لمَّا رجعت تمسح بيانات الكارت.

ثم أكمل (حَميد):

كنت مركِّز في خطتك الإلكترونية أنت بس يا باشمهندس ونسيت تركز في البدائيات.

صمت (حَميد) لثانية قبل أن يكمل:

دلوقتي نقدر نقبض عليك بدليل كافي.

دخلت الجنود تقبض على (عماد) وهو متسمر في مكانه غير قادر على الحديث يحاول تمالك نفسه من الخوف الذي استولى عليه وكأنه يعلم أن نهايته قد حلت.

أثناء خروج (عماد) مع الجنود استوقفه (حَميد) قائلًا:

الكاميرا في الشقة كانت موجهة للمطبخ. أنت محتفظ بفيديو القتل مش كده؟

لم يجب (عماد) على سؤال (حَميد) وترك نفسه للجنود الذين اقتادوه إلى عربة الشرطة.

عاد (حَميد) إلى قسم البحث الجنائي ليلًا بعد انتهاء التحقيقات وتم الأمر بإخلاء سبيل (جمال عسل) بعد ظهور الأدلة الجديدة للقضية.

دخل (حَميد) إلى غرفة مديره ليجد (جمال عسل) ينقضُّ عليه يحيِّيه ويقبِّله ويلقي عليه كلمات المدح، لم يعجب (حَميد) بما يحدث له فحاول التخلص من يدي (جمال) الذي حدَّث (حَميد) قائلًا:

أنت نجدتني، أنا عمال أدعي ربنا أني مظلوم والحمد لله استجاب لدعواتي.

نظر له (حَميد) نظرات تهكم وكأنه يستمع لأحد الشيوخ الصالحين، فأكمل (جمال) حديثه لـ (حَميد):

أنا عارف إنك مبتحبش المحامي بتاعي، وعشان خاطرك أنا همشيه من عندي.

هنا نظر له (حَميد) وهو يستعد للرحيل من الغرفة قائلًا:

خليه، السيجارة بتاعته هي اللي عرفتنا إن فيه كاميرا في المكان وجهاز الإنذار مضربش.

سادت دهشة على وجه (جمال) وهو غير مستوعب ما قيل

له، ولكنه ظَلَّ هكذا وهو يراقب (حَميد) الذي نظر إلى مديره بعينيه مستفسرًا عن سبب طلبه له فسأله مديره:

قالوا لي إنك تعبت ونقلوك المستشفى، إيه اللي حصل؟

أجابه (حَميد):

رجلي تعباني شوية، لما أفضى هروح أكشف.

أومأ له مديره برأسه بأنه انتهى، فرحل (حَميد) من المكتب وتحرَّك إلى سيارته للعودة لمنزله يرتاح.

ركب (حَميد) سيارته واستعد للعودة للمنزل لتظهر له تلك السيدة ذي الفستان الأحمر مجددًا وهي تصيح به قائلة:

عايش أنت حياتك الناس تشكرك، وأنت المفروض تكون بتتعفن في السجن.

ظهر ألم ساق (حَميد) فجأة ولم يستطع التحكُّم في ساقه التي بدأت لا إراديًّا تزيد من سرعة البنزين ولا يقدر على التحكم بها.

ما زالت السيدة تصيح به:

فاكر إخواتك يا محمد، فاكر عملت فيهم إيه؟

هنا صاح (حَميد) بها قائلًا:

أنا معملتش حاجة، أنتي اللي طول عمرك ما اهتمتي بينا.

استمرت السيدة في الصياح بوجه (حَميد):

ذنبهم هيفضل في رقبتك طول ما أنت عايش.

هنا توتر (حَميد) وهو يصيح بها:

اسكتي.. اسسسسسكتي.

وما كاد أن ينهي صراخه حتى تفاجأ بسيارة أمامه متوقفة، ولكنه لم يستطع أن يرفع ساقه من على دواسة الوقود ليصطدم بقوة بالسيارة الأخرى ويرتطم رأسه وصدره بالمقود بقوة بالغة.

# (٤)

## حَميد

عيادة د. (هيثم مصطفى) للطب النفسي

يجلس (حَميد) أمام د. (هيثم) الذي ظلَّت نظراته تتفحص جسد (حَميد) الذي لم يخلُ من إصابة، وجهه مليء بالكدمات والخدوش المتعددة الناجمة عن شظايا زجاج، يده اليسرى وُضعت في جبيرة كبيرة وعُلِّقت على صدره بواسطة حامل يد، اختفت رقبته وراء ذلك الداعم لتقليل الألم الناتج منها، وقد تُركت ضلوعه تُشفى بمفردها حيث لم يستطيعوا فعل شيء بها، ولكنها تركت أثرًا كبيرًا في حركة (حَميد) الذي لم يكن يقوى على الجلوس حتى على المقعد.

علم د. (هيثم) أن (حَميد) قد نجى من أمر جلل، وقد أتى إليه مضطرًا أيضًا، فهو يتصل بهم للحجز أكثر من مرة ولكن لا يحضر، ولم يأتِ لزيارة الطبيب منذ شهور، أخرج د. (هيثم) الملف الخاص بـ (حَميد) الذي يشمل حالته الطبية التي كانت تشير إلى وجود اضطرابات نفسية بسيطة نظرًا لعمله في إحدى المصالح الحكومية الحساسة التي تسبب له بعض التوتر العصبي والنفسي جعلته مضطربًا ويعاني من القلق الدائم والأرق والصداع النصفي المستمر، كان كل ذلك في ملف (حَميد)، ولكن د. (هيثم) كتب في مسودة بجانب الملف أن المريض يتحفظ بشيء لا يريد الإفصاح عنه.

نظر د. (هيثم) إلى (حَميد) وهو يظهر علامات التعاطف يخبره:

ألف سلامة عليك، أنت كويس؟

أومأ (حَميد) له بالإيجاب فتابع د. (هيثم) قائلًا:

أعتقد أنك جيت النهارده عشان نبدأ من الأول وننسى التعارف القديم، بس قبل ما نبدأ أحب أعرف.. هل الحادثة اللي حصلت لك دي هي اللي خلتك تيجي النهارده؟

نظر (حَميد) إلى د. (هيثم) وشعر بشيء من التفاخر في

نظرته له وكأنه اكتشف اكتشافًا عظيم، لكنه في المقابل أصبح مضطرًا للعلاج الآن بعد ما حدث له، أصبحت الأمور تصعب شيئًا فشيئًا ولم يعد يستطع التحكم بالأمر، ويعلم أيضًا أن د. (هيثم) يعد من أفضل الأطباء النفسيين، كما أنه مناسب لمتطلبات (حَميد) ويشعر من زياراته السابقة أنه قد يستطيع مساعدته في مرضه.

قام د. (هيثم) يبدأ الحوار قائلًا:

ممكن تحكيلي اللي أنت عايزه.

انتظر حَميد مليًا وكأنه يفكر ويراجع نفسه فيما هو فاعل وعن عواقب الأمور، لكن ما إن انتهت تلك الحالة وعاد بنظره إلى الطبيب عقد العزم أخيرًا على التحدث. بدأ (حَميد) في التحدث مع د. (هيثم) يسرد له قصة قد حدثت منذ أكثر من ٢٤ عامًا عندما كان الطفل (محمد ماهر السيد حَميد) في السابعة عشرة.

أعد رجل الأعمال (ماهر حَميد) رحلة بحرية خاصة لعائلته الصغيرة التي كانت تشمل زوجته السيدة (نادية) سيدة الأعمال الخيرية الشهيرة وأشهر السيدات اهتمامًا بالموضة الأوربية ذاك الوقت رغم كبر سنها وامتلاكها ثلاثة أطفال هم (محمد) و(كريم) و(علي)، لكنها كانت تهتم بهيئتها ومكانتها الاجتماعية وسط الجمعيات النسوية وأنها كانت رائدة دائمًا في قيادة تلك الجمعيات، وتحوَّل شغفها بها إلى حب سيطرة ورغبة في تحكم كل زمام الأمور.

انعكس ذلك الأمر على بيتها وعلى أطفالها، لم تكن متواجدة معهم أغلب الوقت واكتفت بجليسات الأطفال لفترة من الزمن حتى أصبح أكبر أطفالها (محمد) في سن يافع وأصبح هو من يتولى رعاية أخويه (كريم) و(علي).

كان (محمد) في السابعة عشرة من عمره و(كريم) في العاشرة، أما (علي) فقد كان في الخامسة، تولَّى (محمد) مسؤولية تربية أخويه ومراعاتهما في ظَلّ انغماس والده في أعماله التجارية وسفره المتكرر، وأيضًا اهتمام والدتهم

بالجمعيات الخيرية وجمعيات المرأة وأخبار الموضة وجديدها، فأصبح هو من يهتم بدروسهما وأكلهما ويتابع حياتهما حتى تعلق بهما بشدة ولم يهتم بصنع علاقات صداقة مع زملائه بالمدرسة، فقد وجد في أخويه كل ما أراد، كما أنَّ أخويه اعتبراه هو ولي أمرهما؛ فكل شيء يحتاجاه يسألاه عنه ولا يذهبان لوالديهما. كان (محمد) فتًى نبيهًا يستطيع تحمل المسؤولية وهو في ذلك العمر، وقد اعتبر أخويه مسؤولَيْنِ منه وكأنهما طفلاه وسعى جاهدًا في التواجد بجوارهما أغلب الوقت.

انطلقت الرحلة البحرية المعتادة التي يصحبهم والدهم فيها إلى إحدى الجزر الخالية لقضاء معسكر صيفي لمدة أسبوع، كانت تلك الرحلة مكررة كل سنة، فقد كانت من وجهة نظر والدهم أن تلك هي واجبه تجاه عائلته، أن يجتمع بهم لأسبوع واحد في العام ليقضي معهم وقتًا سعيدًا، ليستطيع أن يتنقل بحريته باقي العام ظنًّا منه أنه قد أحسن صنعًا تجاه عائلته.

كانت الرحلة تقليدية مثل كل عام؛ نفس العدد، ونفس الباخرة، ونفس المعدات والأطعمة، لم يتغير شيء سوى سائق الباخرة، فلقد اعتذر السائق وأتى بآخر ليتولى أمر توجيه الباخرة خلال تلك الرحلة، ولم يكن عليه سوى اتباع توجيهات السائق السابق الذي أخبره بكل التفاصيل اللازمة.

بدأت الرحلة وكانت الأطفال مستمتعة بالجو المعتدل وشكل البحر الواسع حولهم وأخذوا يلعبون على سطح الباخرة ومعهم (محمد) يحاول الاستمتاع، لكنه وضع عينيه أيضًا على أخويه اللذين يركضان في كل مكان، كان (كريم) يرتدي تيشرت أسود وبنطال رصاصي ويركض مليء بالحماسة وفرط الحركة، أما (علي) فكان يرتدي تيشرت أصفر فاقع اللون وشورت أخضر قصير ويمسك بيده لعبة صغيرة لا تفارقه، أما والدتهم فتجلس مرتدية فستان أحمر ذا طراز غريب، لكنها كانت آخر صيحات الموضة آنذاك، وقد جلبت معها بعض مجلات الموضة وأخذت تقوم بقص بعض الوُريقات منها وإعداد قائمة ببعض الملابس التي أعجبتها، ووالدهم ذو الشارب النحيل

يرتدي قميص كاروهات فضفاض وشورت رجالي طويل وقبعة بيرية وقد قسَّم وقته في النوم ومراجعة بعض أوراق العمل الذي لم ينهِه بعد.

اقتربت الباخرة من الجزيرة التي يخيمون بها دائمًا فهلل الأطفال وأخذوا يشيرون إليها فرحين بوصولهم، بدأت الباخرة تقترب شيئًا فشيئًا من الجزيرة، حينها لاحظ (محمد) أن الباخرة تسلك طريقًا ليس هو المعتاد بالنسبة إليه، فهذا ليس المكان الذي ترسو به الباخرة، لقد أغفل السائق اتباع التعليمات الصحيحة، استمرت الباخرة في طريقها والأطفال يلعبون على سطحها، وفجأة حدث ارتطام شديد بأسفل الباخرة جعلها تقف مكانها فجأة وجعلت كلٌّ من (كريم) و(علي) اللذين يقفان بقرب الحافة القصيرة من الباخرة يرتطمان بتلك الحافة وتهوي أجسادهما في الماء أمام أنظار (محمد).

ركض (محمد) سريعًا إلى حافة الباخرة يبحث عن أخويه اللذين وجدهما بالأسفل، ولكن ليسا بالماء، لقد سقطا على صخور ظهرت واضحة من خلال الماء الضحل وهي من جعلت الباخرة ترتطم بقوة وأوقفتها.

بدأت الدماء تمتزج بالمياه وما إن رآها (محمد) حتى جُنَّ جنونه وأخذ يصرخ وهو يبحث عن مكان يستطيع الوصول منه إلى أخويه، لكنه لم يجد، لذا اتخذ قراره وقفز من الباخرة لترتطم ساقه بقوة بإحدى الصخور ثم يهوي لترتطم جبهته بأخرى ليندفع الدم من جبهته بغزارة، لم يشعر (محمد) بأن ساقه قد كُسرت وأخذ يمسح الدماء من على جبهته ليرى جيدًا وزحف على الصخور وهو يجذب أخويه ويضمهما إلى صدره ينتظر أن يفيقا، ولكن كان الأمر قد انتهى.

وصل الأب والأم إلى حافة الباخرة لينظرا ليجدا ذلك المشهد لتصرخ الأم وتسقط مغشيًّا عليها وهاج الأب وهو يحاول الوصول إليهم، ولكنه لا يستطيع الوصول إليهم، يعلم صعوبة النزول وسط تلك الصخور المدببة، يكاد عقله يُجن وهو يقف قليل الحيلة لا يستطيع الوصول إلى أولاده، ولكنه ظَلَّ يصيح بـ (محمد) يسأله عن حالة (كريم) و(علي)، لكن (محمد)

ظَلَّ محتضنهما لا يتحدث وسط علو صوت والده الذي بدا أنه قد فقد عقله.

حضرت النجدة بعد اتصال السائق بخفر السواحل على الراديو، وقاموا بانتشال (كريم) و(علي) وتقديم المساعدة إلى (محمد) حتى العودة إلى المستشفى، أما والدهم فقد أخذته نوبة بكاء مستمرة لم يستطع أن يتمالك أعصابه واستمرت والدتهم غائبة عن الوعي حتى عادوا إلى البر مجددًا.

كان الأمر منتهيًا عند وصولهم المستشفى، تم علاج (محمد) من إصاباته واستُخرِج تقرير الوفاة لأخويه، حاول (محمد) إلقاء نظرة أخيرة على أخويه، ولكن والده منعه بالقوة وصحبه للخارج واضعًا إياه في السيارة مع عكازه الجديد ووضع على رأسه المضمَّد قبعته البيرية لتحميه قليلًا من الشمس.

عادت العائلة إلى منزلها ورحلت الحياة منهم، ما زال (محمد) لا يتحدث وظلَّ في غرفته ينظر إلى الجرح الذي سببته الصخور في قدمه يتأمَّله وعقله يداوم في جلب ذكرياته مع أخويه أمام عينيه، لا يستطيع النوم، لا يستطيع الأكل، لا يستطيع التحدث، فقط كل شيء يذكِّره بأخويه اللذين لم يصبحا معه.

أما والده فقد تغيَّرت صفاته وأصبح شديد الغضب ولم يعد يعود للمنزل بعد الحادثة، ظَلَّ بعيدًا لا يريد العودة واكتفى بإرسال الأموال إلى زوجته وابنه والسؤال عليهما كل حين وآخر.

ووالدته أصابها الاكتئاب وانطوت على نفسها رغم كم التعازي الكبير الذي وصلها، ولكنها أحسَّت بتبلد في المشاعر وبدأت تتناول المهدئات بكثرة، وكانت كلما نظر إليها (محمد) وجد في عينيها نظرة الغضب واللوم تجاهه، وكأنها تتهمه لما حدث وعدم مراعاته ونجدته لأطفالها.

ظَلَّ الوضع كذلك لفترة طويلة، حاول الأب العودة إلى البيت ومتابعة حياتهم، ولكن الأمر كان في غاية الصعوبة، فقد

تحولت الحياة إلى جحيم بعد نوبات الغضب التي تملَّكت والده تجاه والدته، وأيضًا هروب والدته لأيام خارج المنزل دون معرفة مكانها ثم عودتها مجددًا، أصبح البيت مدمَّرًا لا روح فيه، حينها قرر (محمد) الالتحاق بكلية الشرطة بعدما أخذ رأي كلٍّ من (كريم) و(علي) اللذين انتقلا للعيش معه في غرفته.

تغيَّرت أحوال (محمد) كثيرًا للأفضل، ولاحظ والده الأمر وظن أنه قد تجاوز الأمر وبدأ يستكمل حياته نظرًا لأنه شاب صغير وأمامه أشياء كثيرة ليفعلها بالرغم من استمرار نظرات أمه الغاضبة له، لكنه لم يكن يعلم ما يحدث لـ (محمد) حتى وجده في أحد الأيام يتحدث إلى (كريم) مناديًا اسمه يشرح له شيئًا ما، وحينها صُدِم والده لما يحدث لابنه، وظَلَّ يتابعه عن بعد حتى تأكد أن ابنه أصبح مريضًا نفسيًّا يرى أخويه ويتحدث إليهما.

استعان والده بأحد الأطباء النفسيين وأخذ رأيه عن كيفية علاجه، وبالفعل بدؤوا بعلاج (محمد) واستبعاد وجود ورم بالمخ قد يكون السبب، وحينها تمَّ تشخيصه بمرض الفصام، وأخبروا (محمد) بمرضه وتم نقله إلى أحد المراكز النفسية الخاصة، الأمر الذي جعله ينهار وأصابته بانتكاسة أخرى، ولكنهم استمروا في علاجه حتى بدأ يتعافى وأيضًا بدأت تعود إليه حياته مجددًا، ولكن تلك المرة بدون أن يرى أحدًا من أخويه، كان هذا ما أخبرهم به، ولكن في الواقع أنه لم يستطع استكمال العلاج وكان يُظهِر لهم أنه يأخذ دواءه بانتظام، ولكن في الحقيقة ما زال (كريم) و(علي) يجلسان على سريره يلعبون سويًّا وهو يراقبهما، ولكنه قرر أن يكون أكثر حرصًا ويخفي وجودهما حتى لا يأخذهما أحدُ منه مرة أخرى.

دخل (محمد) كلية الشرطة وتخرج فيها وقد تمكن من إخفاء الأمر بقدر استطاعته حتى بدأت الأمور تخرج عن السيطرة بظهور والده ووالدته أيضًا له وهما يحاولان إلقاء اللوم عليه، الأمر الذي جعله يفقد اتزانه العصبي وسببَّ له العديد من المشاكل.

حاول (حَميد) التغلُّب على الأمر وعلاج نفسه دون أن ينكشف أمره، تناول بعض الأدوية المهدئة مع بعض الزيارات لبعض الأطباء النفسيين دون الإفصاح عمَّا يعانيه، ولكن هذا الأمر لم ينفع تمامًا وأصبح الأمر يزداد شيئًا فشيئًا وأصبح الأمر يهدد حياته، وكانت آخرهم تلك الحادثة.

استمع الطبيب لـ (حَميد) في اهتمام شديد، وكلما أكمل (حَميد) حديثه ازداد الطبيب دهشة بـ (حَميد)، لم يصادف الطبيب أو سمع عن شخص استطاع تحمُّل مرض الفصام لأكثر من ٢٤ عامًا دون علاج واضح مستمر، لقد استطاع التعامل مع كل تلك الضلالات والأوهام والتمييز بين ما هو حقيقي وما هو وهمي، كما أنه استطاع أن يأتي بمفرده إلى الطبيب ليشرح له الأمر بمفرده فهذا أمر استثنائي، أمر أن يظل حيًّا حتى تلك اللحظة يعد أمرًا مستحيلًا بواقع ارتفاع نسبة حالات الانتحار التي يقوم بها مرضى الفصام إن لم يحصلوا على المساعدة، كانت حالة (حَميد) تستحق الاستماع والإنصات لها.

وجَّه الطبيب سؤالًا إلى (حَميد):

بما أنك مدرك أنك مريض، ممكن تشرحلي بشكل مبسط حالتك إيه؟

أسرد (حَميد) في حديثه وهو يعلم مغزى ذلك السؤال، أكمل كلامه وهو يخبر الطبيب أنه يعلم أنه مصاب بالفصام منذ أخبره صديق والده بالأمر وأن تلك الشخصيات حوله ما هي إلا ضلالات من صنع عقله، وعلى مدار الوقت حاول أن يتعامل معهم بما يخدم مصلحته، ولكن الأمر قد يخرج عن السيطرة في بعض الأوقات وقد تكون هنالك انتكاسات قوية قد تدفعه لهلاكه، لكنه مستمر في مقاومة ذلك الأمر.

سأله الطبيب:

ممكن تحكي لي عن الانتكاسات اللي حصلت لك قبل كده؟

أخبره (حَميد) عن بعض الانتكاسات التي كانت أولها عندما حاول الانتحار بالقفز من أعلى إحدى البنايات عندما بدأ في تناول العقاقير وابتعد عنه أخواه مجددًا، ولكن عجوزًا ما

خرج من العدم وأمسكه قبل أن يلقي بنفسه، وحينها ركض (حَميد) مسرعًا إلى منزله لا يصدق ما كان سيفعله، وأخبره (حَميد) عن تلك المرات التي تشاجر بها مع زملائه في كلية الشرطة فقط لأن صوتًا يسمعه قد حفَّزه وأخبره أن أصدقاءه يكنون له المكايد ويريدون موته، ولكن سرعان ما إن تنتهي المشاجرة حتى يعلم أنها ضلالات قد تملَّكته، ولحسن حظه أنهم لم يكتشفوا أمره ووصفوه بأنه مثير للمشاكل فقط واكتفوا بالجزاءات والحرمان من الإجازات في تلك الفترة.

لكن أكبر انتكاسة تحدث له هي بمجرد أن تظهر له والدته أو والده فيكون الأمر لا يحتمل ويصاب بنوبة ذعر كبير ويتذكر ألم ساقه الشديد الذي صاحبه يوم الحادثة والعكاز الذي استخدمه في تلك الفترة حتى برئت قدمه من جروحها، لا يستطع تحمُّل كلام والدته وهي تلومه عمَّا حدث وأنه لا يستحق الحياة، أو والده الذي يظل واقفًا أمامه لا يتحدث، ولكن نظراته تشير له عن كل شيء، نظرة تخبره أنه السبب في كل ما حدث لأخويه وأنه المسؤول عن مقتلهما.

حاول (حَميد) جاهدًا أن يبتعد عن كل شيء يزيد مرض الفصام لديه، فقد درس الطرق العلاجية له، فقد قاوم شرب المخدرات مع علمه أنها ستجعله ينسى، ولكنها سرعان ما ستزيد الأعراض وسينتهي به الأمر منتحرًا أو مقتولًا، وابتعد عن الضغط العصبي الذي سببته عائلته له، فقد هجرهم منذ دخوله كلية الشرطة ولم يزُرهم من حينها ولم يرَ أحدًا منهم إلا تلك المرات القليلة جدًّا التي أتى فيها والده ليسأل عنه، كما عاد لتناول أدوية مضادات الذهان المستخدمة في علاج الفصام، ولكنه لم يستمر عليها عندما بدأ (كريم) و(علي) يقلَّان من مجيئهما له والتحدث إليه، وبدأت تسوء حالته أكثر بغيابهما.

هنا علم د. (هيثم) عن سبب مجيء (حَميد) إليه، هو لا يبحث عن علاج وغير مستعد له، فهو يعرف الطريق الصحيح، ولكن لا يريد سلكه، هو يبحث عن طريقة ما في الاحتفاظ بأخويه مع ترك كل الأعراض الأخرى، كان ذلك واضحًا من

كلام (حَميد) الذي يعلم الكثير عن مرضه ويعلم أيضًا عن طريقة علاجه، ولكنه لن يستخدمها.

بدأ الطبيب حديثه مع (حَميد) يسأله عن عمله، بعدما علم عن طبيعة عمله وكيف له أن يستطيع حل قضايا القتل دون تأثير ذاك المرض عليه وهل فعلًا هو يعمل لدى جهاز الشرطة وأن كل الأشخاص الذين يتعامل معهم حقيقيون، كان يقصد بذاك السؤال أن يثير عقل (حَميد) وأن يجعله ينظر للأمر بأنه كبير وقد يكون مرضه تفاقم ويعيش في عالم كامل من الضلالات، حينها لم يجد (حَميد) ردًّا لسؤاله وارتجف قلبه وبدا أنه يفكر في سؤال الطبيب وهل حقًّا هو يعيش في عالم من الوهم وأن كل شيء حوله غير حقيقي.

ظَلَّ (حَميد) صامتًا حتى كسر الطبيب صمته يسأله:

مقدم (محمد)، ممكن أشوف كارنيهك؟

هنا تذكَّر (حَميد) بأن معه إثبات عمله كضابط شرطة، ولكنه لم يستطع التفكير به ولم يفكر حتى في دحض مزعم د. (هيثم)، أحس (حَميد) بأنه واقع تحت تشويش كبير وأنه غائب عن التركيز لسبب لا يعلمه، لكنه استمع للطبيب وأخرج محفظته وأشهر بطاقة تعريفه للطبيب الذي تأكَّد بالفعل من عمله كضابط شرطة، ولكن (حَميد) ما زال يسرح فيما حدث، لماذا ظنَّ لوهلة أنه ليس ضابطَ شرطةٍ وأنه قد اختلق كل ذلك فعلًا وبدأ في تصديق الأمر.

استوقف الطبيب سرحان (حَميد) ليخبره:

اللي حصلك ده عادي متقلقش، التركيز عندك ممكن ميبقاش موجود في أمور كتير، خصوصًا لو مش مهتم بيها.. بس أنت بتقولي إن تركيزك كويس في القواضي وبتعرف تحلها فده شيء كويس.

نظر (حَميد) إلى الطبيب وعلم أن الطبيب يظن أن كل قدراته في حل القضايا ما هي إلا ضلالة أيضًا وأن (حَميد) هو من اختلق الأمر وصدَّقه، شعر (حَميد) بشيء من عدم الارتياح والغضب من د. (هيثم) وحاول لملمة شتات نفسه وتحدث

للطبيب قائلًا:

أخبار دكتورة (أمل ياسين) إيه؟

هنا اتسعت عينا د. (هيثم) فجأة وتجهَّم ولم يستطع الحديث ليكمل (حَميد) كلامه:

أنا عارف بعلاقتك مع د. (أمل)، بس متخافش مقولتش لجوزها أو مراتك.

تسارعت ضربات قلب د. (هيثم) وأجاب (حَميد) بصوت متوتر:

إيه اللي أنت بتقوله ده، دي حكاية ألفتها وأنت قاعد دلوقت؟

أخرج (حَميد) هاتفه وهو يشغل أحد الفيديوهات ود. (هيثم) ود. (أمل) يخرجان من نفس الغرفة بأحد الفنادق ويلقي عليها بقبلة قبل أن يغادرا الفندق، وأتبع (حَميد) قائلًا:

ممكن أكون ألفتها، بس صورتها كمان؟

هنا ارتجف (هيثم) وهو لا يصدق ما يحدث، لا يعلم ما يقوله، ولكن (حَميد) أخبره:

زي ما قولتلك الفيديو ده خاص بيا ومحدش شافه غير اللي صوَّره، وسبب أني صورته واخترقت خصوصيتك.. أني هستأذنك أن محدش يعرف بالمرض اللي عندي، أنا عارف أن ده ضد ميثاق العمل بتاعك وأني أعتبر خطر أني أكمل في الشغل، بس اللي أنت عملته ده ضد ميثاق الأخلاق برضه فأتمنى أن ده يساوي ده.

ظَلَّ (هيثم) صامتًا لا يجد ما يقوله، لأول مرة كطبيب نفسي لا يجد ما يستطيع قوله أو استكمال جلسة نفسية، لا يعلم ماهية ذاك الشخص الذي أمامه، ولكنه قد اجتاز حاجز الخطر وأصبح يهدد طبيبه النفسي شخصيًا.

أكمل (حَميد):

أنا ارتحت للكلام معاك يا دكتور وأتمنى أنك تعالجني فعلًا وأنا مشكتنش في قدراتك من أول مرة جيت فيها هنا، بس كنت

منتظر الوقت المناسب.

ثم قام (حَميد) من جلسته وهو يقول لد. (هيثم):

هستأذنك أني أمشي دلوقت، عشان باقي المرضى ياخدوا فرصتهم.

استعد (حَميد) للرحيل، ولكن جاء صوت (هيثم) الضعيف يوقفه:

عرفت إزاي؟

وجه (حَميد) نظره إلى د. (هيثم) الذي نظر إليه وقد وجد نظرة ضعف في عينيه وهو ينظر له يسأله مجددًا:

عرفت إزاي بعلاقتي بـ (أمل)؟

استدار (حَميد) وهو يعود مجددًا لـ (هيثم) يخبره بالأمر، وحينها عاد بالزمن لثلاثة أشهر مضت، حينها كان (حَميد) يجلس منتظرًا (هيثم) في العيادة، وعندما حضر وأسرع إلى غرفته الخاصة كان (حَميد) أول المرضى، لكنه انتظر قليلًا حتى أذن له السكرتير بالدخول، وما إن قابل (حَميد) د. (هيثم) حتى علم بما يخفيه د. (هيثم).

توقَّف (حَميد) عن الحديث وهنا نظر له د. (هيثم) بأنه لا يفهم ماذا يقصد، ما سبب معرفته بعلاقته بـ (أمل)، فاستكمل (حَميد) الشرح وأشار إلى معصم د. (هيثم) الأيسر، عند دخول (هيثم) المكان كان يرتدي ساعة يد جديدة، ولكنها ليست بذات القيمة لتلك الساعة القديمة التي قام بلبسها بمجرد دخوله إلى غرفته بالعيادة، لقد ارتدى الساعة الجديدة خصيصًا لمقابلة من أعطاه له كهدية، ولكنها ليست المفضَّلة له، لذا قام بتغييرها بمجرد عودته للعيادة، كما أنه قام بتغيير بذلته بأخرى متماثلة الفرق بينهما في الكي، كان بنطال بذلته الأولى غير مهندم وبه عدة كسرات من الأمام والخلف يبدو أنه خُلع ورُمي ثم أعيد لبسه مجددًا، أما البنطال الآخر كان مكويًّا جيدًا من الحز الجانبي بعناية كما يقوم به المكوجي، قام د. (هيثم) بتغيير البذلة خصِّيصًا بعد عودته لإخفاء شيء ما، كما أن جلد يده كان مجعدًا بوضوح بسبب المياه، لقد أمضى وقتًا

طويلًا تحت الماء، ولم يكن حمام سباحة لأن شكل الجلد لم يتأثر عند رقبته ووجهه، لقد كان ذلك تأثير جلوسه داخل البانيو لفترة طويلة وبالتأكيد لم يكن بمنزله، فالسكرتير الخاص به ما هو إلا جاسوس شخصي لزوجته التي تشكُّ في زوجها والسكرتير يعطيها التمام اليومي لحضور الطبيب الذي يعلم بأن سكرتيره يشي به لزوجته، ولكنه استطاع استخراج عدة ساعات بعد عمله بالمشفى ليلتقي فيه بعشيقته، فما إن وصل الطبيب للعيادة حتى اتصل السكرتير بزوجة د. (هيثم) يبلغها بوصوله وهو ما لاحظه (حَميد)، وأخيرًا تلك الرائحة التي تفوح من د. (هيثم) وهي رائحة جل الاستحمام الذي استخدمه في الفندق.

ينظر (هيثم) مندهشًا لما يسمعه من (حَميد) وعن تلك الملاحظات التي استخرجها بمجرد النظر لـ (هيثم) واستنتج أنه يخون زوجته فعلًا، وحينها سأل (حَميد):

وفضلت مراقبني عشان تصورني مع (أمل)، كل ده عشان أعالجك بدون ما أبلغ عنك؟

هنا أجابه (حَميد):

الجزء التاني صحيح، الجزء الأول غلط، أنا كنت براقب (أمل) مش أنت عشان أعرف هتتقابلوا امتى.

سادت الدهشة على وجه (هيثم) وهو يقول:

أنت عرفت (أمل) إزاي قبل ما تشوفنا في الفندق؟

أجابه (حَميد):

أنت اللي سهلت عليا وأكدت لي استنتاجاتي لما قلت لي الدوا ده مش هلاقيه غير عند الصيدلية اللي تحت العيادة، أعتقد أنك كنت بتجاملها وبتفضحوا نفسكوا، وهناك وبالصدفة لقيت نفس ريحة جل الاستحمام على صاحبة الصيدلية، لا وكمان إيديها كانت مكرمشة زي إيدك.

صمت (هيثم) لما سمعه، ولكن (حَميد) أكمل:

عرفت أن اليوم اللي هتكون حاطة فيه كل مساحيق التجميل على وشها ولابسة كل المجوهرات هيكون يوم خاص ليها،

وبمجرد زيارة يومية للصيدلية لأيام بسيطة عرفت اليوم اللي هتتقابلوا فيه.

حينها سأله د. (هيثم):

كل ده وأنت عارف ومعملتش حاجة بالفيديو؟

أجابه (حَميد):

قولتلك أنا مقصدتش أخترق خصوصيتك ولا أذيك، أنا عملت ده تأمين لنفسي، أنا لو مكنتش محتاجك مكنتش عملت كل ده.

ثم أكمل(حَميد):

ها، الجلسة الجاية هتبقى امتى؟

اندهش (هيثم) من السؤال، ولكنه أجاب (حَميد) بسرعة قائلًا:

اللي تحبه، ممكن الأسبوع الجاي لو يناسبك.

أجابه (حَميد) بصوت هادئ:

هتكلم قبل ما آجي أحجز ميعاد.

عاد (حَميد) إلى منزله وهو سعيد بعض الشيء، فهو يعلم أن هنالك من سيساعده دون الإفصاح عن مرضه، لم يركز كثيرًا في طريقة إقناع د. (هيثم) الإرغامية، لكنه اهتم بالجزء المفيد وهو أنه سيبدأ رحلة علاج سيحاول بها التخلص من الضلالات المزعجة له، لكنه وجد من يعكر مزاجه حين خرج من باب المصعد، لقد وجد والده (ماهر) ينتظر أمام شقته.

تغيَّرت ملامح وجه (حَميد) للعبوس وانقبض قلبه فجأة، يقف والده الكهل أمامه وقد أصبح ضعيفًا هزيلًا لا يقوى على الحركة، قد تجاوز السبعين الآن ولم يعد لديه قوة للتحرك، ما إن رأى (حَميد) حتى تحرَّك خطوات بطيئة باتجاهه وبدأ يتحدث إليه:

كلموني قالوا لي إنك عملت حادثة كبيرة وإنك في العناية المركزة، بس أنا كنت تعبان جدًّا مقدرتش أجيلك، ولما خفيت شوية قالوا لي إنك سبت المستشفى.

أجابه (حَميد) بصوت سمج:

أنا كويس، تقدر تمشي.

صمت (ماهر) قليلًا ولم يجد ما يقوله، ولكنه فجأة سأل (حَميد):

أنت لسه بتشوف (كريم) و(علي)؟

انقض (حَميد) على فم والده واضعًا يده عليه قائلًا:

اششششششش... متجيبش سيرتهم على لسانك.

هنا هربت دمعة من عيني والده وهو يحدثه من وراء يد (حَميد):

سيبهم يروحوا يا ابني، سيبهم وحاول تتعالج.

هنا أزال (حَميد) يده من على فم والده وهو يقول له:

امشي، مش عايز حد فيكم ولا أنت ولا هي تيجوا لي تاني.

زادت الدموع في عيني والده وهو يخبر(حَميد):

أمك ماتت ومش هتجيلك تاني.. متزعَّلش نفسك.

أغمض (حَميد) عينيه لسماع ذلك الخبر، فأكمل والده حديثه:

(نادية) قبل ما تموت قالت لي أقولك رسالة، رسالة قالتها لك مليون مرة قبل كده.. (نادية) بتقولك إنها عمرها ما لامتك على اللي حصل ولا أنا لومتك على اللي حصل يا (محمد)، اللي حصل قدر ربنا وزعلنا عليه، بس يا ابني عمر ما حد فينا لامك.. لو هنلوم حد فهو أنا وأمك عشان شيِّلناك المسؤولية وأنت صغير.

ثم ربَّت على كتف (محمد) وهو يهم بالرحيل قائلًا:

اتعالج يا (محمد)، اتعالج يا ابني وعيش حياتك.. اتعالج.

# (٥)

# قبلت التحدي

عيادة د. (هيثم مصطفى) للطب النفسي

يجلس (حَميد) أمام د. (هيثم) يتحدثان سويًا، أخبره (حَميد) بوفاة والدته وأنه لم يشعر بحزن أو أسى لذاك الخبر، كما أنه لم يشعر بغضب أو لوم تجاهها، فقط لم يشعر بأي شيء، لم يبكِ، لم يرغب في تذكرها، حاول أن يُظهر ملامحه بأنه حزين أمام والده، لكن وجهه فضحه وأظهر عكس ذلك، بدا كأنه لا يبالي.

يستمع د. (هيثم) إلى (حَميد) في اهتمام وهو يسجل بعض الملاحظات في حديثهما، يعلم د. (هيثم) أن (حَميد) قد تملَّكه المرض وأن ما هو فيه ليس إلا عرضًا من أعراض المرض، اللامبالاة المتناهية، مهما حدث له أو لأحد أقربائه فلن يهتم ولن يستطع تمييز مشاعره حينها، لذا لم يستغرب د. (هيثم) سلوك (حَميد)، وبدأ في الحديث إلى (حَميد) قائلًا:

ده شيء طبيعي وده سببه الفصام اللي عندك، بمجرد ما تتعالج كل ده مش هيتكرر.

صمت (حَميد) حينها وهنا تولى د. (هيثم) الحديث:

حاسس أن فيه حد بيراقبك يا (حَميد)؟

تعجب (حَميد) للسؤال، ولكنه أجاب (هيثم) بثقة:

لا مفيش حد بيراقبني، لو فيه حد بيراقبني كنت اكتشفته.

صمت (هيثم) لفترة ليجعل (حَميد) يدخل في دوامة تفكيره مجددًا وهو ما حدث بالفعل، لقد بدأ عقله يستولي عليه مجددًا فيخبره أن بواب العمارة نظر إليه هذا الصباح نظرة غير معتادة، هل هو من يراقبه فعلًا، أم إنه الرجل في السوبر ماركت الذي اصطدم به واعتذر له، هل هو من يراقبه، أم إنه عامل الدليفري.. هنا استرجع (حَميد) اتزانه وتوقَّف عن التفكير فجأة وهو يصيح في د. (هيثم):

أنت عايز مني إيه، إيه اللي أنت بتعملوا فيا ده؟

تحدث (هيثم) مستكملًا الجلسة:

ممكن تكلمني عن أصدقائك في الشغل، علاقتك بيهم إيه؟

قاطعه (حَميد) بحدة:

مليش أصدقاء.

فأبدى د. (هيثم) تراجعه عن كلامه قائلًا:

الناس اللي معاك في الشغل، بتتعاملوا إزاي؟

بدأ (حَميد) في التعريف عن زملائه في العمل، العميد (سعيد رسلان) وهو شخص منضبط يحترم عمله ولا يهتم بالإنسانيات ولا العواطف، فقط العمل وليس شيء آخر، يوجد به بعض من حب الوصول والسعي وراء المناصب، يهتم بأن يظهر قسمه أنه أفضل قسم في الوزارة وأنه يمتلك أفضل وأكفأ الضباط.

وأيضًا المقدم (حسام جمال) وهو كسول ودائم المشاكل لا يريد أن يعمل، يفضِّل الجلوس دون أن يُكلَّف بأي عمل، والمقدم (أيمن ناصف) وهو شخص غليظ عنيف لا يحترم أحدًا، يتسم بالانتهازية وفعل أي شيء لمجرد أن يلمع اسمه فقط، هاذان هما من يشاركانه مكتبه، أما باقي الضباط فهم أصغر منه سنًّا ولا يحتك بهم ولا يتعامل معهم.

فسأله د. (هيثم):

جربت تلاقي صديق ليك، سواء من الشغل أو برة الشغل؟

أجابه (حَميد):

كلهم دون المستوى، محدش فيهم هيفهمني.

فرد عليه (هيثم):

مش محتاجين صديق أنه يكون بمستوى ذكائك، احنا محتاجين واحد تتكلم معاه.

ثم أكمل د. (هيثم):

دوَّر على صديق حقيقي تتكلم معاه ونشوف إيه التغير اللي هيحصل.. أي صديق.

عاد (حَميد) إلى مكتبه فوجد كلَّ من بقسم البحث الجنائي يشاهدون التلفاز والأخبار العاجلة، كانت كل القنوات تذيع نفس الخبر، مدينة الواحة تم غلقها بسبب انتشار وباء ما يدفع الناس إلى الجنون، أنباء عن آلاف القتلى وعن وضع المدينة تحت الحجر الصحي حتى يكتشفوا سبب الوباء واحتوائه قبل انتشاره، تحوم الطائرات فوق المدينة تصوِّر ما يحدث، كان الأمر أشبه بفيلم سينمائي والجميع يشاهده في اهتمام.

لم يهتم (حَميد) لتلك الأخبار، بالرغم أن مدينة الواحة تبعد عن مدينة الكرمة -حيث يعيش- بأقل من ٦٠ كم، ولكنه لا يبدي أي خوف أو اهتمام لما يحدث هناك، دخل المكتب وجلس على مكتبه يتابع عمله ويستمع إلى زملائه في المكتب الذين بدوا مهتمين لما يحدث ومتخوِّفين إن كان ذلك الوباء قد يصل إلى مدينتهم.

انقضى معظم اليوم في أحاديث كل من بقسم البحث الجنائي عن ذلك الحدث، لم يهتم أحد بالحوادث الداخلية والمفترض أن يقوموا بحلها، بل إن أغلب من حضر إلى مكتب الشرطة الخدمي لتقديم بلاغ أو شكوى، انشغل عمَّا كان سيفعله وظَلَّ يتابع أحداث مدينة الواحة، الأمر الذي جعل (حَميد) يشعر بالملل، وحينها قرر أن يغادر العمل متجهًا للمنزل، ولكن تفاجأ بنقيب شاب يدخل المكتب ويبدو أنه يبحث عن شخص ما، وما إن رأى (حَميد) حتى توجه إليه قائلًا:

ممكن أسأل حضرتك عن حاجة في قضية أنا مسؤول عنها؟

يجلس (حَميد) على مكتبه غير مستوعب ما يحدث، هل هذا الشاب في كامل قواه العقلية، هل لا يعلم من هو (محمد حَميد) وما هي سمعته وسط زملائه؟! هل دفعه أحد الضباط الكبار ليستمتع إلى ما سيحدث من إهانة وتوبيخ أم بالفعل قد أتى في طلب المساعدة، ولكنه قد اختار الشخص الخاطئ، الخاطئ تمامًا.

أشار (حَميد) إلى الشاب بيديه أن يرحل، لكن الشاب ظَلَّ واقفًا لا يستمع لما أمره به (حَميد)، وأكمل حديثه:

أنا آسف معرَّفتش نفسي لحضرتك، أنا النقيب (عبد الرحمن مصطفى)، في المكتب اللي جنب حضرتك.

بدأ (حَميد) في تغيير ملامح وجهه للغضب وهو يتحدث للشاب بحنق:

هي دي -أشار بيده مجددًا- مش مفهومة؟!، معناها امشي.

اقترب (عبد الرحمن) إلى (حَميد) الذي ذُهل مما يفعله ذاك الضابط، وحينها تحدث (عبد الرحمن) إلى (حَميد) وهو يهمس بصوت منخفض:

معايا قضية من اللي أنت بتحبهم، مجرم ارتكب سرقة ٣ مرات ومتصور ومعانا صورته بس محدش يعرف عنه حاجة ولا عمر حد شافه قبل كده.

أجابه (حَميد) متهكمًا:

دي خيابة وبلادة منك، كده حليت لك القضية؟!

تغيَّرت ملامح (عبد الرحمن) بعض الشيء لما سمعه، ولكنه سرعان ما استكمل كلامه مع (حَميد) قائلًا:

دي صورة المجرم في أول عملية سرقة، الكاميرا جابته وهو بيبص للكاميرا قاصد وكأنه عارف أنه بيتصور، بس في المرات اللي بعدها الكاميرا لقطته، بس مبصلهاش مباشرة.

استمر (حَميد) ينظر إلى (عبد الرحمن) في ضيق شديد، يظهر له أنه غير مهتم لما يقوله الشاب تمامًا وظلَّ ينظر له محدقًا وكأنه يخبره أن صبره قد نفذ، حينها علم الشاب أنه لن يحصل على ما يريد في ذلك الحين، ولكنها قام بترك جزء من ملف القضية أمام (حَميد) وهمَّ بمغادرة المكتب.

صاح (حَميد) بالضابط مناديًا إياه بالرجوع لأخذ الملف، ولكنه لم يستجب له، ولكن صوت (حَميد) العالي جعل كلَّ من بالمكتب يتركون الأخبار ويتجهون بنظرهم صوبه فوجد الجميع ينظر له وقد رحل (عبد الرحمن) من المكتب بالفعل وظَلَّ هو يبدو كالمجنون الذي يصيح على لا شيء.

جلس (حَميد) مجددًا بعدما هدأ نوعًا ما وانشغل عنه

الآخرون بالتلفاز مرة أخرى، نظر (حَميد) على مكتبه إلى ذاك الملف الذي تركه (عبد الرحمن)، شيء ما بداخله يحثه على فتحه وإلقاء نظرة سريعة على تلك القضية، نظرة خاطفة لن تضره في شيء، لكن جزء من كبريائه يمنعه أن يفعل ذلك ويرضخ لرغبة ذلك الشاب الذي تركه ورحل دون أن ينصت لأوامر من هو أقدم منه، ولكن حينها انتصرت رغبته على كبريائه وقام بفتح الملف يتفحص تلك القضية.

كانت القضية تخص أحد السارقين الذي قام بعدد من عمليات السطو على محطة وقود ومتجر للمصوغات الذهبية وأحد متاجر الجملة الكبرى، كان يوجد داخل ملف القضية فلاشة قام (حَميد) بتشغيلها ومشاهدة الفيديوهات الموجودة عليها، يظهر أحد الفيديوهات عملية الاقتحام وكيف كان السارق يرتدي ملابس عادية غير ملفتة للأنظار، لكنه قام بإخفاء وجهه بواسطة قناع قماشي أسود لم يظهر منه سوى عينيه، لم يمضِ السارق الكثير من الوقت حيث اعتمد على عامل الترهيب، دخل محطة الوقود، أشهر مسدسه، قام بإطلاق عيارين ناريين واتجه إلى عامل الخزينة يأمره بإخراج النقود وهو ما حدث بالفعل وسط خوف شديد من جميع المتواجدين الذين استلقوا على الأرض خوفًا من ذلك المسلح.

سجَّلت كاميرا المحطة ما حدث وكيف تعامل ذلك السارق منذ دخوله حتى خروجه من المحطة وهو يشهر سلاحه في وجه إحدى مالكات السيارات التي تقف في المحطة يأمرها بالترجل الفوري، وأخذ منها السيارة وانطلق مسرعًا وسط ذهول كل من بالمحطة لما حدث.

تم سرقة ما يقرب من ١٢٠ ألف جنيه من المحطة بالإضافة إلى السيارة المسروقة التي تم العثور عليها على مقربة من إحدى محطات النقل العام، وبمتابعة جميع الكاميرات المتواجدة في المكان تم رصده بواسطة كاميرا محطة النقل العام بنفس هيئة الزي، ولكن دون غطاء الرأس، وحينها قام بالنظر في الكاميرا المتواجدة هنالك للحظات معدودة ثم استقل إحدى حافلات النقل العام.

كانت نظرة السارق تدل على التحدي، نعم لقد ظهرت أمام الكاميرات وكأنه يقول لتمسكوا بي إن استطعتم.

بالفعل كان البحث عنه أشبه بالبحث عن إبرة في كوم قش، كانت عناصر الشرطة لديها صورته جلية واضحة، ولكن المشكلة لمن تكون تلك الصورة، الرجل ليس مجرمًا أو مسجلًا سابقًا يسهل التعرف عليه، حتى بعد تعميم صورته على كل مكاتب الشرطة ومفوضيها، لم يتم التعرف عليه، وبسؤال كل من كان بالمحطة وسائق الحافلة التي استقلها لم يستطع أحد تذكره أو التعرف عليه أو حتى معرفة مكان نزوله من الحافلة، وكأنه لم يكن موجود من الأساس.

وسط بحث الشرطة عن ذلك السارق ومتابعتهم للقضية، ظهر المجرم مجددًا مرة أخرى، ولكن تلك المرة قام بمهاجمة أحد متاجر المصوغات الذهبية بمنطقة أخرى وقام بنفس ما فعله، أطلق عيارين ناريين وأخذ يصيح بعامل الخزينة حتى أخرج له المال وأخذ العديد من المصوغات الذهبية وخرج مسرعًا مهددًا إحدى مالكات السيارات في الطريق وأخذ سيارتها وسط صراخها وانطلق مسرعًا.

بعد البحث عن السيارة، وُجدت أيضًا بالقرب من محطة نقل عام أخرى، وظهر فيها وجه السارق واضحًا تمامًا في الكاميرا أيضًا، ولكن تلك المرة لم ينظر لها، فقط اتَّجَه إلى إحدى الحافلات وقام بالركوب.

كان الأمر محرجًا لعناصر الشرطة التي ازداد غضبها، وكثرت عمليات البحث عن ذاك الرجل وبدؤوا يكثرون من الكمائن باحثين عنه في كل مكان، عُممت صوره على كل مكان حتى على المواطنين لعلهم يصلوا إليه، ولكن دون جدوى، وكأنه شخص لم يأتِ للحياة.

لم يمض الكثير من الوقت وكرر السارق فعلته مجددًا بنفس الأسلوب، ولكن تلك المرة على أحد متاجر الجملة المشهورة، وقام بتكرار نفس السيناريو، ولكن تلك المرة قام أحد العمال بمحاولة الانقضاض عليه من الخلف أثناء تهديده لعامل

الخزينة بإخراج النقود، وقع المجرم على الأرض، ولكن خرجت من مسدسه رصاصه لتستقر في صدر من هاجمه، حينها وقف المجرم لثوانٍ وكأنه غير مستوعب ما حدث، ولكن سرعان ما وجَّه مسدسه مجددًا لعامل الخزينة الذي أعطاه كل النقود وهو يرتعش، أخذ السارق النقود وانطلق مسرعًا لترصده الكاميرا مجددًا بجوار محطة نقل عام مختلفة أخرى، وبمجرد أن قام بركوب الأتوبيس قام بإخراج هاتفه وتحدث لشخص ما.

أصبحت الأمور خارجة عن السيطرة بعد وقوع ضحية لعمليات السطو تلك، العامل تم نقله إلى إحدى المستشفيات وهو يصارع الموت بسبب الطلق الناري الذي أصابه، أما المجرم فهو ما زال طليقًا تبحث عنه كل عناصر الشرطة.

كانت تلك الأحداث كفيلة بجذب انتباه (حَميد)، إنها بالفعل قضية من التي يفضلها، المجرم يتحداه، نعم بالنسبة إليه هو أن المجرم يتحداه هو شخصيًّا طالما قد وقعت القضية بين يديه وأصبحت تشغل انتباهه، وعلى الفور جمع أشياءه واستعد لزيارة محطة الوقود التي تمت سرقتها.

يقف (حَميد) أمام محطة البنزين ينظر إلى مداخل ومخارج المحطة ليكتشف كيفية وصول المجرم إليها، لكنه يجد صوتًا من خلفه يحدثه:

دورت في كل الكاميرات الموجودة، مظهرش إلا وهو داخل يسرق، شكله دارس المكان كويس قبل ما ييجي.

استدار (حَميد) ليجد من خلفه النقيب (عبد الرحمن) ويبدو على وجهه السعادة.

تغيَّرت ملامح (حَميد) لرؤية (عبد الرحمن)، ولكن (عبد الرحمن) استكمل حديثه وكأن الأمور تسير على ما يرام:

حاولنا نراجع الكاميرات للأيام اللي قبل السرقة يمكن نوصل لحاجة برضه موصلناش لحاجة، كأنه وقع من السما.

ثم صمت (عبد الرحمن) وانتظر (حَميد) أن يتحدث فلم يفعل، فأكمل (عبد الرحمن) وهو يترقب نظرات (حَميد):

أو معاه واحد بيساعده وبيعرفه يتحرك إزاي لما ييجي يسرق.

هنا تغيَّرت ملامح (حَميد) فجأة وكأن (عبد الرحمن) يعلم فيما يفكر به (حَميد)، وهذا ما شعر به (عبد الرحمن) أيضًا، لديهم نفس الأفكار.

ترك (حَميد) (عبد الرحمن) بالخارج ودخل إلى محطة الوقود حيت توجد الخزينة، وهنا أخيرًا ظهر (كريم) معه وبدأ يتجوَّل بجوار (حَميد) وهو يحاول التركيز فيما حدث بالمكان واستعادة شريط الأحداث، ولكن صوت (عبد الرحمن) مجددًا أخرجه من تركيزه وجعل (كريم) يختفي، فقد أتى ممسكًا بورقة رُسِم عليها بقلم رصاص متحدثًا:

ده المسار اللي جه من الحرامي، المسار الوحيد البعيد عن الكاميرات، ولما قرب للكاميرا لبس القناع في دماغه ودخل على الخزنة.

ظهرت علامات الغضب على (حَميد) وهو ينظر لـ (عبد الرحمن) الذي حاول تهدئة الوضع قائلًا:

بس مفيش ولا واحد خد باله منه، كله اتفاجئ لما سمعوا صوت ضرب النار، بس...

هنا رن هاتف (عبد الرحمن) فجأة ليرد على المتصل:

لقيتوه؟ حد بلغ عنه؟ طب أنا جاي حالًا.

أغلق (عبد الرحمن) الهاتف ونظر إلى (حَميد) يخبره:

لقوه يا أفندم ومتحفظين عليه في قسم البحث الجنائي.

لم يبدِ (حَميد) أي اهتمام لما قاله (عبد الرحمن) وظَلَّ يبحث في المكان، حينها ابتسم له (عبد الرحمن) قائلًا:

أنا زي حضرتك بالضبط، عارف إن اللي مسكوه ده أي كلام، بس دي قضيتي وكلموني فلازم أروح.. بس هرجع لك تاني يا أفندم، هكلمك أول ما أخلص نكمل القضية.

أثار الكلام دهشة (حَميد) الذي كان يعلم بأنه غالبًا الشخص الذي أمسكوا به هو شخص آخر، وبالفعل انطلق (عبد الرحمن) عائدًا إلى قسم البحث الجنائي وأكمل (حَميد) بحثه، ولكنه قرر المرور على المكانين الآخرين لمعاينتهما جيدًا قبل

أن يضع تصورًا واضحًا لحقيقة ذلك المجرم.

انتهى (حَميد) من معاينة متجر المصوغات الذهبية ومتجر الجملة، وقد كان تصوره صحيحًا أيضًا لما حدث، لقد اتَّبع المجرم مسارًا لا تراه الكاميرات، وما إن اقترب من الكاميرات حتى ارتدى القناع، ولكن ظَلَّ سؤال واحد يدور في مخيلته، لماذا يظهر هويته فقط عند محطة النقل العام متعمِّدًا؟

خلال ذلك الوقت بدأ هاتف (حَميد) في استلام عدة رسائل من رقم مجهول، وظلَّت الرسائل تأتي تباعًا دون توقف، ففتح الهاتف ليجد رسائل من (عبد الرحمن)، لقد أرسل إليه رسالة بها صورة الشخص الذين قاموا بالقبض عليه معلقًا أسفلها قائلًا: «مش عارف ده شبه المجرم إزاي؟»، ثم علق بعدها قائلًا: «مساعدين الحراسة راحوا جابوا دكتور جامعي من وسط محاضرته عشان جاره شك في الصورة بتاعته»، ثم أتبع قائلًا: «أنت فين يا أفندم عشان أجيلك؟».شاهد (حَميد) الرسائل ولم يجب عليها، فاستمر (عبد الرحمن) في الإرسال «حضرتك في أنهي محطة نقل عام وأنا أجيلك؟».. يحاول (حَميد) كتم غيظه ومحاولة التركيز، لكن تكرار الرسائل جعله يمسك بالهاتف ليرسل رسالة إلى (عبد الرحمن) «معدتش تبعت رسائل تاني»، وقبل أن يقوم بإرسالها لمعت عيناه ونظر في كاميرا محطة النقل العام وهو يردد كلمة «معدتش».. «معدتش».

قام (حَميد) بمسح الرسالة التي كاد يرسلها لـ (عبد الرحمن) واستبدلها برسالة أخرى «هات فلاشة التسجيلات ولاب توب وتعالى لي عند محطة النقل العام الأولى».. لم تكد الرسالة تصل لـ (عبد الرحمن) حتى رد عليها قائلًا: «اعتبرني وصلت».

يجلس (حَميد) في سيارة (عبد الرحمن) ومعه اللاب توب، أخذ (حَميد) يعيد في التسجيلات الخاصة بكاميرات محطات النقل العام جميعًا، يجلس (عبد الرحمن) يتابع عن كثب ما يفعله (حَميد) لا يعرف مقصده، ولكنه لم يتعمَّد سؤاله أو إخراجه من تركيزه في ذلك الوقت، ظَلَّ (حَميد)

يقرِّب في الصورة ويمعن النظر في كل لقطة من الفيديو، ظلت الفيديوهات تنقضي حتى جاء آخر مقطع وهو عندما ركب السارق الحافلة وأمسك بهاتفه المحمول، وحينها عندما قرَّب (حَميد) الصورة جيدًا، لمعت عينا (حَميد) و(عبد الرحمن) فجأة، لقد توصلا لأهم خيط في القضية.

انطلق (عبد الرحمن) مسرعًا بسيارته في طرقات المدينة متجهًا إلى شركة الصقر للأمن، أوقف (عبد الرحمن) السيارة أمام مقر الشركة واتجه هو و(حَميد) إلى مكتب المدير الذي قابلهم بحفاوة وأخبرهم أنه كان ضابطًا سابقًا هو أيضًا وقد أنهي خدمته وأنشأ تلك الشركة لتقديم خدمات الأمن للهيئات المختلفة.

تحدَّث (حَميد) إلى الرجل بهدوء تام وأخبره عن أن شركته هي من زودوا الشرطة بتسجيلات محطة النقل العام، حيث إنهم هم المسؤولون عن كاميرات المراقبة بجميع المحطات، واستكمل (حَميد) قائلًا بأنه يرغب في إلقاء نظرة كاملة على كل شرائط الفيديو التي تم تسجيلها يوم عمليات السرقة، وبالفعل استجاب مدير الشركة فورًا وقام باستدعاء أحد المهندسين الذي صحب (حَميد) و(عبد الرحمن) إلى أحد الغرف وبدأ في عرض الفيديوهات على شاشة كبيرة.

طلب (حَميد) أن يتم عرض مصدر الفيديو كاملًا وليس مجتزأً، حينها قام المهندس بفتح تسجيل الكاميرا الرئيسية وبدأ في تشغيلها وهو ينظر إلى (حَميد) و(عبد الرحمن) اللذين انتظرا حتى تأتي اللحظة المنتظرة، ولكنها لم تأتِ، لقد تم قطع الفيديو، فسأله (عبد الرحمن):

فين باقي الفيديو؟

فأجابه المهندس:

أكيد الفني اللي سلم المقطع للشرطة شال الجزء اللي محتاجاه الشرطة من الشريط الأساسي، معلش هما مش كلهم بيفهموا، بس الفيديو اللي بعتناه للشرطة موجود أهو.

ثم فتح المهندس الفيديو الآخر وقد كان مطابقًا بالفعل

للفيديو الذي بحوزة الشرطة، هنا تدخَّل (حَميد) ليسأل المهندس عن المدة التي يأخذها الفنيين لقطع أجزاء من الفيديو إن طُلب منهم ذلك فأجابه المهندس:

على حسب الفني الموجود، بس كلهم متدربين على كده، عشان فيه خناقات وسرقات كتيرة جدًّا بتحصل في الأماكن العامة اللي بنغطيها، بس كل الفنيين عندنا متدربين وأغلبهم متميزين وسراع جدًّا لو اتطلب منهم حاجة.

هنا أشار (حَميد) إلى الفيديو المقطوع وهو يتحدث للمهندس:

متميزين لدرجة أنهم يقطعوا الفيديو اللي إحنا محتاجينه قبل ما الشرطة تطلبه منكوا؟

سادت علامات الدهشة على وجه المهندس لا يعلم مقصد (حَميد)، ولكن (عبد الرحمن) يقف مصعوقًا لما يراه، لقد أُعد الفيديو مسبقًا قبل طلب الشرطة، وعندما حضر مفوض الشرطة لاستلامه تم حفظه مباشرة بنسخة جديدة على الفلاشة الخاصة بالشرطة وهو ما لم يجعلهم يشكون بالأمر.

ما زال المهندس صامتًا ينتظر رد فعل (حَميد)، ولكن (عبد الرحمن) قطع الصمت قائلًا:

ممكن نعرف الفني اللي قطع الفيديو ده اسمه إيه؟

أجابه المهندس وهو يرفع سماعة الهاتف الأرضي:

ثواني.. أيوة يا (حسين) ممكن تعرف لي مين خرج فيديوهات للشرطة برقم ١٤٣٥؟

فقاطعه (عبد الرحمن) يخبره:

والمقطعين بتوع العمليتين اللي بعدهم برضه.

استمر المهندس يبحث عن المقطعين الآخرين، وحينها أكمل حديثه عبر الهاتف:

ومقطع ٢٠٠٢ ومقطع ٢٣٤٠ يا حسين لو سمحت.

ثم انتظر قليلًا وقد أتته الإجابة:

كلهم (بلال)؟ تمام شكرًا.

ثم اتَّجَه المهندس بنظره إلى (عبد الرحمن) قائلًا:

الفني هو (بلال سعيد)، ده أشطر فني عندنا هنا.

طلب (عبد الرحمن) من المهندس أن يدله على مكان (بلال)، ومن حسن حظهما أنه كان في العمل، حينها نهض المهندس يدلهما عن مكان تواجد الفنيين، وما إن اقتربوا حتى أشار المهندس على (بلال) الذي رآهم فانتفض راكضًا حاملًا حقيبته نحو الباب الخلفي يدفعه بقوة ويركض هاربًا.

صاح به (عبد الرحمن) واندفع راكضًا وراء (بلال) ومن خلفهم (حَميد) وسط ذهول المهندس متفاجئًا بما يحدث، كان فارق اللياقة جليًا في تلك المطاردة، (عبد الرحمن) يقفز من على الدرج في انسيابية ورشاقة ملاحقًا (بلال)، أما (حَميد) هبط الدرج مسرعًا، ولكن مع الوقت كان (عبد الرحمن) يقترب من (بلال) (وحَميد) ما زال يحاول إنهاء الدرج.

سمع (حَميد) صوت انفتاح أحد الأبواب وخروج أحدهم منه، لكنه لا يدري في أي طابق حدث، يسرع في استكمال النزول ولكنه اصطدم بأمه وبفستانها الأحمر تقابله صاعدة الدرج، انتفض (حَميد) لرؤيتها وتباطأت سرعته كثيرًا وأخذ ينزل بحذر أكثر وهو يبحث في الأرجاء عن والدته التي أخذت تظهر له تكرارًا للحظات خاطفة ثم تحتفي وهي تنظر إليه في حنق شديد، توقَّف (حَميد) عن نزول الدرج ولم يتحرك حينها، أصابته رهبة كبيرة ولم يستطع الخروج منها، يشعر بضربات قلبه تزداد والمكان يضيق عليه يكاد ينطبق على جسده، يحاول أخذ نفسه لا يستطيع وكأن روحه تخرج منه، يحاول جاهدًا نزول الدرج، ولكنه تفاجأ بهجوم والدته عليه مطبقة على رقبته تمنعه من التنفس.

(حَميد) باشا أنت كويس؟

هكذا كان كلام (عبد الرحمن) لـ (حَميد) وهو يدفعه من يديه يحاول إفاقته، لقد وجد (حَميد) يقوم بحركات غريبة وهو يجلس على الأرض في أحد الطوابق السفلية، بدا أنه كان يقاوم شيئًا ما غير موجود، وما إن اقترب منه (عبد الرحمن)

وتعرَّف عليه حتى تشبَّث به واجتذبه ليجلس بجانبه وكأنه وجد من يحميه.

هدأ (حَميد) قليلًا قبل أن يستطيع الحديث قائلًا:

مسكته؟

هنا أجابه (عبد الرحمن) وهو يبتسم يحاول أن يرتاح بعد المجهود الذي قام به:

يا أفندم من قبل ما يخرج من المبنى كنت لحقته، وعلى حظه كان فيه دورية معدية تحفَّظوا عليه وأنا رجعت أشوف حضرتك فين.. هو مين (نادية) دي يا باشا؟

تغيَّرت ملامح (حَميد) فجأة وهو يسأل (عبد الرحمن):

(نادية) مين؟

أجابه (عبد الرحمن):

حضرتك وأنا بفوقك كنت بتقول «ابعدوا (نادية)».

قام (حَميد) من جلسته وهو يحاول تغيير الموضوع:

أكيد مكنتش في وعيي، أنا ساعات بيجيلي هبوط لو عملت مجهود مفاجئ.. المهم فين (بلال).

أجابه (عبد الرحمن) وهو يلحقه:

مع دورية الشرطة اللي برة يا أفندم، مسكت معاه اللاب توب بتاعه، وش اللاب ده عليه مصايب عشان مسابوش معاه وهرب بيه.

صمت (حَميد) ولم يتحدث، ولكنه يوافق (عبد الرحمن) فيما قاله، ولكنه بدأ يهتم بطريقة تفكير (عبد الرحمن)، إنها تشبهه لدرجة كبيرة.

مكتب شرطة الكرمة الخدمي

قسم البحث الجنائي

يجلس العميد (سعيد رسلان) في مكتبه وأمامه (عبد الرحمن) بعدما وصل إلى قسم البحث الجنائي ومعهم (بلال) كمتهم في القضية، سأله العميد(سعيد):

اشرح لي بقى إيه اللي حصل، وليه قبضتوا على الواد اللي جوه ده وهو مش شبه الواد اللي في الفيديوهات، وإيه موضوع الـ Deep Fake اللي قلت لي عليه في التليفون ده أنا مش فاهم حاجة.

هنا بدأ (عبد الرحمن) في شرح الأمر للعميد (سعيد)، تم معرفة الأمر عندما كان (حَميد) في محطة النقل العام وظلَّ (عبد الرحمن) يرسل له الرسائل المتتالية، وحينها قرر (حَميد) إرسال رسالة له بعدم تكرار الأمر مجددًا، وحينها تذكَّر أمر نظرة السارق إلى الكاميرا في أول عملية سرقة ولم يكررها مرة أخرى، كان هنالك أحد أخبره ألا ينظر في الكاميرا مرة أخرى بتلك الطريقة، ولم يطلع أحد على تسجيل الكاميرات سوى عناصر الشرطة وشركة الأمن التي أمدت الشرطة بالفيديوهات.

أما عن تقنية الـ deep fake فهي تقنية يتم استخدامها في الـ dark web وهي منتشرة بكثرة لأغراض الابتزاز وتلفيق التهم لأشخاص أبرياء، تستخدم مثلًا لصنع أفلام إباحية لأشخاص أبرياء بغرض ابتزازهم وطلب الأموال منهم، ليس مطلوب للمجرم سوى الحصول على العديد من صور الضحية ويضعها في أحد تطبيقات الـ deep fake ثم يقوم التطبيق بكل العمل الآخر.

حضرتك ممكن تدخل على الإنترنت وتكتب deep fake وتشوف المصايب بتاعته.

ينظر العميد (سعيد) إلى (عبد الرحمن) وهو يخبره:

أيوه إيه دخل الموضوع ده بالقضية دي يا عبده؟

استكمل (عبد الرحمن) حديثه شارحًا الأمر، عندما راجع (حَميد) كل شرائط الفيديو للمجرم كانت تبدو حقيقية للغاية، إلا فيديو واحد وهو الفيديو الأخير عندما ركب الأتوبيس ورفع الهاتف على أذنه وقد غطى جزءًا من وجهه، هنا ظهرت ثغرة البرنامج، وكان هنالك جزء غير واضح ومشوش للصورة، لم يعد البرنامج قادر على أداء وظيفته في استبدال صورة

المجرم الحقيقي بالصور المعدلة لاختفاء جزء من الوجه وهو ما اكتشفه (حَميد)، ولم يعتقدوا أن تلك الفيديوهات مفبركة، حيث إنها جاءت لمساعدة الشرطة في القبض على المجرم، ولم يشك أحد أن هنالك أحد قد يتلاعب بها إلا المقدم (حَميد).

ينظر العميد (سعيد) إلى (عبد الرحمن) مندهشًا وهو يقول:

(حَميد) اللي اكتشف الموضوع ده يا عبده؟

أجابه (عبد الرحمن):

آه يا أفندم، هو اللي اكتشف الكاميرات اللي في المحطة وكمان اكتشف استخدامهم للـ deep fake.

أكمل العميد حديثه:

طب قبضتوا على الواد الحرامي، الواد ده الأهم، ده متهم في قضية قتل.

أجابه (عبد الرحمن):

المقدم (حَميد) طلب يستجوب (بلال) وأكيد هيخليه يعترف.

نهض (عبد الرحمن) من على كرسيه وهمَّ بالرحيل، ولكن صوت العميد (سعيد) استوقفه:

ألا قولي يا عبده، أنت ليه روحت لـ (حَميد) في القضية دي رغم أنك عمرك ما وافقت إن حد يساعدك وعمرك ما عطلت في أي قضية إديتها لك زي (حَميد).

ابتسم (عبد الرحمن) للعميد (سعيد) وهو يخبره:

هييجي وقت ولازم تستعين بخبرة الناس الذكية، زي حضرتك كده يا أفندم، بس أنا شايلك للتقيلة.

انطلقت ضحكة عالية من العميد (سعيد) وهو يبتسم ابتسامة عريضة لـ (عبد الرحمن) الذي غادر المكتب متجهًا إلى غرفة التحقيقات حيث سيبدأ التحقيق في وجود (حَميد) و(بلال).

**غرفة التحقيقات**

دخل (حَميد) الغرفة حيث يوجد (بلال) مقيَّدًا بالأغلال، كان يبدو على (حَميد) الصرامة والحزم، دخل وهو يحمل اللاب توب الخاص بـ (بلال) بعد أن قام القسم الفني بكسر كلمة السر الخاصة به، جلس (حَميد) بجوار (بلال) حيث وجَّه شاشة اللاب توب تجاهه وبدأ في عرض بعض الفيديوهات عليه، كانت عبارة عن مقاطع إباحية مسماة بأسماء فتيات مع العديد من الصور الخاصة لتلك الفتيات، ثم أظهر له الرسائل بينه وبين تلك الفتيات، لقد كان يبتزهنَّ ويهددهنَّ بنشر تلك المقاطع المزيفة إن لم يحصل على المال.

وقعت العديد من الفتيات الأبرياء ضحية لابتزازاته الدنيئة وأُرغِموا على دفع الأموال له، ولكن يبدو أن تلك الأمور لم تدر عليه العديد من الأموال فاتجه إلى أمر آخر.

اعتدل (حَميد) في جلسته واتجه بنظره إلى (بلال) يحدثه:

جاهز تعترف بعمليات السرقة؟

أجابه (بلال) وهو يحاول أن يحتوي توتره الشديد:

أنا محتاج محامي، مش هتكلم إلا في وجود محامي.

أجابه (حَميد):

حقك طبعًا، هنجبلك محامي، بس هيدافع عن (بلال سعيد) ولا نقوله (صقر البرية)؟

هنا لمعت عينا (بلال) وبدا عليه الخوف الشديد فاقترب منه (حَميد) وهو يخبره:

مقولتلكش، مش احنا هنا عندنا ناس شاطرة برضة في الكمبيوتر وعرفوا يدخلوا على شغلك على الـ dark web.. بس (صقر البرية)؟!! مش اسم إكليشيه قوي؟!

ثم صمت قليلًا قبل أن يتابع:

آه واتعرفنا كمان على (السيد عسجد) اللي بعتله الدهب يتسيح، رجالتنا هيروحوا يجبوه ويا رب يلاقوا دهب المحل اللي سرقتوه سليم.

ساد الصمت على وجه (بلال) الذي بدا عليه أن كل شيء

حوله يتهاوى فأكمل عليه (حَميد) قائلًا:

لو فضلت ساكت ممكن تلبس أنت كمان قضية القتل اللي حصلت، ودي لوحدها أنت عارف عقوبتها، إنما سرقة وابتزاز سهلة، لو مساعدتناش دلوقت هيبقى موقفك وحش وممكن تاخد معاك عقوبة القتل مع أني عارف أنك ملكش ذنب.

ثم أكمل (حَميد) حديثه:

شكلك مش هتعترف وهنستني رجالتنا على ما تحلل الفيديوهات وتجيب الواد اللي معاك.

استعد (حَميد) للخروج من الغرفة، ولكن صوت (بلال) استوقفه:

(جابر إبراهيم) الشهير بـ (جابر شيبة).

استدار (حَميد) وهو يبتسم لـ (بلال) الذي أكمل حديثه:

أنا والله ما قولتله يقتل حد، أنا معرفش أصلًا أنه معاه مسدس حي، أنا مأكد عليه أنه يستخدم طلق فشنك.

سأله (حَميد):

مين الشخص اللي انتوا استخدمتوا صوره في الفيديوهات؟

أجابه (بلال):

صور من أكونت انستغرام لواحد من تركمانستان.. ملامحه قريبة مننا.

هنا خرج (حَميد) من غرفة التحقيق ليجد (عبد الرحمن) في وجهه مباشرة يحدثه:

الله ينور يا باشا، مخدش في إيدك غلوة.

أومأ (حَميد) بطريقة فاترة في وجه (عبد الرحمن) الذي تغيَّرت ملامحه من معاملة (حَميد) له وظَلَّ يتابعه حتى اختفى (حَميد) ودخل إلى مكتبه.

عاد (حَميد) إلى مكتبه يستريح فوجد بعض ملفات القضية ما زالت على مكتبه فاستدعى أحد أفراد الحراسة ليدخل إليه ليأمره (حَميد):

خد الملف ده وديه للنقيب (عبد الرحمن).

فأجابه فرد الحراسة:

النقيب (عبد الرحمن) مين يا أفندم؟

خفق قلب (حَميد) فجأة وانفصل عن الواقع فجأة، تذكر فجأة ما قاله د. (هيثم)، هل الأشخاص الذين حوله حقيقيون أم إنهم من وحي خياله؟

ظَلَّ (حَميد) هائمًا حتى أخرجه فرد الحراسة من شروده قائلًا:

يا أفندم، مين النقيب (عبد الرحمن) ده؟

هنا أجابه (حَميد) وهو يهم بالنهوض من كرسيه:

مفيش، امشي أنت دلوقت.

رحل فرد الأمن من المكتب وخرج بعده (حَميد) مباشرة ليجد أمامه (عبد الرحمن) يبتسم في وجهه فتجاهله (حَميد) تمامًا وأسرع إلى فرع السجلات في الدور الأرضي، فتح الباب بقوة وهو يخبر أحد ضباط الأرشيف:

احنا عندنا هنا نقيب اسمه (عبد الرحمن)؟

اندهش جميع من كان بالغرفة بالسؤال، ولكن أجابه الضابط قائلًا:

آه يا (حَميد) باشا، النقيب (عبد الرحمن مصطفى).. معاكم في البحث الجنائي

اقترب (حَميد) من جهاز الحاسوب الذي يجلس عليه الضابط وهو يأمره:

وريني صورته.

تعجَّب الضابط لما يحدث، ولكنه لبَّى لـ (حَميد) طلبه وأظهر الملف الشخصي لـ (عبد الرحمن) لتظهر صورته على الحاسوب ليطمئن (حَميد) قليلًا.

عاد (حَميد) إلى مكتب (عبد الرحمن) ومعه الملف، ليتحدث معه (حَميد) قائلًا:

بقالك سنة في قسم البحث الجنائي ومحدش يعرفك هنا!

تغيَّرت ملامح وجه (عبد الرحمن) واعتبر الأمر تقليلًا منه،

ولكنه سأل (حَميد):

ليه بتقول كده يا فندم؟

أجابه (حَميد):

بقول لفرد الحراسة ودي الملف للنقيب (عبد الرحمن)، معرفش أنت مين.

خرجت ضحكة عالية من (عبد الرحمن) وهو يبتسم ويقول لـ (حَميد):

العميد (سعيد) السبب، مبيندهش عليا غير بـ (عبده) من أول يوم جيت فيها هنا ومن ساعتها والكل بيندهلي (عبده).

نظر إليه (حَميد) وهو يفتح مكتبه ويدعو (عبد الرحمن) للدخول وهو يقول له:

طب اتفضل يا سيادة النقيب (عبده).

عاد (حَميد) إلى منزله وهو متعب بعد انتهاء التحقيقات والقبض على (جابر شيبة) واعتراف كلٌّ من (بلال) و(جابر) بعمليات السرقة، وكل ذلك بتخطيط من (بلال) الذي تولَّى أمر إخفاء هوية (جابر)، الأمر الذي جعل عناصر الشرطة يبحثون في اتجاه مضلل، ولكن تم اكتشاف فعلتهما وتقديمهما للمحاكمة.

يجلس (حَميد) على سريره يتذكر أن أخاه (كريم) لم يظهر له كثيرًا في تلك القضية، طالما كان (عبد الرحمن) بجانبه لم يظهر له أحد من أخويه، حتى إن والدته لم تظهر له إلا بعدما افترق عن (عبد الرحمن) ولم تختفِ إلا برجوع (عبد الرحمن) للاطمئنان عليه، هنا تذكَّر (حَميد) حديث د. (هيثم) له عن البحث عن صديق، هل يمكن لـ (حَميد) أن يتخذ له صديقًا وإن كان هذا الصديق يصغره بسنوات عديدة، حينها استبعد (حَميد) تلك الفكرة وحاول التفكير في أي أمر آخر فوقع نظره على ذاك الصندوق الذي أعطاه له والده عندما أتى لإخباره بوفاة والدته.

أمسك (حَميد) بالصندوق يفتحه ليجد به تلك الدمية الصغيرة التي كان يملكها وهو طفل صغير، كان شديد التعلق

بها ويصحبها معه في أي مكان يذهبه، أطلق عليها والده اسم (حارس) وظَلَّ (حَميد) يناديها بهذا الاسم حتى وهو في سن كبير، احتوى الصندوق أيضًا على صور لـ (حَميد) وهو صغير وتحمله والدته ووالده وهما في غاية السعادة، وصور أخرى له مع أخويه (كريم) و(علي) وهم في إحدى النزهات الخارجية، ينظر (حَميد) إلى الصور وهو متأثر يتذكر أخويه وذكرياته السعيدة معهم، هربت الدموع من عينيه فجأة وهو ينظر إلى صورهما، ولكنه أخذ يقلب في باقي الصور حتى وقعت في يده صورة وهو طفل حديث الولادة، يقف والده بجوار أمه التي تحمله وبجوارهم طبيب يرتدي معطفًا أبيض، اتسعت عينا (حَميد) وهو ينظر لتلك الصورة وذلك الطبيب، إنه يتذكره عن ظهر قلب، وكيف له أن ينساه وهو من أنقذ حياته وهو شاب، إنه الرجل الذي منعه من الانتحار في البناية المهجورة بعد وفاة أخويه، يمسك (حَميد) الصورة وهو يفكر يحاول أن يصل لتفسير مقنع عن تواجد ذلك الطبيب لإنقاذه من الموت.

# (٦)

# قناعات غير مشروعة

يجلس (حَميد) في شقته يتابع الأخبار على التلفاز بلا هدف وهو يتناول الغذاء الذي أعده لنفسه، كانت كل الأخبار ماسخة مثل ذلك الطعام الذي صنعه، ولكنه يتناوله رغمًا عن ذلك، ما زالت أخبار مدينة الواحة هي الشغل الشاغل لكل القنوات الإخبارية، لم تمر ساعة إلا وتجد خبرًا جديدًا عن المدينة وعمَّا حدث بها، أظهرت آخر الأخبار أن طبيبًا بشريًّا يُدعى (علي الشريف) هو السبب وراء انتشار ذلك الوباء وجاري البحث عنه لمحاكمته.

لم يستطع (حَميد) استكمال مشاهدة الأخبار وكذلك استكمال طعامه، فنهض حاملًا الأطباق واتجه إلى المطبخ ليستمع إلى صوت شجار شديد صادر من خارج شقته، صوت امرأة تتشاجر مع أحد الرجال بصوت عالٍ وهي تبكي، ليرد عليها الرجل بصوت خشن وهو ينهرها ويسبها بأبشع الألفاظ، ظَلَّ (حَميد) في مكانه لم يتحرك وهو يستمع إلى الشجار الذي يزداد حدة مع مرور الدقائق، حتى بدأت المرأة تدخل في نوبة صرخات هيستيرية متتالية وكأنها تتعرض للاعتداء، حينها سمع (حَميد) صوت باب ينفتح وازدادت حدة الصوت وارتفعت لتظهر جلية في الخارج، اتخذ (حَميد) قراره وفتح باب شقته ليتدخل.

خرج (حَميد) من شقته ليجد المصعد يُغلق وفي طريقه للنزول ويجد أمام الشقة المقابلة له سيدة افترشت الأرض وضمَّت ركبتيها إلى صدرها وأخذت تبكي بشدة والدموع لا تتوقف، لقد كانت في حالة فزع شديد ولا تستطيع التحكم في جسدها الذي أخذ يرتعش دون توقف.

حاول (حَميد) الاقتراب من السيدة في حذر يفكر في كيفية تهدئتها، ولكنه لا يعرف كيف يفعل ذلك، انتظر (حَميد) قليلًا لعل أحدهم قد سمع صوت الشجار ويأتي للمساعدة، ولكن طابقه يحتوي على شقتين فقط، شقته والشقة المهجورة منذ

سنين والتي تجلس أمامها تلك السيدة.

لم يظهر أحد للمساعدة فاضطر (حَميد) إلى الاقتراب أكثر من السيدة وهو يتحدث إليها بصوت منخفض حتى لا يرعبها قائلًا:

يا أستاذة.. أنت كويسة؟

ثم أكمل:

أنا المقدم (محمد حَميد) من قسم البحث الجنائي.. أطلب لحضرتك الإسعاف؟

لم تتحدث السيدة لتجيب (حَميد)، ولكن صوت بكائها بدأ يقل شيئًا فشيئًا، واستمر (حَميد) في حديثه معها يحاول طمأنتها والتخفيف عنها، وبالفعل بعد دقائق توقفت السيدة عن البكاء، لكنها ما زالت تضع وجهها بين ركبتيها لا تقوى أن ترفعه.

أحس (حَميد) بأن السيدة قد هدأت قليلًا وبدأت تعود إلى حالتها الطبيعية فبدأ يتراجع قليلًا وقد قرر أن يعود مجددًا إلى شقته حينها دون أن يتطفل عليها أكثر من ذلك، ولكن السيدة حينها رفعت وجهها تنظر إلى (حَميد) قائلة:

شكرًا ليك أنا بقيت كويسة

ما إن نظرت إلى (حَميد) ورأى وجهها حتى سرت نغزة قوية في قلبه، لا يعلم ماذا حدث له، لم يشعر بذلك الإحساس من قبل، ظَلَّ يحملق في وجهها كثيرًا دون أن يدري، شعر براحة كبيرة تسري في نفسه فقط لرؤية وجه تلك السيدة بالرغم من تلك الكدمة التي بدأت في الاحمرار في خدها الأيسر، كان الأمر محرجًا بالنسبة للسيدة التي لاحظت نظرة (حَميد) المطوَّلة لها وبدأت في النهوض من جلستها وهي تحاول أن تنظف ملابسها من آثار الغبار التي تجمَّع عليها من افتراشها للأرض، كل ذلك وما زال (حَميد) يتابعها وهو غير مدرك ما يفعل، نظرت له السيدة وهي محرجة منه قائلة:

حضرتك قولتلي أنك ضابط، صح كده؟

لم يلتفت (حَميد) لما تقوله وظَلَّ مشتت التركيز، هائمًا لا

يشعر بما يدور حوله، ولكن صوت السيدة الذي ارتفع أخرجه من شروده وهي تخبره:

يا أفندم، حضرتك مالك؟

هنا استعاد (حَميد) تركيزه مجددًا وشعر بالإحراج الشديد، وحينها بدون أن يجيب السيدة تحرَّك باتجاه شقته وأغلق الباب وسط ذهول تلك السيدة من تصرف (حَميد).

يقف (حَميد) خلف باب شقته قلبه يخفق ويشعر بشيء لم يشعر به من قبل، كان يريد أن يفتح الباب مجددًا ليرى السيدة مجددًا، لكنه يحاول جمع شتات نفسه لأن لا يفعل ذلك، أغمض عينيه وهو يتذكرها بشعرها البرتقالي الداكن وعينيها الجميلة التي لم يرَ مثلهما من قبل ووجها الأبيض النضر الخلاب، وفمها الصغير المرسوم بدقة بالغة، شعر أنه يريد أن يبكي لبكائها وملأ قلبه الحزن لما حدث لها وهو لم يقابلها من قبل قط، ظَلَّ (حَميد) مندمجًا في تخيُّل السيدة، ولكن جرس الباب أخرجه من حالته تلك، فكَّر حينها ألَّا يفتح الباب لها وهو في تلك الحالة التي يُرثى لها وظَلَّ واقفًا خلف الباب، ولكن الجرس رن مجددًا ولمدة أطول، هنا استجمع (حَميد) قواه وحاول أن يظهر بمظهره القوي الخشن وبثقة قام بفتح الباب ليجد (عبد الرحمن) أمامه مبتسمًا وهو يحيي (حَميد):

مساء الفل يا أفندم، أخبار حضرتك إيه؟

تغيَّرت ملامح (حَميد) وبدا عليه الاستياء لرؤية (عبد الرحمن) بدلًا من السيدة، نظر (حَميد) إلى الخارج حيث كانت تقف السيدة أمام باب تلك الشقة المهجورة فلم يجدها ووجد الباب مغلقًا، فأعاد نظره لـ (عبد الرحمن) الذي توجَّه بنظره لما كان ينظر إليه (حَميد) وهو يسأله:

حضرتك مستني...

قبل أن يكمل قاطعه (حَميد):

عايز إيه؟

تغيَّرت ملامح (عبد الرحمن) لتلك المعاملة السيئة من (حَميد)، ولكنه أجابه بأدب بالغ:

الفنانة الكبيرة (مي خورشيد) تُوُفِّيَت في فيلتها وعايزين حضرتك تيجي تبص عشان يقفولوا المحضر ويدفونها.

امتعض (حَميد) من كلام (عبد الرحمن) وتركه واقفًا على الباب ودخل يجلس على الأريكة وهو يقول:

قولهم مش فاضي، وبعدين مروحتش أنت ليه، ما أنت ماوركش حاجة أهو.

تتبع (عبد الرحمن) خطوات (حَميد) وهو يبتسم له يحدثه:

كنت رايح على هناك، بس لما اتعرف أني نقيب قالوا لازم يبعتوا رتبة مناسبة.

سادت الدهشة على محيا (حَميد) الذي اندهش لكلام (عبد الرحمن):

رتبة مناسبة؟

أجابه (عبد الرحمن):

آه يا أفندم، دي (مي خورشيد) اللي ماتت فلازم يعملوا لها هيلمان، وأكيد اسم حضرتك هيطلع في كل الجرايد، فلازم تكون رتبة مناسبة للحدث، ده غير أن والدها كان وزير الشؤون القضائية في البلد وأكيد هتلاقيه هناك.

لم يفهم (حَميد) شيئًا من (عبد الرحمن) الذي كان يتحدث بسرعة ويبدو عليه أنهم متأخرين على الذهاب لمكان الوفاة، ولكن (حَميد) فاجأ (عبد الرحمن) بسؤاله:

مين (مي خورشيد)؟

اندهش (عبد الرحمن) من سؤال (حَميد) وكأنه لم يكن يتوقع سؤالًا كهذا أبدًا، ولكنه أجاب (حَميد) مستغربًا:

في حد ميعرفش (مي خورشيد) يا أفندم؟

أومأ (حَميد) برأسه نافيًا، فأكمل (عبد الرحمن) قائلًا:

دي أشهر ممثلة ومغنية ومؤلفة ومخرجة في البلد يا أفندم، أنا من وأنا صغير وأنا عارفها، إزاي أنت متعرفهاش؟

كانت (مي خورشيد) نجمة سينمائية شهيرة للغاية، امتازت بأدوارها الكثيرة المحببة للجمهور، لها قاعدة جماهيرية

عريضة جدًا، اشتهرت بإنتاجها الأفلام وتأليفها والاستحواذ على بطولتها، وقد تصل في بعض أفلامها على أن تصبح هي المخرجة، كانت أعمالها تحقق اعلى الإيرادات دائمًا ونشأت أجيال كثيرة على أفلامها الكثيرة المتعددة، إلا أنها ابتعدت في الآونة الأخيرة عن الساحة الفنية تمامًا وغابت عن الظهور في أية أعمال فنية لأسباب غير معلومة، ولكن بمجرد ذكر اسمها في أي مكان وزمان يتم استرجاع تاريخها الفني الزاخر بالإنجازات، وهي الآن قد تُوُفِّيَت في فيلتها بسبب حالة تسمم من غاز أول أكسيد الكربون الناتج عن المدفأة.

لم يكن (حَميد) من تلك القاعدة الجماهيرية لـ (مي) ولا يرغب في الذهاب، ولكن إلحاح (عبد الرحمن) وخوفه الشديد من بطش العميد (سعيد) جعله يتنازل ويستعد للذهاب إلى منزل الفنانة وهو واجم الوجه ساخط لما يفعله.

خرج (حَميد) و(عبد الرحمن) من الشقة وظَلَّ (حَميد) يوجِّه نظره إلى تلك الشقة حيث قابل تلك السيدة منذ قليل يمنِّي النفس أن تخرج ليشاهدها مرة أخرى، ولكن ذلك لم يحدث، فقط صوت (عبد الرحمن) المزعج الذي تحدَّث في الهاتف يجيب العميد (سعيد):

أيوة يا أفندم، والله (حَميد) باشا معايا أهو ورايحين في الطريق، حتى حضرتك كلمه عشان تتأكد.

مد (عبد الرحمن) الهاتف بيده إلى (حَميد)، لكن (حَميد) نظر إليه واستكمل طريقه.

شعر (عبد الرحمن) بالخجل الشديد وهو يجيب العميد (سعيد) مجددًا قائلًا:

أول ما نوصل هناك هنكلم حضرتك يا أفندم.

انطلق (عبد الرحمن) و(حَميد) في طريقهما وظلا صامتين حتى بدأ (عبد الرحمن) في جذب أطراف الحديث متحدثًا عن التسمم بغاز أول أكسيد الكربون الذي يسمونه بالقاتل الصامت، فهو غاز ليس له رائحة أو لون أو طعم، ينتج عن طريق الاحتراق الغير كامل للوقود العضوي، عندما يستنشقه

الإنسان فإنه يرتبط بالهيموجلوبين بدلًا عن الأكسجين، وان استمر الإنسان في استنشاقه لفترة وهو لا يعلم فإنه يؤدي إلى صداع شديد وعدم القدرة على الحركة ومن ثم الموت، يعلم الشخص أنه يموت، لكنه لا يستطيع فعل أي شيء حيث يكون مشلولًا تمامًا.

يموت الكثير من الأشخاص بسبب ذاك الغاز الذي قد يصدر من مواقد الطعام، وأنظمة التدفئة التي تعتمد على احتراق الوقود العضوي وهو ما حدث للفنانة (مي)، حيث كانت بغرفة المعيشة وأشعلت المدفأة ووجدها زوجها بعد ساعات متوفاة على الأريكة.

أكمل (عبد الرحمن) كلامه ذاكرًا أن قديمًا كان هناك ملك روماني يُدعى (لوسيس فيروس) كان يستخدم غاز أول أكسيد الكربون لقتل المجرمين كوسيلة لإعدامهم.

نظر (عبد الرحمن) إلى (حَميد) وهو يبتسم له قائلًا:

أصلي عملت كام بحث كده عن الغاز ده قبل ما نروح.

أجابه (حَميد) دون أن ينظر إليه قائلًا:

جدع.

شعر (عبد الرحمن) بشيء من الاستخفاف من رد (حَميد) عليه، ولكنه لم يهتم واستكمل حديثه مع (حَميد):

تعرف حضرتك مين متجوز (مي خورشيد)، الدكتور (جلال بدر)، حضرتك تعرفه؟

أجابه (حَميد) بصوت بارد:

آه أعرفه.

فأكمل (عبد الرحمن):

حضرتك عارف الدكتور ومش عارف الممثلة؟ غريبة دي، المهم الدكتور (جلال) ده من أنضف دكاترة الباطنة اللي شوفتها في حياتي، والدي بيتعالج عنده من سنين في عيادة وسط المدينة وكشفه رخيص، بس جه من سنتين كده ونقل عيادته جنب فيلته في الكومباوند اللي ساكن فيه والناس

زعلت، قام لاغي فلوس الكشف لأي حد جايله من عيادة وسط المدينة وخلاها ببلاش، هو المشوار آه صعب بس عوضها أنه لغى فلوس الكشف.

قاطع (حَميد) حديث (عبد الرحمن) فجأة قائلًا:

قربنا نوصل؟

تغيَّرت ملامح (عبد الرحمن) وصمت لثوانٍ قبل أن يجيب (حَميد):

أقل من ٥ دقايق ونكون هناك يا أفندم؟

وحينها لم يتحدث (عبد الرحمن) مجددًا حتى وصلا لفيلا دكتور (جلال بدر).

وصل (حَميد) إلى فيلا دكتور (جلال بدر) والتي بدأ الصحفيون يتوافدون عليها بعد علمهم بالأمر، أنه خبر سيجذب ملايين المتابعات بالطبع، حاول (عبد الرحمن) اختراق صفوف الصحفيين بسيارته حتى وصل إلى البوابة الحديدية وطلب الدخول من أحد الأزرار الإلكترونية الموجودة ليصدر له صوت من الداخل يسأله عن هويته فيجيبه (عبد الرحمن) عبر جهاز الإنتركم عن أنهم من البحث الجنائي ويطلبون الدخول.

سمح لهم ذاك الشخص بالدخول، ولكن بعد التأكد من عدم دخول أحد الصحفيين عنوة إلى الفيلا، وهذا ما حدث بالفعل فقد تولَّى (عبد الرحمن) أمر إرهاب الصحفيين بأن من سيدخل معه سيُقبض عليه بتهمة التعدي على ممتلكات الغير وجعل وجهه عابثًا غاضبًا حتى يهابوا منه، وبالفعل انصاعوا له ولم يدخل أحد، ينظر (عبد الرحمن) حوله باحثًا عن (حَميد) فوجده قد تركه وقد قطع أغلب المسافة ووصل إلى باب الفيلا فركض وراءه يلحقه.

ما إن وصل (حَميد) إلى باب الفيلا حتى وجد المسعفين يخرجون جثة الفنانة (مي) في كيس بلاستيكي أسود غير محكم الغلق جعلت (حَميد) يلقي نظرة على وجه (مي) وهي متوفاة، حينها ظهر له (علي) أخوه ينظر إليه وهو يبتسم، لا يعرف (حَميد) سبب ظهوره فهو هنا لإنهاء أمر سريع وسيرحل،

ولكن على ما يبدو أنه لن يكون كذلك.

استوقف (حَميد) المسعفين بصوت عنيف وهو يقول:

رايحين بالجثة دي فين؟

وقف المسعفون ينظرون لبعضهم البعض لا يدرون ما يقولون، حينها خرج أحد وكلاء كبير القضاة مسرعًا إلى (حَميد) يتحدث معه:

أنا الوكيل (طارق كمال)، أنا اتأكدت أن الوفاة طبيعية بسبب التسمم بغاز أول أكسيد الكربون، وأمرت بإنهاء إجراءات الدفن.

أجابه (حَميد):

ما شاء الله، إيه الشطارة دي، كده خلاص أنا همضي على التقرير فورًا.

تغيَّرت ملامح وكيل النائب العام فجأة بعد رد (حَميد)، فتدخل (عبد الرحمن) يهدئ من حدة الموقف قائلًا:

معلش يا باشا هو (حَميد) باشا بيحب يعمل كل حاجة بنفسه، آه ندخل نعاين المكان ونخلص التقرير بسرعة.

قاطعه (طارق) متحدثًا:

تدخلوا فين، معالي الوزير (أسامة خورشيد) جوه الفيلا وخلاص خد تمام بأن التحريات خلصت وهنطلع نخلص إجراءات الدفن.

هنا انسحب (حَميد) فجأة وعاد بأدراجه ناحية بوابة الفيلا ليسأله (عبد الرحمن) عن وجهته ليجيبه (حَميد):

همشي، وبالمرة أبلغ الصحفيين إن أستاذ (طارق) صدَّق على تقرير البحث الجنائي بنفسه فاحنا ملناش لازمة هنا.

تغيَّرت ملامح (طارق) فجأة بعدما شعر بتهديد غير صريح من (حَميد) بإبلاغ الأمر للصحافة ولم يستطع منعه، لكن (عبد الرحمن) ركض باتجاه (حَميد) مجددًا يحاول إقناعه بالرجوع عن ذلك الأمر، وبالفعل وافق (حَميد) على شرط أن يكمل عمله الذي أتى من أجله وهو إلقاء نظرة تفقدية لمكان

الحادث.

عاد (عبد الرحمن) لـ (طارق) وأخبره الذي بدا أنه منزعج للغاية واضطر إلى إيقاف المسعفين والدخول إلى الفيلا يستأذن من المستشار (أسامة) في دخول عناصر البحث الجنائي.

استغل (حَميد) غياب (طارق) واتجه إلى جثة (مي) يفتح الكيس البلاستيكي عنها يتفحصها عن كثب وبجواره (عبد الرحمن) يراقب باب الفيلا وأيضًا يلقى نظرة هو الآخر على جثة (مي) وهو يقول:

الكاميرا بتفخم الواحد برضه، طلعت رفيعة جدًّا في الحقيقة.

كانت (مي) في حالة سكون شديد، تبدو جميلة حتى وهي متوفاة، ترتدي أفضل الثياب وأفخمها وبصدر منها رائحة عطر خلاب من النوع الفاخر للغاية، كانت تضع مكياجًا كاملًا بدقة متناهية جعلها تبدو كما تظهر على الكاميرات، وأيضًا تضع باروكة ناصعة السواد من الشعر الطبيعي، وتضع بيدها حليها الكامل وبأحد أصابعها ما زالت ترتدي خاتمًا مرصعًا بفص ألماس كبير، تعجَّب (حَميد) من حالتها الجيدة للغاية وسأل المسعفين:

ماقلعتوهاش الخواتم والدهب ليه؟

فأجابه أحد المسعفين:

جوزها طلب أنها تفضل لبساهم وهيتدفنوا معاها.

تعجَّب (حَميد) من ذلك وبجواره (علي) أيضًا يدور حول جثة (مي) يحاول اكتشاف المزيد، ولكن عودة (طارق) لهم أوقفت كل شيء بعدما عاد وأخبرهم بالدخول إلى الفيلا لإنهاء عملهم بسرعة.

دخل (حَميد) إلى الفيلا يتفحصها بتركيز، يعلم بأنهم لن يتركوه كثيرًا دون أن يدفعوه للخارج، لذا كان عليه سرعة الاستنتاج إن كان هنالك أمر مريب في وفاة الفنانة (مي) وهو ما كان يشعر به بالفعل.

كانت الفيلا كلها تعمل بنظام الـ smart home كل شيء

يعمل إلكترونيًّا دون تدخل بشري، البوابة تُفتح إلكترونيًّا، نظام الري يعمل إلكترونيًّا، الإضاءة تعمل إلكترونيًّا، حتى الأجهزة الكهربائية جميعها متصلة عن بعد على أحد أجهزة التابلت التي تتحكم بكل شيء، لاحظ (حَميد) أن كل مكان داخل الفيلا مراقب بالكاميرات، الكثير من الكاميرات المبالغ فيها، في كل ركن يوجد كاميرا، دخل (حَميد) إلى غرفة المعيشة حيث تُوفِّيَت (مي) وتتواجد المدفأة التي تسببت في انبعاث غاز أول أكسيد الكربون.

تواجد في الغرفة كلٌّ من دكتور (جلال) والمستشار (أسامة)، كانا ينتظران (حَميد) ويبدو على (أسامة) الغضب الشديد لما يحدث، أما (جلال) فعلامات الحزن الشديد كانت هي ما تظهر عليه، عيناه حمراوان من كثرة البكاء ويبدو أنه في حالة يُرثى لها لفقدانه زوجته.

جذب الوكيل (طارق) آي باد وضع على المنضدة واقترب من (حَميد) يريه تسجيل الكاميرا التي يوضح وفاة (مي)، لم يعره (حَميد) أي اهتمام ولم ينظر لتسجيل الكاميرا وانطلق في طريقه يتفحَّص المدفأة، ما إن رأى (عبد الرحمن) ذلك حتى اندفع إلى (طارق) ينظر معه في الآي باد ليتيح المجال لـ (حَميد) ليكمل ما أراده، وبالفعل نجحت الخطة.

نظر (حَميد) وبجانبه (علي) إلى المدفأة جيدًا والخشب المحترق بداخلها، كانت مدفأة تعمل بالغاز الطبيعي لإشعال الخشب، كما أن لها غطاءً زجاجيًّا يمنع خروج الرماد منها، ولكنه سهل الإزالة، بالفعل قام (حَميد) بإزالة الغطاء الزجاجي والدخول بنصف جسده إلى المدفأة التي كانت تحتوي على فلتر تنقية هواء ومن بعده نظام تهوية خارجي يجذب الهواء للخارج، قام (حَميد) بمحاولة فك فلتر الهواء من المدفأة وهو يصدر صوت جلبة في المكان، فاستشاط المستشار (أسامة) غضبًا قائلًا:

أنت بتعمل إيه يا جدع أنت؟

لم يجبه (حَميد) وظَلَّ يحاول استخراج الفلتر حتى نجح،

خرجت رأس (حَميد) من المدفأة وهو يحمل الفلتر ليريه للحضور قائلًا:

واضح أنها أول مرة تشغلوا فيها الدفاية، الفلتر نضيف عمره ما استُخدم.

لم يجد أحد إجابةً لذاك السؤال ولم يعرف أحد هدف (حَميد) من ذلك الكلام، ولكن دكتور (جلال) تحدث يجيب (حَميد):

فيه شركة صيانة بتيجي تعمل صيانة للدفاية كل فترة وكانت هنا قريب.

أجابه (حَميد):

والشركة بتيجي تعمل صيانة وتغير الفلتر في آخر فصل الشتا؟ على العموم هيبان من شركة الصيانة هي جت امتى.

هنا تدخَّل (أسامة) وهو يوبخ (حَميد):

أنا هكلم مدير الأمن يشوف هو باعتلي مين.

أخرج (أسامة) هاتفه ليجري اتصالًا، ولكنه وسط المكالمة وقف مندهشًا عندما وجد (حَميد) يمسك قداحة أخذها من (عبد الرحمن) وورقة وقام بإشعالها ووقف مادًّا يده باتجاه كاشف الدخان المعلَّق بسقف الغرفة لتنطلق صافرة قوية بكل مكان معلنة عن وجود حريق.

نظر (حَميد) إلى دكتور (جلال) قائلًا:

هستأذنك نفصل صوت الإنذار قبل ما الإنذار يبلغ بتوع الحماية المدنية.

فاتجه دكتور (جلال) إلى الشاشة المعلقة بجانب باب غرفة المعيشة ليغلق الإنذار.

ثم أكمل (حَميد):

كاشف الدخان ده أغلى نوع ما شاء الله ويحس بأي نوع غاز، تفتكر مضربش ليه لو كان فيه تسريب غاز؟

وقف (جلال) مستنكرًا ما يحدث لا يجد ما يجيبه، فأكمل (حَميد) تفسيره بأن الدخان الصادر عن المدفأة لا يمكن أن يخرج للغرفة لأنها مغلقة تمامًا من اتجاه الغرفة والطريق

الوحيد لخروجه هو عن طريق مواسير التهوية الخلفية المعدة له، وإن حدث وخرج للغرفة فسيشعر بها كاشف الأدخنة وسيطلق الإنذار والذي سيقوم بإغلاق كامل لكل أنظمة الإشعال الموجودة حتى حل الأمر.

هنا اقترب (حَميد) من المستشار (أسامة) الذي ما زال يمسك الهاتف على أذنه، لكنه لم يجِب الشخص الذي يتحدث معه ووجه تركيزه إلى (حَميد) الذي قال:

ده مش مكان وفاة بنت حضرتك، هي تُوُفِّيت في مكان تاني.

ساد الصمت المكان، أغلق المستشار (أسامة) الهاتف ووجه نظره إلى دكتور (جلال) زوج ابنته الذي ما زال على موقفه، يقف حزينًا مكلومًا وزاد على الأمر أنه أغمض عينيه وكأنه يحاول حبس دموعه، لكنه لم يستطع لتهرب منه دمعة أخذت مسارًا معروفًا على خده لم يجف بعد.

ما زال (طارق) يمسك بالآي باد وواجه به (حَميد) وفيه فيديو للفنانة (مي) وهي في غرفة المعيشة تحتضر بسبب الغاز، أمسك (حَميد) بالآي باد ليشاهد الفيديو بتمعُّن والجميع يترقَّب ما يحدث.

يظهر الفيديو دخول الفنانة (مي) إلى غرفة المعيشة وإشعالها للمدفأة وجلوسها تشاهد التلفاز، استمر الأمر لمدة ٤٥ دقيقة حتى بدا عليها أعراض التسمم فقد بدأت تترنح وحاولت أن تمسك رأسها بيدها فلم تستطع، وظلت هكذا لفترة وبدت غير قادرة على الحركة حتى غابت عن الوعي، ومن بعدها سقط جسدها على الأريكة، ومع مرور الوقت زاد التسمم وتسبب بوفاتها، بعدها يظهر دكتور (جلال) بنصف ساعة وهو يدخل الغرفة باحثًا عنها ليجدها في تلك الحالة ويُصاب بالذعر ويمسك بهاتفه ليتصل بالطوارئ.

يمسك (حَميد) الفيديو المصور بتمعن يحاول اكتشاف أمرٍ ما، يحاول إعادته أكثر من مرة والجميع ينتظرونه مترقِّبين، يبدو أنهم قد بدؤوا يشعرون أن هنالك أمرًا غير صحيح، جميعهم ما عدا دكتور (جلال) الذي ظَلَّ مكانه ساكنًا غير

متفاعل لما يفعلونه، يقف حزينًا شريدًا تنساب بعض الدموع على خده كل فينة.

انتهى (حَميد) من الفيديو ووجَّه نظره إلى دكتور (جلال) يخبره:

تمثيلك سيء جدًّا يا دكتور (جلال).

هنا تغيَّرت ملامح (جلال) قليلًا وهو يرفع وجهه ينظر لـ (حَميد) ويبدو أنه غير مبالٍ لما قيل، لكنه أجابه قائلًا:

تمثيلي إزاي؟

هنا اقترب منه (حَميد) يناقشه في الفيديو، عندما دخل (جلال) الغرفة أخذ يتلفَّت يمينًا ويسارًا مع العلم أن جميع أثاث الغرفة يقع يمين الباب وهو بالتأكيد على دراية بأثاث بيته، وما إن اقترب من زوجته وهي ملقاة على الأريكة أول شيء فعله هو وضع إصبعيه على رقبتها يتحسَّسُ نبضها، لم يحاول أن يوقظها أو يتفحص ما أصابها، بالإضافة أنه أغفل جزئية تواجد غاز أول أكسيد الكربون في الغرفة الذي ظَلَّ بها فترة ليست بالقليلة ولم يتأثر به رغم أنه من المفترض قد ملأ الغرفة كلها.

يمسك المستشار (أسامة) الآي باد من يد (حَميد) ليشاهد التسجيل، فأكمل (حَميد) حديثه قائلًا:

وأعتقد أن الوكيل (طارق) ما أخدش باله أنه ماسك آي باد مختلف عن بتاع الفيلا دي زي ما أخدش باله من كاشف الدخان اللي في الأوضة.

تغيَّرت ملامح (طارق) وأيضًا ملامح (جلال) عندما سمع حديث (حَميد)، ذلك الآي باد الذي يمكسه بغلاف شفاف مختلف عن الآي باد الذي استخدمته (مي) لإشعال المدفأة، فالآخر كان بغلاف أبيض، وأيضًا لم يستخدم (جلال) الآي باد المتداول معهم لإيقاف الإنذار واضطر إلى الذهاب لإيقافه من جهاز الأمان الرئيسي.

اتَّجَه (طارق) إلى المستشار (أسامة) يتأكد مما قيل وبالفعل كان صحيحًا، أكمل (حَميد) حديثه مع (جلال) قائلًا:

أعتقد الآي باد ده بتاع العيادة عشان عليه بودرة من بتاعة

الجوانتيات الطبية.

صمت (جلال) ولم يتحدث وترك الأمر لـ (حَميد) يكمل شرحه، تم نقل ذاك الفيديو إلى الآي باد الآخر لأن الآخر سيكون به تفاصيل تسجيل الكاميرات كاملًا ويكشف ما حدث بالضبط.

اتجهت العيون كلها إلى (جلال) وكأنها تستجويه في صمت، أين يوجد الآي باد الأصلي للفيلا، علم (جلال) أن الأمور لا تسير في صالحه فاتجه إلى أحد الأدراج الموجود في المكتب الجانبي بالغرفة ليخرج الآي باد الأصلي ليذهب إليه (طارق) ينتزعه منه ويفتح تسجيلات الكاميرا يفتحها ليجد أن الفيديو الذي شاهدوه هو نفس الفيديو على الآي باد ولا يوجد تسجيل بعده.

ابتسم (حَميد) في وجه (طارق) يخبره:

هو مكانش بيخفي التسجيل، هو كان بيخفي وقت تسجيله.

يقف الجميع غير مستوعب ما قيل فأسرد (حَميد) يشرح أن (جلال) استخدم الآي باد الآخر لإخفاء وقت تسجيل الفيديو الموجود على الكاميرا نفسها، وأما عن أن ذلك التسجيل غير مكتمل فهذا لأن (جلال) قام بتحويل إعدادات الكاميرا من التسجيل عند الشعور بحركة Motion detection إلى عدم التسجيل نهائيًا no record، حتى لا تسجل ما حدث بعد اكتشافه لزوجته في غرفة المعيشة، ثم تابع (حَميد) كلامه لـ (طارق):

ممكن تقولنا توقيت تسجيل الفيديو من داخل الكاميرا نفسها كانت الساعة كام؟

دخل (طارق) إلى كاميرا غرفة المعيشة يشاهد التسجيل ليجده في الـ ٩:٣٠.هنا أجاب (عبد الرحمن) بسرعة:

البلاغ كان الساعة ١٢:٣٠.

فتحدث (حَميد):

والتسجيل مدته ساعة ونص ساعة على ما (جلال) اكتشف الأمر يعني كانت ١١:٠٠.. فيه ساعة ونص فرق عن وقت

تبليغ دكتور (جلال) للحادثة.

هنا هجم (أسامة) على (جلال) ممسكًا إياه من قميصه وهو يوجِّه له اتهام قتل ابنته:

أنت اللي قتلتها يا كلب؟

اندفع (طارق) إلى (أسامة) يحاول فك الاشتباك بينهما وتخليص (جلال) من قبضة (أسامة) حتى لا تتطور الأمور، ووسط هذا الخلاف ظهر العميد (سعيد) بعد أن أمره مدير الأمن بالتوجه إلى فيلا (جلال بدر) بنفسه لحل الأمر، فما إن دخل ورأى ذلك المشهد حتى ركض مسرعًا هو الآخر لفض الشجار بين (أسامة) و(جلال).

كل ذلك و(حَميد) يقف في مكانه يفكر في أشياء أخرى، لم تكن هنالك أي علامات اعتداء على جسد (مي) وأيضًا جميع الأدلة تشير أنها قد سُمِّمَت بغاز أول أكسيد الكربون، وأيضًا الفترة قصيرة لإصابتها بالتسمم، فلا بد أن تتعرض مباشرة للغاز وفي مكان ضيق ليس باتساع غرفة المعيشة التي كانت بحجم شقة (حَميد) كلها، ظَلَّ (حَميد) يفكر ومعه (علي) يتباحثان الأمر بخاطرهما، ولكن (عبد الرحمن) أتى من الخارج مسرعًا مقتربًا من أذن (حَميد) يخبره بأمر لتتسع عين (حَميد) فجأة، كيف أغفل عن ذلك الأمر.

عندما علم (عبد الرحمن) باختلاف مكان وفاة (مي) وهو أيضًا على يقين بوفاتها بغاز أول أكسيد الكربون فاتجه يفتش في الفيلا عن مكان آخر قد تكون تُوُفِّيَت (مي) بداخله، مكان ضيق غير واسع، والأهم من ذلك ليس به كاشف الأدخنة، أخذ يبحث في الفيلا عن ذاك المكان حتى توصَّل إلى أفضل مكان لذلك الأمر، الساونا، ولقد أصاب ظنه، ما إن دخل (عبد الرحمن) حتى وجد أنبوبًا معدنيًّا كُتب عليه CO وبجانبه علامة خطر الموت، أنبوب من تصنيع إحدى شركات البترولية التي تستخدمه في صناعاتها.

يقف (عبد الرحمن) مستغربًا ما حدث، لماذا صنعوا تلك القصة وهي في النهاية ستموت بنفس الطريقة، لماذا قاموا

بتمثيل ما حدث بتلك الطريقة، ولماذا تم نقلها من الساونا مجددًا إلى غرفة المعيشة مرة أخرى، ظَلَّ يفكر في الأمر حتى جاءه خاطر مثير جعله يقفز مسرعًا من على الدرج ليخرج إلى عربة المسعفين بالخارج يفتح الكيس البلاستكي للجثة وينظر لها ويسرع مجددًا للداخل ليصل إلى (حَميد) يبلغه في أذنه بصوت هامس:

كانت لابسة باروكة عشان شعرها وقع.

اتسعت عينا (حَميد) لسماع حديث (عبد الرحمن) له وأصبحت الأمور واضحة الآن، فانطلقت جملة من (عبد الرحمن) جعلت كل من في الغرفة صامت لا يتحدث:

أنت قتلتها عشان كانت مريضة سرطان؟

توقَّف (أسامة) فجأة وأنزل يده من على (جلال) والتفَّ كلٌّ من العميد (سعيد) و(طارق) إلى (عبد الرحمن) الذي يقف ثابتًا يوجِّه نظره إلى (جلال) الذي ما إن سمع تلك الجملة حتى انفتح في البكاء بصوت عالٍ ولم يستطع التوقف، حتى إنه سقط على ركبتيه لا يستطيع الوقوف، أما (حَميد) فظلَّ واقفًا يفكر في شيء آخر يحدث نفسه «هنالك أمر غير منطقي».

ينظر (أسامة) إلى (جلال) مستغربًا ومندهشًا من الأمر:

(مي) كان عندها سرطان؟

يقف الكل صامتًا لا يستمعون إلا لصوت نحيب (جلال) الذي لم يتوقف، توجَّه (عبد الرحمن) إلى (جلال) وهو يخرج الأصفاد لتكبيله، وما إن شعر جلال بذلك حتى أخرج فلاشة من جيبه يعطيها لـ (عبد الرحمن) الذي اندهش من الأمر.

نظر (عبد الرحمن) إلى العميد (سعيد) الذي أمر (عبد الرحمن) بتشغيل ما على تلك الفلاشة وسط انتباه الجميع، فتوجه إلى الشاشة ووضع بها الفلاشة ليبدأ فيديو مسجل لـ (مي) وهي بداخل الساونا وبجوارها (جلال).

«أنا الفنانة (مي خورشيد)، أعتقد أنكوا لو بتشوفوا الفيديو ده يبقى الخطة إلى حطتها مطلعتش مظبوطة، عشان كده أنا بسجل الفيديو ده وأنا في كامل قواي العقلية، أنا قررت

أني أنهي حياتي بعد صراع كبير مع السرطان، حاولنا كتير أنا و(جلال) بس مفيش أمل وكل يوم التعب بيتملِّكني أكتر من اليوم اللي قبله، حاولت انتحر كتير، بس (جلال) كان بيلحقني على طول، بس هو دلوقت عارف إن خلاص معدش فيه أمل، أنا اللي خدت القرار ومحدش أرغمني عليه، وما دام الفيديو ده اتشاف فمن فضلكم ده رجاء مني شخصي أن محدش يعرف أني كنت تعبانة أو أني قررت أني أنهي حياتي، و(جلال) مالوش أي دخل بالموضوع».. ثم ألقت بقبلة بيدها على الشاشة مثلما كانت مشهورة دائمًا بتلك الحركة.

ذلك فيديو تم تصويره بنفس ملابسها التي تُوُفِّيت بها، كان (جلال) بجوارها في الساونا يبكي بشدة وهي تتحدث بجواره، وما إن أنهت التسجيل قامت بتقبيله قبلة طويلة وسط دموع تنهمر من كليهما، وحينها دفعته للخروج من الساونا وأغلقت الباب وفتحت أسطوانة الغاز لدقائق حتى تُوُفِّيَت.

يستمع المستشار (أسامة) إلى الفيديو وتهرب دمعة من عينيه وهو يستمع لابنته وكلامها عن مرضها الذي لا يعلم عنه شيئًا.

تحدَّث (جلال) وهو يجلس على ركبتيه وما زال يبكي بشدة قائلًا:

حاولنا كتير وجربنا كل علاج ممكن، بس المرض كان بيزيد كل يوم عن اللي قبله.

سرد (جلال) ما حدث لهما في السنين القليلة الفائتة حيث مرضت (مي) منذ ثلاث سنوات وشُخِّصَت بمرض السرطان، وبدأت رحلة العلاج بمساعدة (جلال)، ابتعدت عن السينما وعن معجبيها وبدأ العلاج يُنْقِص من صحتها حتى بدأ الاكتئاب يتملَّكها لولا مساعدة زوجها وطمأنته لها أنها ستُشفى وتعود لجماهيرها وفنِّها التي أعطته كل حياتها، لكن مع مرور الوقت واختلاف العلاج والأدوية والأطباء المعالجين حتى خارج البلاد بدأ اليأس يتخلَّل إليها، وحاولت الانتحار عدة مرات لولا مراقبة زوجها لها عن طريق الكاميرات العديدة

الموجودة في منزلهما، حتى إنه نقل عيادته بجوار منزلهما حتى يكون بجوارها دائمًا لمساعدتها، ظلًا يقاومان سويًا المرض، ولكنه في النهاية قد انتشر ولم يكن هنالك أي علاج لها سوى المسكنات التي لم تعد تؤتي ثمارها مع شدة الألم، رغم تفاؤل (جلال) في بداية المرض إلا أنه أصبح يرى زوجته تتألم كل يوم ولا يستطيع مساعدتها، كان ذلك يؤلمه للغاية، أخبره جميع الأطباء أن حالتها ليس لها حل في تلك المرحلة فأصيب باليأس هو أيضًا، كانت تخبره دائمًا إن تُوُفِّيَت في إحدى مرات انتحارها ألا يعرف أحد بالأمر من جماهيرها، فلقد عُرِفت بقوتها وأنوثتها وحب الجميع لها وإقبالها على الحياة، لم ترد لأحد أن يرى ما حدث لها، أو ما فعلته بنفسها، وهو ما حاول (جلال) فعله بعدما تنازل أخيرًا ووافقها على إنهاء حياتها على طريقتها بواسطة غاز أول أكسيد الكربون غير المؤلم الذي جلبه لها عن طريق أحد مرضاه الذين يعملون داخل إحدى شركات البترول، ووضعت (مي) مخططًا لتنفيذه يبدو فيه أنها تُوُفِّيَت طبيعيًا وأخبرت به (جلال) الذي ساعدها فيها، ولكنه لم يكن محكمًا لتلك الدرجة فتم كشفه.

توقَّف (جلال) عن الحديث، ولكنه استمر في البكاء، لقد أحبَّها بصدق ولم يكن يصدق أن ذلك سيحدث لهما، فهي حب حياته ورفيقة دربه، لم يُنعم الله عليهما بالأولاد، لكن ذلك أزاد ارتباطهما ببعضهما البعض وجعلهما لا يفترقان وقد تعاهدا على ذلك، ولكن جاء المرض ليفرقهما الآن ويجعل (جلال) تعيسًا لما تبقَّى له من حياته.

يقف المستشار (أسامة) وقد ازدادت دموعه لما عرفه عن مرض ابنته ومعاناتها وابتعاده عنها منشغلًا بعمله السياسي والذي أعطاه كل وقته دون أن يسأل عن ابنته أو أحوالها، يقف الكل في حالة صمت يشعرون بحزن كبير للدكتور (جلال) والمستشار (أسامة) إلا حَميد، لم يشعر بأي شيء سوى أنه توجه إلى (جلال) لوضع الأصفاد بيده ليتفاجأ العميد (سعيد) بما يفعله ويأمره بيده أن يتوقف، فشعر (حَميد) أن هنالك شيئًا لا يستوعبه وهي مشاعر الآخرين.

اقترب العميد (سعيد) من (جلال) يحدثه بهدوء:

هنستنى حضرتك في قسم البحث الجنائي يا دكتور عشان نخلص بعض الإجراءات.

نظر المستشار (أسامة) إلى (سعيد) وإلى رجاله (حَميد) و(عبد الرحمن) فأوما له (سعيد) برأسه وهو يقول:

متقلقش يا (أسامه) بيه، القضية سرية ومفيش معلومات هتطلع للصحافة.

ركب (حَميد) سيارة (عبد الرحمن) ليعيده إلى منزله ودار بينهما حوار سريع، بدأه (عبد الرحمن):

ما شاء الله عليك يا أفندم، القضايا بتاعتك بتخلص في يومها.

لم يعقب (حَميد) على كلام (عبد الرحمن) الذي أكمل حديثه:

ألا حضرتك مسكت قضايا كبيرة قبل كده وطوِّلت معاك؟

هنا أجابه (حَميد):

آه بس مش هنا، مدينة الكرمة الجريمة فيها بسيطة مش زي باقي المدن

سأله (عبد الرحمن):

هو فيه جريمة بسيطة وجريمة صعبة يا أفندم؟!

أجابه (حَميد):

المدينة هنا كلها مستواها مرتفع ماديًّا متدني في الفكر الإجرامي، ملقتش هنا جريمة أو مجرم أحترمه، كلهم أخطاؤهم غبية جدًّا.

صمت (عبد الرحمن) قليلًا يتفكَّر فيما يقوله (حَميد) وهو مرتاب.

أكمل (عبد الرحمن) حديثه قائلًا:

طب قضية زي إيه يا أفندم غلبتك قبل كده؟

أجابه (حَميد):

قضية سفاح مدينة الوادي.

تفاجأ (عبد الرحمن) عندما علم بالأمر واتسعت عيناه:

حضرتك إلى كشفت سفاح الوادي، أمال العقيد (سامر) اللي اسمه ملى الأخبار ده إيه؟

صمت (حَميد) ولم يعقب على سؤال (عبد الرحمن) وظلا صامتين حتى وصلا إلى منزل (حَميد).

نزل (حَميد) من السيارة وقبل مغادرة (عبد الرحمن) نظر له عبر نافذة السيارة يحدثه:

شكرًا يا (عبد الرحمن) على مساعدتك النهارده في القضية.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه (عبد الرحمن) استمرت طويلًا وهو يجيب (حَميد):

تحت أمرك يا أفندم، أنا نقطة في ذكاء حضرتك.

انطلق (عبد الرحمن) وظَلَّ (حَميد) يتابعه بداخله يتذكر اختفاء (علي) أخيه عندما ساعده (عبد الرحمن) في القضية.

صعد (حَميد) إلى شقته وهو ينظر إلى شقة السيدة مجددًا متمنِّيًا أن تفتح الباب ليراها، ولكنها لم تفعل، فتشجَّع وذهب إلى شقتها يرن الجرس لتأتي السيدة من خلف الباب تسأل عمَّن رن الجرس ليجيبها (حَميد) عن نفسه فتفتح السيدة الباب سريعًا مبتسمة:

أهلًا يا أفندم، أخبار حضرتك إيه؟

أجابها (حَميد) وهو يعطيها ورقة دوَّن عليها رقمه وهو يخبرها:

لو الراجل ده رجع تاني عرفيني، أو لو عايزة تعملي محضر عدم تعدي ممكن أساعدك.

ابتسمت السيدة لـ (حَميد) وهي تنظر في الورقة وتقول:

لا شكرًا، أنا متعودة منه على كده لما كنا متجوزين، بس أنا دلوقت اتطلقت ورجعت بيت بابا تاني، بس لو حصل حاجة تاني هبلغ حضرتك طبعًا. أجابها (حَميد):

تمام.

مدت السيدة يدها إلى (حَميد) تصافحه وهي تقول له:

(جميلة).

لم يعرف (حَميد) ماذا يفعل ولم يمد يده ليصافحها فقط رد عليها:

إيه؟!

أجابته وهي ما زالت تمد يدها له:

اسمي (جميلة).

مدَّ (حَميد) يده بتردد وضربات قلبه تزداد بسرعة كبيرة ليصافحها وهو يغمض عينيه حتى انتهت المصافحة ليجدها تبتسم بشدة فأحس بشيء من الإحراج وأسرع إلى شقته يختبئ بها وهو يمسك بيده التي صافح بها (جميلة) الجميلة.

يقف (عبد الرحمن) أسفل منزله يستعد للصعود ليمسك بهاتفه يتحدث إلى أحدهم قائلًا:

بلِّغ دكتور (يحيى فهيم) أني كسبت ثقته.

في مكتب العميد (سعيد رسلان) يصله مظروف صغير من شركة الصقر للأمن بداخله فلاشة صغيرة كُتِب عليها (عناية سيادة العميد (سعيد رسلان)).

فتح العميد (سعيد) الفلاشة ليجد فيديو مسجل لـ (حَميد) و(عبد الرحمن) وهم يركضان خلف (بلال) في السلم الخلفي، كان الكادر مسلط على (حَميد) الذي توقَّف فجأة على الدرج وأخذ يلوِّح بيده في الهواء وكأن شيئًا يهاجمه، ثم توقَّف وبدأ ينزل الدرج بصعوبة وهو ينظر في كل الاتجاهات حتى بدأ يصدر حركات غير طبيعية ويدور حول نفسه والتزم أحد الجدران وجلس القرفصاء وهو يدفع الهواء بيده بسرعة وخوف حتى افترش الأرض تمامًا وظَلَّ هكذا حتى عاد إليه (عبد الرحمن) مجددًا.

# (٧)

## دَيْن دموي

يتحرك (عبد الرحمن) داخل أروقة مبنى البحث الجنائي حتى وصل إلى مكتب العميد (سعيد) فطرق الباب وانتظر الرد حتى جاءه من الداخل يدعوه للدخول، ما إن دخل (عبد الرحمن) حتى وجد العميد (سعيد) منتظره يأمره بالجلوس وهو يحدثه:

إزيك يا (عبد الرحمن)؟

أجابه (عبد الرحمن) بقلق، فتلك من المرات القلائل التي يدعوه باسمه وليس (عبده):

الحمد لله يا أفندم كله تمام، اتفضل حضرتك.

هنا وجَّه العميد (سعيد) سؤاله له قائلًا:

فاكر اليوم اللي روحتوا فيه لشركة الصقر بتاعة الأمن؟، كنت حاسس بحاجة على (حَميد) يومها؟

تغيَّرت ملامح (عبد الرحمن) وازداد قلقه وهو يجيب العميد (سعيد):

حاجة زي إيه يا أفندم، لا كان طبيعي جدًّا.

أومأ العميد برأسه لـ (عبد الرحمن) وهو يحدثه:

أنت بقالك فترة قريب من (حَميد)، هل شوفته مرة بيتعاطى حاجة؟

تعجَّب (عبد الرحمن) من السؤال، ولكنه أجاب بهدوء:

لا يا أفندم، ده مبيشربش سجاير ولا شاي حتى، هو حصل حاجة يا أفندم؟

أجابه العميد (سعيد):

لا أنا كنت بطمن بس، تقدر تتفضل، شكرًا يا (عبد الرحمن).

نهض (عبد الرحمن) من جلسته وأدى التحية العسكرية وغادر المكتب، وما إن خرج حتى أخرج هاتفه ليجري مكالمة سريعة مع أحد الأشخاص قائلًا:

فيه مشكلة، أعتقد عرفوا بموضوع (حَميد).

فجاءه الرد من الشخص قائلًا:

هنحل الموضوع، المهم لو حصل جديد تبلغنا.

فسأل (عبد الرحمن):

أروح له أحذره؟

فأجابه الشخص:

لا، د. (يحيى) بيقولك خليك زي ما أنت، مينفعش نحرقك دلوقت، أنا هروح لـ (حَميد) أزوره.

استيقظ (حَميد) على صوت جرس الباب الذي رنَّ ٤ مرات متتالية، كان صوت الجرس يغضب (حَميد) بدون سبب، ولكن غضبه تضاعف مع إلحاح ذاك الشخص على رن الجرس، فنهض من سريره وهو عابس يخطط على الانقضاض على ذاك البغيض الواقف خلف الباب أيًّا كان هو.

تحرك (حَميد) ببطء صوب الباب وهو ما زال يستمع إلى صوت الجرس حتى وصل إلى الباب وفتحه بقوة وهو ينظر للشخص الذي وراءه ليوجِّه له السباب، ولكنه تجمَّد مكانه فجأة، لقد كانت (جميلة) هي من ترن الجرس تتحدث بلهفة شديدة:

أنا آسفة يا أفندم أنا عارفة أني رخمة، بس لقيت مفتاح باب حضرتك نسيته في الباب من برة فقُلت أكيد حضرتك في البيت، أصلي بعمل الحركة دي على طول.

يحاول (حَميد) فهم ما تقوله (جميلة) وهو ينظر إلى مفتاح منزله الذي نسيه في الباب من الخارج كعادته، ثم وجَّه نظره إلى (جميلة) يشير إلى أنه لا يفهمها، فأكملت حديثها وهي تضحك باستحياء قائلة:

برص.

اندهش (حَميد) من الكلمة فسألها:

نعم؟!

فأجابته:

عندي برص في البيت وأنا بخاف منهم جدًّا، ممكن حضرتك تساعدني؟

امتعض (حَميد) في داخل نفسه وهو يبرطم عمَّن يخاف من البرص، فهو يراه كثيرًا ويتغاضى عن ضربه بالحذاء لبعده عنه، لعلَّ سبب المشاكل التي يقع فيها هو امتناعه عن قتل البرص، لكنه الآن مرغم على قتله بعدما طلبت (جميلة) الجميلة مساعدته.

غادر (حَميد) منزله وأغلق الباب وراءه وترك المفتاح مكانه لم ينتشله من الكالون، وذهب مع (جميلة) إلى منزلها ليجدها قد أعلنت الحرب على البرص، ما إن دخل من الباب حتى وجد مقشة وشبشبين مختلفين وزعافة وسكينة مطبخ، لا يعلم (حَميد) ما دخل السكين بالأمر، لكنه لم يعلِّق على الأمر، دخلت (جميلة) وراءه وهي تتحسس حركاتها وتمشي ببطء شديد وهي تتلفت يمينًا ويسارًا، سألها (حَميد) عن مكان رؤيتها للبرص فأجابت بأنه كان بالداخل عند إحدى البلكونات.

عند إحدى البلكونات وهي تتلفت يمينًا ويسارًا عند الباب، علم (حَميد) حينها أنه سيعاني بشدة إن لم يجد ذاك البرص، فتَّش (حَميد) في كل مكان عن البرص فلم يجده، بالتأكيد لن يعرف أين اختبأ البرص، وخصوصًا إن شعر أن هنالك من يسعى وراءه فلن يُظهر نفسه، فطلبت (جميلة) من (حَميد) أن ينتظر حتى يظهر البرص فهانت عليه نفسه، (محمد حَميد) الذي لا ينتظر المجرمين دقائق ليكشفهم، ها هو ينتظر برصًا ليظهر.

خلال انتظارهما للبرص جذبت (جميلة) أطراف الحديث مع (حَميد)، فسألته:

حضرتك أنا مشوفتش مراتك خالص، هي مسافرة؟

أجابها حَميد:

لا أنا مش متجوز.

هنا وضعت يدها على فمها وكأنها متفاجئة وهي تقول:

أنا آسفة، معرفش أنها تُوُفِّيَت.

نظر لها (حَميد) نظرة اندهاش لما قالته وهو يجيبها:

لا متوفتش. . .لم تنتظره ليجيب فأكملت:

إيه ده مطلق زي حالاتي؟

امتعض (حَميد) من إجابتها وعدم تركه ليكمل كلامه فاضطر إلى الصمت حتى لا يغضب أكثر، فتحدثت (جميلة) قائلة:

أنا كمان اتطلقت من جوزي بعد ما بهدلني وكان هيموتني كذا مرة، حتى بعد أما سبته مسابنيش وجالي هنا ومد إيده عليا تاني، بس والله لو جه تاني لأكون سجناه.

ثم نظرت إلى (حَميد) تحدثه:

مش لو ضربني تاني وأنا مش على ذمته من حقي أسجنه؟

أجابها حَميد:

ولو على ذمته، من حقك تسجنيه، وممكن نسكت شوية؟

اندهشت (جميلة) مما قاله (حَميد) الذي لاحظ أنها قد حزنت لما قال فعلَّل كلامه قائلًا:

طول ما البرص حاسس بحركة جنبه عمره ما هيطلع.

هنا فهمت (جميلة) مقصد (حَميد) واستعادت ابتسامتها وهي تشير لـ (حَميد) بإصبعها أن يصمت حتى يخرج البرص، حينها ابتسم (حَميد) بشكل واضح وجلي وحينها تفاجأ بالأمر، هو لا يتذكر آخر مرة ابتسم فيها أو شعر بالبهجة، لقد شعر بها في وجود (جميلة). لم تمضِ دقائق من الصمت حتى خرج البرص من مكانه، وحينها صرخت (جميلة) وقفزت مبتعدة عن مكانها الذي يبعد عن البرص بـ ٥ أمتار، فأحس البرص بالخطر فركض يعود إلى مخبئه، ولكن حذاء (حَميد) قد وصل إليه قبل أن يختبئ مجددًا من خلف الباب لتسأله (جميلة) في توتر ولهفة:

مات؟

انتزع (حَميد) قدمه لتظهر جثة البرص من تحتها لتهلل (جميلة) وتصفق بيدها كطفلة صغيرة وسط حركات تعالي وفخر خرجت لا إراديا من (حَميد) لما فعله.

انتشل (حَميد) أشلاء البرص وهمَّ بالمغادرة، فأسرعت إليه (جميلة) بطبق ملفوف وهي تقول:

دي بسبوسة بالقشطة، أنا اللي عملاها.

شكرها (حَميد) وأخبرها بأنه لا يتناول أية حلويات، بالرغم من أن البسبوسة بالقشطة هي أفضل الحلويات لديه والتي كانت تجيد أمه صنعها، ولكنه لم يرد أن يأخذ شيئًا في مقابل صنعه.

أصرت (جميلة) بطريقة لحوحة عليه وهي تخبره:

جوزي، أقصد طليقي كان بيقولي أنا صابر عليكي بس عشان البسبوسة أم قشطة بتاعتك.

ابتسم (حَميد) مجددًا على عفوية (جميلة) واقتنع أخيرًا أن يأخذ الطبق ويرحل إلى منزله.

في منزله يجلس (حَميد) وأمامه طبق البسبوسة وكأنه يحاوره، متردد في أكله، ولكنه شعر برغبة بالتهامه لأنه من صُنع (جميلة)، فمدَّ يده وأكل قطعة منها لتلمع عيناه فجأة وهو يتلذذ بشدة لما يأكله، لقد كانت أعظم بسبوسة بالقشطة تناولها في حياته، لقد كان لزوج (جميلة) كل الحق في عدم تطليقها إن كانت البسبوسة تلك حاضرة فعلًا.

التهم (حَميد) الطبق في دقائق قليلة وهو يتلذذ بكل قضمة منه حتى رنَّ جرس الباب فانتفض، إن كانت (جميلة) فماذا سيبرر لها الطبق شبه الخالي الذي أمامه الذي أخذه منها منذ أقل من ١٠ دقائق، مسح (حَميد) فمه من بواقي القشطة وقام بإخفاء الطبق حتى لا تجده (جميلة)، واقترب من الباب يفتحه وهو مبتسم، ولكن غابت الابتسامة فجأة عندما وجد شخصًا غريبًا يقف أمام بيته يحدثه:

مساء الخير سيادة المقدم، أنا الدكتور (سمير عبد العليم).

يجلس (حَميد) أمام د. (هيثم) في عيادته النفسية الذي لاحظ تغييرًا ملحوظًا في هيئة (حَميد)، لأول مرة منذ أن بدأت الجلسات ظهر (حَميد) بشعر مهندم وضع عليه مادة زيتية ووجَّهَهُ إلى أحد الأجناب، كما أنه يرتدي ملابس متجانسة

الألوان مع بعضها البعض على عكس المرات السابقة التي كانت عشوائية للغاية، ينظر له د. (هيثم) في حماسة شديدة يرغب في معرفة سبب ذلك التغيير الواضح، لم يرغب أن يظهر لـ (حَميد) أنه قد لاحظ الاختلاف عليه، ولكن (حَميد) علم ذلك مسبقًا منذ النظرة الأولى التي رآها على محيا د. (هيثم) عندما دخل عليه الغرفة.

بدأ (حَميد) حديثه مع د. (هيثم) متحدثًا عن النقيب (عبد الرحمن) وكيف أنه أصبح يصحبه في أغلب القضايا التي يتولَّاها، وليس ذلك فقط فإنه عندما يبدأ النقاش معه في أي قضية فلا يرى أخويه حينها ويختفيان، لا يظهران مجددًا إلا إن كان بمفرده وفي غياب (عبد الرحمن).

ارتسمت ضحكة على وجه د. (هيثم) وهو يشعر بأن هنالك انفراجة في حالته، ولكنه أراد أن يتأكد أولًا من مواظبة (حَميد) على دوائه وأنه يتناوله في مواعيده المحددة، أجابه (حَميد) كذبًا بأنه يتناوله وفقًا للجدول الزمني المحدد له ولا يتأخر عنه، كان (حَميد) يكذب بذلك الشأن، فلم يكن يتناول أدويته إلا عندما تظهر له أمه أو أبوه، وغير ذلك فهو لا يتناوله بانتظام ظنًّا منه أن ذلك الدواء يمنعه من التركيز والقدرة على حل القضايا.استكمل د. (هيثم) حديثه مع (حَميد) يسأله إن كان قد تأكَّد بالفعل أن (عبد الرحمن) شخص حقيقي وليس من مخيلة (حَميد)، حينها تغيَّرت ملامح (حَميد) فقد بدا عليه بعض الاستياء، لكنه أيضًا يعلم أن د. (هيثم) يريد أن يساعده ويطمئن عليه بالفعل، لذا أعد (حَميد) للأمر مسبقًا وأخرج هاتفه وفتح الواتساب الخاص به ليدخل على المحادثات ومنها محادثته مع (عبد الرحمن) الذي أرسل إليه صورة سيلفي كان قد التقطها مع (حَميد) في أحد القضايا وأرسل الصورة إلى هاتف (حَميد).

يمسك د. (هيثم) الهاتف ليجد شابًا في أواخر عقده الثالث في مقدمة الصورة يبدو سعيدًا ومن خلفه (حَميد) ينظر واجمًا كأنه قد تم إجباره على الصورة أو التُقِطَت بسرعة دون أن يوافق على التقاطها، هنا تحدَّث د. (هيثم) قائلًا:

واضح إن (عبد الرحمن) بيحبك يا (حَميد)، الصورة بتقول كده.

لم يعقب (حَميد) على كلام د. (هيثم) وظَلَّ صامتًا فاستكمل د. (هيثم) حديثه:

متتضايقش من أني سألت على (عبد الرحمن)، دي حاجة لازم نعرفها عشان نتأكد أننا ماشيين في الطريق الصح.

أومأ (حَميد) برأسه موضحًا أنه يتفهَّم وجهة نظر د. (هيثم) الذي أكمل حديثه:

في بداية العلاج ممكن عقلك الباطن يهيئ لك حاجات جديدة تخليك تدخل في دوامة تانية غير اللي أنت فيها، بس ده طبيعي جدًّا يحصل، المهم أنك تعرف تميِّز بين الواقع والشيء اللي مش موجود.

تغيَّرت ملامح (حَميد) وبدا أنه تذكر شيئًا ما فسأل د. (هيثم):

تقصد إيه مفهمتش؟

أجابه (هيثم) شارحًا له مثالًا واقعيًّا، فـ (حَميد) يرى أخويه وأمه وأباه، وعندما بدأ عملية العلاج قد يخلق عقله عالمًا آخر بأشخاص آخرين حتى يظل حبيس تخيلاته، فقد يكون (عبد الرحمن) من وحي تخيُّلاته مثلًا، ولكن قد ثبت العكس، كما أنه في بعض الحالات يُهيَّأ لبعض المرضى أنه يتم مراقبتهم أو محاولة تجنيدهم لغرض ما أو حتى تورطهم في مشاكل غير موجودة بالأساس وهي من وحي خيالهم، المهم في الأمر هو شعور المريض بالواقع الحقيقي وتمييزه عن التهيؤات التي تظهر له حتى لو استمرت في الظهور لفترة، ولكن المعرفة هي سبيل العلاج، حينما سمع (حَميد) ذلك الكلام تذكر لقاءه مع د. (سمير عبد العليم) وما دار بينهما وتردد في التحدث فيه مع د. (هيثم)، ولكن د. (هيثم) قاطعه قائلًا:

كويس موضوع الصورة ده يا (حَميد)، أي حد تعرفه جديد صوره وابعت صورته لحد تعرفه مثلًا متأكد أنه حقيقي، ليا مثلًا وأنا هقولك هو موجود فعلًا ولا لأ.

أومأ (حَميد) له بالإيجاب وقد بدا عليه أنه أحب الفكرة بالفعل، حينها قاطعه (هيثم) قائلًا:

المهم مكلمتنيش عن أنك مسرح شعرك ومظبط لبسك، أعتقد أنك لو هتقابل الوزير شخصيًّا مش هتسرَّح شعرك، ممكن أعرف إيه السبب، إيه حصل جديد؟

أجابه (حَميد) مقتضبًا:

مفيش جديد، زي ما قولتلك مفيش جديد هو (عبد الرحمن) بس.

فأجابه هيثم ضاحكًا:

(عبد الرحمن) السبب أنك تسرح شعرك وتلبس لبس متناسق؟ أنا كده أقلق.

هنا رمقه (حَميد) بنظرة حادة جعلت الابتسامة تتلاشى بسرعة من على وجه د. (هيثم) الذي شعر بغضب (حَميد) فالتزم الصمت قليلًا وجعل الوضع يهدأ، وانتظر (حَميد) ليتحدث، ولكنه لم يفعل فتحدث د. (هيثم):

أنا الدكتور بتاعك، لازم تحكيلي على كل حاجة يا (حَميد).

صمت (حَميد) قليلًا قبل أن يجيب د. (هيثم) والكلام يخرج منه بصعوبة شديدة وكأنه مرغم على الكلام:

فيه واحدة جارتنا قابلتها من فترة واتكلمنا مرتين تلاتة كده بس لما بشوفها بحس بإحساس كويس.

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه (هيثم)، ولكنه أخفاها بسرعة حتى لا يلحظ (حَميد) الأمر، ظَلَّ (حَميد) يصف (جميلة) وعمَّا حدث لها وعن الحالة التي تصيبه حين يراها، لم يشعر (حَميد) بنفسه وهو يتكلم عنها، فظلَّ يتحدث كثيرًا وذكر مواقفهما سويًّا ولم تكن تلك من عادات (حَميد) حتى استغرب د. (هيثم) من الأمر وبدأت علامات القلق تصيبه فاستوقف (حَميد) يسأله:

ممكن تصورها وتبعتلي الصورة نتأكد منها؟

هنا اتسعت عينا (حَميد) وأخذ يرمق د. (هيثم) بنظرات

غضب وكأنه سينقض عليه، ولكنه كظم غيظه وأخرج من جيبه علبة ورقية صغيرة بها قطعة من بسبوسة (جميلة) ونهض (حَميد) من كرسيه قائلًا:

دي البسبوسة بتاعتها، دوقها وأنت تعرف أنها حقيقية.

أمسك د. (هيثم) بالعلبة وهو متعجب، ولكنه فتح العلبة وأخذ يتذوق البسبوسة بالقشطة لتلمع عيناه وهي تذوب داخل فمه وهو يستمتع بطعمها الذي لم يجد له مثيل من قبل، لقد أحبَّ (جميلة) هو أيضًا دون أن يعرفها بسبب تلك البسبوسة.

غادر (حَميد) عيادة د. (هيثم) وهو منشغل التفكير في جزء من كلام د. (هيثم) عن الأشخاص الذين يريدون تجنيده أو يراقبونه، وحينها تذكَّر مقابلته السابقة مع د. (سمير).

يعلم (حَميد) من هو د. (سمير عبد العليم)، ولكن سبب دهشته هو ما الشيء الذي قد يجمعه مع دكتور فلك وعلوم فضاء، يقف (حَميد) أمام الباب مستغربًا فبدأ د. (سمير) حديثه قائلًا:

ممكن أتكلم مع حضرتك كلمتين بسرعة وهمشي؟

أجابه (حَميد) بصوت رزين:

اتفضل.

دخل د. (سمير) إلى منزل (حَميد) وهو يتأمله يتفقد الحالة التي يتواجد عليها المنزل، وما إن وجد الأريكة في غرفة الجلوس حتى توجَّه إليها وجلس، ليلحقه (حَميد) ويجلس في الكرسي الذي يقابله وهو ينظر له في انتظار ما سيقوله د. (سمير). بدأ د. (سمير) كلامه مع (حَميد) قائلًا:

الموضوع اللي أنا جايلك فيه محتاج هدوء وتركيز، وأهم حاجة أنك تصدقني.

ازداد الأمر غموضًا وازداد شغف (حَميد) في معرفة الأمر وانتظر د. (سمير) ليكمل حديثه فتابع قائلًا:

تعرف دكتور (يحيى فهيم)؟

لم يكن الاسم معروفًا لدى (حَميد) فأشار لـ (سمير) بالنفي

فتحدث (سمير):

هحكيلك حكاية سريعة مش هتاخد من وقتك كثير وممكن تفهم قصدي.

بدأ (سمير) في الكلام والرجوع بالزمن إلى أكثر من خمسين عامًا، كان هنالك طبيب شاب يُدعى (يحيى فهيم)، كان أصغر طبيب يحصل على لقب الدكتوراه في علم الأجنة وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره، كان مشهورًا في جميع المقاطعات آن ذاك، وكان الجميع يقصده للعلاج وتقديم المساعدة.

يجلس (حَميد) لا يفهم ما دخله بكل تلك الأمور وأنها لا تهمه، ولكن أكمل د. (سمير) حديثه موضحًا أن د. (يحيى) قد قام على مر السنين بإجراء بعض التجارب على الأجنة التي كان يشرف على متابعة حالتهم، فلقد كان يعطي الأمهات بعضًا من جرعات الأدوية على أنها فيتامينات أساسية لها أثناء الحمل، ولكنها في الحقيقة كانت عقاقير محسنة للعقل البشري.

هنا بدأت علامات الدهشة الممزوجة بالانزعاج تظهر على وجه (حَميد)، لكنه فضَّل متابعة الإنصات إلى د. (سمير) الذي تابع حديثه موضحًا أن د. (يحيى) قام بذلك بعد تأكده من خلو ذلك الأمر من المخاطر على الأمهات وأولادهنَّ، وأيضًا قد قام بمراقبة الأطفال فعلًا بعدما وُلدوا وكبروا قليلًا، ولكنه لم يجد أي تطور ملحوظ على عقولهم، وظن أن الأمر قد فشل، ولكن المفاجأة حدثت عندما اجتاز هؤلاء الأطفال سن البلوغ، وحينها كانت المعجزة، هؤلاء الأطفال أصبحوا من أنبغ الأشخاص في البلاد وأشدهم ذكاءً وأكثرهم دأبًا على العمل وتأثيرًا فيه، لقد تطوَّر عقلهم البشري وأصبحوا أكثر تميُّزًا دونًا عن غيرهم بفضل ذاك العقار الخاص بـ د. (يحيى) الذي ظن أنه قد فشل، ولكنه في الحقيقة لم يفشل، وإنما لم يكن يعلم وقت نجاحه وتأثيره الفعلي على الإنسان الذي كان يخالف تأثيره على الحيوانات.

يستمع (حَميد) لذلك الكلام وهو غير مصدق لما يقوله ذلك

الدكتور المجنون الذي أكمل كلامه قائلًا:

أنا واحد من الأطفال اللي د. (يحيى) جرَّب عليها العقاقير بتاعته وأعتقد أنها نجحت.

هنا تأكد (حَميد) من جنون ذلك الطبيب وبكل حزم أجابه:

ألف مبروك ليك يا دكتور، عايز مني إيه بقي؟

فأجابه د. (سمير) وهو ينظر إليه بحرص:

أنت كمان يا (حَميد) من الأطفال دي.

هنا امتعض (حَميد) من كلام د. (سمير) ونهض من على الكرسي وهو يحدثه بصوت عالٍ:

أنا مش ناقص جنان يا دكتور، وبعدين أنا إيه خلاني قاعد مع دكتور دخل مستشفى المجانين عشان بيقول أنه سافر عبر الزمن.

تغيَّرت ملامح د. (سمير) فجأة وبدا عليه الحزن وهو يجيب (حَميد):

أنا مسافرتش عبر الزمن، هما اللي طلَّعوا عليَّا الإشاعة دي ودخَّلوني بيها مستشفى المجانين، وعمومًا أنا مش جاي أتناقش معاك في مشكلتي، أنا جاي عشانك أنت.

هنا اقترب (حَميد) من د. (سمير) ويبدو عليه الغضب الشديد:

وعايز مني إيه يا دكتور؟ خير؟

أجابه (سمير):

تيجي معايا عشان نعالجك، احنا عارفين حالتك ودكتور (يحيى) عايز يتكلم معاك.

ضحك (حَميد) بصوت عالٍ وهو يسخر من د. (سمير) قائلًا:

دكتور مجنون عايز يخدني لدكتور أجن منه معدي الـ ٨٠ عشان يعالجني!

صمت (حَميد) فجأة واجتذب ياقة قميص د. (سمير) وهو يحدثه:

وبعدين قولي، أنت عرفت حالتي منين؟

أجابه (سمير) وهو يحاول تخليص نفسه:

قلت لك د. (يحيى) كان مراقبكم، ولما عرف أن التطور بيحصل بعد سن البلوغ حاول يكتشف أن كل اللي عمل عليه تجاربه نجحت، هو اللي أنقذك من الانتحار لو تفتكر.

حينها تجمَّد (حَميد) في مكانه وهو يتذكر ذلك الرجل الذي أنقذه وهو نفس الرجل في الصورة التي وجدها في صندوق والدته، حينها بدأت الشكوك تتملكه لا يعلم ماذا يحدث له.

تحرر (سمير) من قبضة (حَميد) وأخذ يكمل حديثه معه:

دكتور (يحيى) عايز يساعدك ويعالجك من مرضك، أنت تعرف لو اتعالجت وبقيت كويس ممكن عن طريقك نعرَّف الناس عن أبحاث د. (يحيى) والطفرة اللي ممكن تعملها العقاقير دي وأنت الإثبات الوحيد حاليًا ليها.

يقف (حَميد) مذهولًا من الكلام ولا يعلم ما الذي تملَّكه وشعر أن عقله بدأ في الاضطراب الشديد، فحاول ترك (سمير) والدخول مسرعًا لغرفته، لكنه تتبعه وهو ما زال يتحدث معه:

دي آخر فرصة لينا يا (حَميد)، أنا طلَّعوني مجنون والباقي طلَّعوهم مجرمين ومسجونين، أنت الوحيد اللي ممكن نثبت بيك المعجزة دي، أنت بس.

دخل (حَميد) في نوبة اضطراب لا يقدر على فعل شيء، جثا على ركبتيه واضعًا يديه الاثنين على أذنه لا يريد سماع المزيد من الكلام، حينها ظهرت له أمه وأبوه أمام عينيه وهما يحاولان الهجوم عليه والفتك به.

حاول (حَميد) تمالك أعصابه والتنفس بالطريقة التي أخبره به د. (هيثم)، وما إن بدأ يلمم شتات نفسه حتى ركض مسرعًا إلى باب منزله يفتحه ويركض على السلالم في حالة يُرثى لها، وما زاد الطين بلة هو نظرات (جميلة) المرتعبة التي ألقتها عليه وهو يركض خارج شقته.

وصل (حَميد) إلى الدور الأرضي ليكتشف أنه ببيجامته

الداخلية حافي القدمين يلهث بشدة فأخرج هاتفه بسرعة من جيبه يتصل بـ (عبد الرحمن) للقدوم بسرعة.

لم يستطع (حَميد) الانتظار أمام منزله فتحرك مبتعدًا عنه وهو يلتفت وراءه يتأكد من أن لا أحد يتبعه، ظَلَّ هكذا حتى هدأ وبدأ يستوعب ما حدث وحالة الهلع التي أصابته، فشعر بالإحراج لسيره حافي القدمين ببيجامته الداخلية في الشوارع، حينها قرر العودة إلى شقته مجددًا مع توخي الحذر والتأكد أنه ليس هناك أحد بالأعلى، وما إن وصل لمنزله الذي وجد بابه مفتوحًا فدخل يفتش بحذر عن د. (سمير) أو أمه أو أبيه فلم يجد أحدًا، فأسرع (حَميد) إلى درج مكتبه يجلب أدويته يتناولها، ثم جلس على الكرسي ممسكًا بهاتفه وقام ببحث سريع عن د. (سمير عبد العليم) ليجد صورًا عديدة له، لقد كان هو من بشقته بالفعل، ولكن لِمَ ظهر له وما سبب ذلك فلم يجد تفسيرًا للأمر.

ظَلَّ (حَميد) يتابع نتائج البحث عن د. (سمير) وكان أغلبها يتحدث عن دكتور الفلك الذي فقد عقله وقد وُضع في مستشفى المجانين بعد أن حاول نشر أخبار كاذبة عن أنه قد استطاع التلاعب بالزمن والتنقل عبر الأزمنة، حينها تذكَّر (حَميد) الاسم الآخر «د. (يحيى فهيم)»، قام (حَميد) بسرعة بالبحث عن اسمه، ولكنه لم يجد شيئًا يُذكر، كل النتائج لا تمت بذلك الاسم بأي شيء ولا توجد حتى صورة واضحة له، تذكر (حَميد) الصورة التي تركتها له أمه وهو طفل رضيع ويقف بجانبهم الطبيب فانتفض مسرعًا يرتدي ملابسه وجذب الصورة من على المكتب وخرج من منزله مسرعًا ليجد (عبد الرحمن) قد وصل فأخبره (حَميد) وهو يأمره:

خليك هنا استناني، هروح مشوار وهرجعلك تاني.

اندهش (عبد الرحمن) من منظر (حَميد) وسرعته في التحرك التي لم يعتدها، ولكن سرعان ما أجاب بصوت هادئ:

حاضر.

اعتاد (عبد الرحمن) على تصرفات (حَميد) غير الطبيعية

فدخل إلى شقة (حَميد) وجلس على الأريكة وفتح التلفاز ينتظر (حَميد).

انطلق (حَميد) بسيارته إلى منزل أبيه، ما إن وصل حتى ركض مسرعًا إلى منزلهم القديم وأخذ يطرق باب المنزل كثيرًا حتى خرج البوَّاب مفزوعًا وهو يهرول إلى الباب ينظر من القادم، فما إن رأى (حَميد) اندهش وقام بفتح الباب مسرعًا وهو يتحدث لـ (حَميد):

ياه، (حَميد) باشا، مشوفتكش من عمر.

لم يهتم (حَميد) لكلام البواب الذي لم يتغيَّر منذ مولده، لقد تجاوز عمره الستين عامًا وما زال يعمل لديهم وفيًّا للمكان، أكمل (حَميد) ليجد أباه قد خرج من المنزل ليكتشف ما الذي يحدث بالخارج ليجد (حَميد) يُسرع في اتجاهه وهو يمسك بصورة في يده ويرفعها في مستوى وجه أبيه الذي أُصيب بدهشة لما يفعله (حَميد)، ولكن (حَميد) باغته بسؤال سريع:

مين الدكتور اللي في الصورة ده؟

صمت أبوه لا يستوعب ماذا يحدث، ولكن (حَميد) قرَّب الصورة أكثر إلى وجه أبيه وهو يسأله مجددًا:

اسمه إيه الدكتور ده؟

حاول أبوه أن يستجمع ذاكرته ليجيب (حَميد) وبدا عليه الاجتهاد وفجأة تذكر ولمع اسمه أمامه وأجاب حَميد:

آه، اسمه (ماهر) على اسمي، افتكرته.. هو اللي ولِّد مامتك.

ما إن سمع (حَميد) الاسم حتى هدأ قليلًا وبدا عليه الارتياح، لقد كان يعلم أن ما يحدث له من وحي الخيال، ولكنه أراد التأكد، ولكن أبوه استكمل حديثه قائلًا:

كان أول مرة نقابله يوم ولادتك وكنا قلقانين جدًّا، بس د. (يحيى) طمِّنا وقالنا إنه دكتور ممتاز وفعلًا كان ممتاز.

سرت رعشة داخل جسد (حَميد) وخفق قلبه بشده واستدار يواجه أبيه يسأله:

دكتور (يحيى) مين؟

أجابه أبوه:

دكتور (يحيى فهيم)، هو كان اللي بنتابع معاه أول حمل لوالدتك.

لم يتمالك (حَميد) نفسه وبدا عليه الانزعاج الشديد وارتسمت علامات الغضب على وجهه، لاحظ والده الأمر وحاول الاستفسار عن الأمر قائلًا:

فيه إيه يا ابني، إيه اللي حصل؟

لم يُعِر (حَميد) سؤال أبيه أي اهتمام وسأله سؤال آخر:

معاك صورة للدكتور ده؟

أجابه أبوه وهو في حالة ذهول:

لا، كل صورك مامتك بعتتهالك.

فوجَّه (حَميد) سؤالًا آخر إلى أبيه:

الدكتور ده كان بيديكوا دوا معين من عنده وقالكوا ده فيتامينات؟

ما زالت الدهشة تتملك وجه أبيه الذي لم يستطع الإجابة على ذلك السؤال بعد مرور زمن كبير للغاية على ذلك الأمر، فوجه (حَميد) سؤالًا آخر:

مكان عيادته كان فين؟

أجابه أبوه:

دكتور (يحيى) ولِّدك أنت بس، ومعرفناش نلاقيه تاني عشان نتابع مع إخواتك، وقتها كان غيَّر مكانه.

امتعض (حَميد) من تلك الإجابات وترك أباه وغادر منزله وسط نداءاته لتفسير ما يحدث، ولكن دون جدوى، فقد غادر (حَميد) المنزل عائدًا إلى منزله وهو يفكر في كلام د. (سمير) وكلامه عن د. (يحيى)، هل هو حقيقة أم عقله هو من أنشأ الأمر برمَّته؟ وهل أرسل د. (يحيى) ذاك الطبيب (ماهر) لينقذه من الانتحار مثلما أرسل د. (سمير) إليه.

عاد (حَميد) إلى منزله ليجد (عبد الرحمن) يتحدث في

الهاتف وهو يجيب المتصل بكل أدب وحماسة، يبدو أنه العميد (سعيد)، ما إن أنهى (عبد الرحمن) حديثه حتى نظر إلى (حَميد) وهو يخبره:

حمدالله على السلامة يا أفندم، مقولتليش أنت جايبني ليه، خير؟

لم يجبه (حَميد) على ذلك السؤال، ولكنه وجه له سؤالًا آخر:

العميد (سعيد) كان عايزك ليه؟

أجابه (عبد الرحمن):

فيه عملية سطو على هايبر ماركت على الطريق السريع بس صاحب المحل قتل الحرامي وعايزني هناك اكتب تقرير بالحادثة.

لم يعقب (حَميد) على الأمر، فقام (عبد الرحمن) بجمع أشيائه واستعدَّ للمغادرة وهو يودع (حَميد)، ولكنه فجأة تذكَّر شيئًا فوقف يحدث حَميد:

آه، أنا كلت حتة من البسبوسة اللي كانت على الترابيزة يا أفندم، أنا عمري ما كلت بسبوسة بالحلاوة دي، حضرتك بتجيبها منين؟

نظر له (حَميد) وهو يشير له بيده للخروج قائلًا:

روح شوف القضية اللي قالك عليها العميد (سعيد) يا (عبد الرحمن).

انسحب (عبد الرحمن) في هدوء وتوجَّه للباب يفتحه، حينها شعر (حَميد) بشيء من الخوف، ماذا لو تكرَّر له ما حدث مجددًا وهو بمفرده في المنزل، لا يريد أن يظل وحيدًا في تلك الفترة فنادى على (عبد الرحمن) وهو يغلق الباب قائلًا:

استنى يا (عبد الرحمن) أنا هاجي معاك.

وصل (حَميد) و(عبد الرحمن) إلى مكان الحادث، تقدَّم (عبد الرحمن) إلى المكان حيث كان هو المسؤول عن تلك القضية وتبعه (حَميد) وهو يفكر في الخروج مما استحوذ على

عقله، يريد الهروب مما حدث له وعن تذكر ذلك اللقاء الوهمي الذي حدث مع الدكتور (سمير عبد العليم)، يحاول إنكار ما حدث، ولكن عقله يجذبه بشدة إليه للتفتيش والبحث فيه، اتَّجَه (حَميد) ليلحق بـ (عبد الرحمن) يلازمه، فقد شعر ببعض الأمان وهو بجانبه.

ما إن دخلا من باب المتجر حتى وجدا جثةً ملقاةً والدماء منتشرة في المكان بكثرة مع وجود زجاجات كحول مهشمة وقد سال الكحول في الأرجاء، وبجانب ذلك يتولى رجال البحث الجنائي عملهم؛ يتفحصون الجثة ويجمعون الأدلة، ولكن ما إن رأوا (عبد الرحمن) حتى نهض أحدهم متَّجها إليه يوضح له الوضع وأن المُتوفَّى قد أُصيب بطلق ناري وحيد استقر في منتصف رأسه وقد انطلقت الرصاصة من على بعد حوالي ١٠ متر وهي سبب الوفاة.

استمع (عبد الرحمن) لفني البحث الجنائي وشكره واتجه بعدها إلى مفوِّض الشرطة الذي تلقَّى بلاغ السرقة والذي كان يقف وبجانبه رجل ضخم عريض يقف متجهِّمًا، عرف (عبد الرحمن) نفسه للشرطي وطلب منه شرح ما حدث فقام الشرطي بسرد ما حدث.

تم الهجوم على المكان بواسطة ملثمَيْنِ أحدهما يحمل سلاحًا ناريًّا والآخر أعزلًا، ما إن دخلا توجَّه المثلم الذي يحمل السلاح إلى مالك المحل الأستاذ (بدير) الذي كان في أحد ممرات المتجر موجهًا له السلاح وفي حضور ابن المالك المقدم (خالد بدير) الذي تصادف وجوده في المكان لمساعدة والده، أما الملثم الآخر فقد وقف أمام المحل يراقب الوضع ويؤمنهم من الخارج ويمنع أي شخص من الدخول.

دفع الملثمُ المسلحُ (بديرَ) ليجلب له المال وسط ترقب من ابنه (خالد) الذي فضَّل عدم التدخل بعدما رأى المسدس الموجه لرأس أبيه، دخل (بدير) إلى مكان تواجد الخزينة حيث كان يقف (خالد) وأمره بإخراج المال منها، كانت الخزينة مليئة بالمال حيث كانت السرقة مساءً وكانت تقارب الـ ٨ آلاف جنيه، وهي حصيلة اليوم بأكمله، تباطأ (بدير) في إخراج المال

وبدأ السارق يوجِّه السباب له وهو يلوِّح بالمسدس باتجاهه، ولكن حينها تدخَّل (خالد) ودفع والده جانبًا وأخرج المال وأعطاه للسارق، ولم يكتفِ السارق بذلك، فقد لاحظ كيسًا أسود بجانب الخزينة فطلب من (بدير) إعطاءه إياه وهو يصرخ في وجهه، فقام (بدير) بتمريره إليه لينظر به السارق ويضحك وهو يخبر صديقه الذي ما زال يراقب الباب الخارجي قائلًا:

الكيس فيه رزم فلوس يلا.

ثم قام السارق بقذف ذلك الكيس إلى صديقه الذي أخذ يسرق بعضًا من زجاجات الكحول القريبة منه وهو سعيد، حينها بدأ الملثم المسلح في التراجع للخلف وما زال مصوِّبًا مسدسه تجاه رأس (بدير)، وبمجرد أن حرَّك المسدس يوجهه نحو (خالد) وبحركة خاطفة أخرج (خالد) مسدسه الخاص وأطلق رصاصة واحدة سريعة استقرَّت في رأس السارق ليسقط قتيلًا، ما إن رأى الملثم الآخر الأمر حتى رمى الكيس الأسود وزجاجات الكحول من يده وانطلق هاربًا.

سمع (حَميد) رواية ذاك الشرطي فلمعت عيناه، لديه الكثير من التساؤلات عن تلك الرواية، فهو يشعر بعدم منطقية في سردها، حينها تقدَّم (عبد الرحمن) للمقدم (خالد) ليتعرف عليه ويستوضح ما حدث له هو وأبيه. تحدَّث المقدم (خالد) وأوضح أنه ضابط سابق بالقوات النظامية وقد كان من أحد القوات الخاصة النوعية، ولكنه خرج مؤخرًا من الخدمة بعد إصابته إصابة بالغة في إحدى قدميه أثناء إحدى العمليات الخاصة وقد توجَّه للعمل في إحدى شركات الأمن الخاصة ويساعد والده أيضًا في متجره الخاص لبعض الوقت ليلًا إن أتيح له الوقت، ولسوء حظ السارقَيْنِ فقد تواجدا وقت تواجد (خالد)، هنا تدخَّل (حَميد) من الخلف وهو يتحدث قائلًا:

أنا عايز أشوف الكاميرات.

تعجَّب الحاضرون من طريقة حديث (حَميد) فتدارك (عبد الرحمن) الأمر يعرفهم بـ (حَميد) قائلًا:

المقدم (محمد حَميد)، من قسم البحث الجنائي.

صمت الجميع فأعاد (حَميد) سؤاله:

تسجيل الكاميرات فين؟

تحرك الشرطي إلى غرفة جانبية وتبعه الجميع وأولهم (حَميد) الذي أخذ يشاهد الفيديو بتفحص ومن خلفه (عبد الرحمن) يحاول معرفة ما يجول في خاطر (حَميد)، حينها استكمل الشرطي حديثه قائلًا بأنهم قد تعرَّفوا على القتيل ويدعى (إبراهيم محمدي) وشهرته (محمدي) وهو مجرم له عدة سوابق سرقة بالإكراه وترويع مواطنين ويسكن في أقصى المنطقة الجنوبية لمدينة الكرمة، أما الملثم الآخر فجاري البحث عنه والتعرف عليه، هنا تحدث (حَميد) قائلًا:

مسيحي.

فاندهش الجميع فأشار (حَميد) لهم على الكاميرات عندما مدَّ الملثم الآخر يده لالتقاط الكيس الأسود فظهر صليب صغير على جانب يده، هنا أخرج الشرطي جهازه اللاسلكي ليبلغ عن تلك المعلومة سريعًا واستمر (حَميد) في مشاهدة التسجيل مجددًا ومعه (عبد الرحمن) الذي تفطَّن لشيء مهم من إعادة جزء معين من التسجيل.

اتَّجَه (حَميد) إلى المقدم خالد يحدثه:

الكيس الأسمر ده كان فيه إيه؟

أجابه (خالد):

فلوس مديونية كانت على والدي وكان رايح يدفعها لصاحبها.

كان (بدير) مدينًا بالكثير من الأموال لبعض التجار الذين يوردون له البضائع وتراكمت عليه الديون الكثيرة، وتدخَّل (خالد) عدة مرات للتشفُّع له عند التجار وإعطائه مدة إضافية لتوفير الأموال ولكن دون جدوى، كانت الديون تزداد أكثر، وحينما يسأل (خالد) أباه عن إهداره للأموال يجيبه بأنها تُصرف على العلاج وعلى زوجته الجديدة التي تطلب منه الكثير من الأموال لنفسها وللبيت، وقد تحصَّل (بدير) في ذلك اليوم على ٨٠ ألف جنيها من أحد أصدقائه لسد مديونية

بعض التجار، ولكن لسوء حظه قد تم السطو على المتجر وكادت تضيع الأموال ليزداد الطين بلة وتتضخم الديون أكثر، الأمر الذي جعل (خالد) يغلي بداخله عندما لاحظ السارق الكيس الأسود الذي يحتوي على المبلغ الكبير، كان يظن أن السارق سيهتم بالمبلغ بالخزينة فقط، ولكن كان الأمر أكبر، ولذلك أصبح على أهبة الاستعداد وما إن أخفض السارق سلاحه حتى انطلقت رصاصة استقرت في منتصف جبهته وسط ذهول الجميع.

يستمع (حَميد) و(عبد الرحمن) إلى كلام (خالد) وحينها تغيَّرت نبرة (عبد الرحمن) مع (خالد) وهو يسأله باندفاع:

مين تاني يعرف أن والدك خد فلوس من صاحبه؟

أحسَّ (خالد) بنبرة هجومية في سؤال (عبد الرحمن)، ولكنه بكل هدوء وثبات أجابه:

معرفش، هو قالي النهارده لما كلمني آجي أساعده في السوبر ماركت.

تدخل (حَميد) في النقاش ليسأل (خالد):

كان إيه سبب المكالمة بالضبط، ممكن تقولي بالتفاصيل؟

أجابه (خالد):

كلمني قالي إنه تعبان شوية ومحتاجني عشان فيه بضاعة هتتورد والمساعد اللي معاه إجازة النهارده.

عاد (عبد الرحمن) بنبرته الهجومية مجددًا يسأل (خالد):

السلاح اللي معاك ده بتاع مين، مش أنت طلعت من الخدمة؟

بنفس الثبات وضبط النفس أجابه (خالد):

أنا طلعت معاش طبي من فترة قصيرة لإصابة في الركبة، بعد أما خرجت اشتغلت في شركة أمن والسلاح ده مرخص باسمي تبع الشركة.

تحدث (حَميد) بسرعة وهو يسأل (خالد):

والدك يعرف أنك معاك سلاح؟

اندهش (خالد) من السؤال وأجاب:

معرفش أنا مقولتلوش ومعتقدش أنه يعرف، بس ليه؟

ساد الصمت قليلًا المكان فاقترب (عبد الرحمن) من (حَميد) وأخذ يهمس في أذنه يقول:

(خالد) ده مش مريحيني، مش عارف حاسس إن الموضوع فيه إن.. ولا حضرتك شايف أنها عملية سرقة عادية؟

صمت (حَميد) وهو يستجمع بعض الأفكار داخل رأسه وهو يخبر (عبد الرحمن) وهو يتجه إلى الكاميرات مجددًا:

(بدير) هو السبب.

اندهش (عبد الرحمن) من كلمة (حَميد)، ولكنه لحق به مسرعًا ومن خلفهما (خالد) الذي سمع اسم والده وأنه سبب لشيء ما لا يعرفه، دخل (حَميد) إلى غرفة التسجيل ليعيد تشغيل الفيديو المسجل ويشرح لـ (عبد الرحمن) ما قد يكون قد حدث وقت الجريمة بداية عندما دخل المجرم المسلح إلى المتجر، حينها لم يتفاجأ (بدير) بشدة لما يحدث رغم أن هناك مسدسًا موجَّهًا لرأسه، ولكنه تفاجأ بالملثم الآخر ووجَّهَ نظره إلى ذاك الشخص الآخر الواقف على الباب يؤمنه، لم يكن يهتم بأمر ذلك المسلح أبدًا وبعدها حينما طلب المسلح الأموال لم يوجه مسدسه ناحية (خالد) وهو الذي يقف على الخزينة والأولى أن يخرج هو الأموال، ولكن السارق دفع (بدير) على أن يخرج هو الأموال لأنه يريده هو بالذات أن يفعل ذلك، رفض (بدير) إخراج الأموال من الخزينة أمر قد يكون طبيعيًّا عند بعض الأشخاص وإظهار بعض المقاومة، وفي الأخير قام (خالد) بدلًا عن أبيه بإخراج هو الأموال تجنُّبًا لتطور الأمور، ولكن غير الطبيعي أن يمرر بدير الكيس الأسود الذي يحتوي على ٨٠ ألف جنيه بكل سلاسة وبساطة للسارق دون أن يرفض مثلما فعل مع أموال الخزينة، حتى إن السارق قام بدس الـ ٨ آلاف جنيه في جيبه، أما كيس الـ ٨٠ ألف قام برميها إلى زميله الواقف أمام الباب.

يقف (عبد الرحمن) و(خالد) لا يستوعبان ما يُقال، لم تصل

فكرة (حَميد) إليهما بعد، ما مغزى الشرح الذي قاله (حَميد) وما هو مقصده؟

استدار (حَميد) لـ (خالد) يسأله:

أنتم فيه هنا سلاح مرخصينه للمحل؟

أومأ (خالد) بالإيجاب وتحرَّك للخارج نحو القائم المجاور للخزينة وأخذ يتحسس سقف ذلك القائم بحثًا عن المسدس، ولكنه لم يجده، هنا نظر له (حَميد) قائلًا:

أعتقد أن توقعي جزء منه صحيح.

اقترب (عبد الرحمن) من (حَميد) يحدثه بصوت خفيض:

ممكن تقولي يا باشا أنت بتفكر في إيه؟

لم ينصت إليه (حَميد) ولم يجبه واقترب من (خالد) ينظر له في عينيه وهو يخبره:

هسألك كذا سؤال وترد عليا بسرعة.

اندهش (خالد) من طريقة (حَميد)، ولكنه أومأ إليه بالإيجاب، فتحدث (حَميد) سريعًا يسأله:

شوفت الفلوس اللي كانت في الكيس الأسود بنفسك؟

فأجابه (خالد):

لأ.

فتابع (حَميد):

تعرف مين سلِّف والدك الفلوس دي؟

فأجابه (خالد):

لأ.

فسأله (حَميد):

فيه حد ممكن يستأمن والدك على الفلوس ويسلفها له؟

هنا صمت (خالد) ولم يجب، فنظر له (حَميد) منتظرًا إجابته فخرجت الكلمات ثقيلة من فم (خالد):

على حد علمي لأ، محدش هيسلفه عشان الكل عارفه.

توقَّف (حَميد) عن إلقاء الأسئلة وارتسمت ابتسامة خفيفة

على وجهه وقد لاحظها (خالد) و(عبد الرحمن).

شرح (حَميد) لـ (خالد) أن تلك العملية برمَّتها من تخطيط والده (بدير) لسبب لا يعلمه حتى الآن، هناك اتفاق مسبق مع السارق المسلح أن يهجم على المتجر في وجود (خالد) مع غياب كل عمال المتجر.

لقد اتفقا على سرقة الكيس الأسود والذي يحتوي على المال كما أخبر (بدير) ابنه (خالد) أنه قد استلفهم من أحد أصدقائه لسداد ديونه والتي بنسبة كبيرة ما هي إلا أموال مزيفة.

لم تسِر الأمور كما خطط لها (بدير)، فلقد غدر به السارق ولم يقتنع بالأموال المزورة فقط، بل أراد أن يحصل على المال الحقيقي الموجود بالخزينة، كما أنه قام باصطحاب أحد أصدقائه الآخرين يؤمِّن له المكان حتى ينتهوا، ولذلك ظَلَّ (بدير) يرمقه بعينيه.

أراد (بدير) أن يتم سرقة الكيس الأسود في وجود (خالد) لسبب ما، ولكن الخطة خرجت عن مسارها تمامًا بجهل (بدير) عن أمر مسدس ابنه (خالد)، لقد تولَّى أمر إخفاء سلاح المتجر، ولكنه لم يكن يعلم أن ابنه قد تسلَّم سلاحًا آخر من عمله الجديد.

سادت الدهشة على وجه (عبد الرحمن) من تفسير (حَميد) ولم يقتنع به وظن أن تفسيره تلك المرة قد أخطأ وابتعد عن الصواب تمامًا، ولكن لم تمر لحظات حتى تحدث (خالد) قائلًا:

بابا بقاله فترة بيكلمني أنه محتاج فلوس التعويض الطبي اللي خدته من شغلي عشان يسد ديونه، بس أنا عارف أنه كان هياخدهم ويصرفهم على حياته الشخصية ومش هيسدد ديونه، بس هو كان على طول مصمم أنه ياخدهم مني.

تفاجأ (عبد الرحمن) لما قيل وبدأت الصورة تتضح بعض الشيء، هل دبر (بدير) الأمر لإقناع ابنه أنه تم سرقته وأنه يحتاج لأمواله حينها؟! أي تفكير شيطاني هذا؟! ولكن كل هذا انقلب عليهم جميعًا بعد مقتل المسلح، والسؤال الآن هو

أين (بدير) وأين سلاح المتجر؟ ما زال الأمر مجرد تكهنات قد أخرجها (حَميد) للتفكير بها وكانوا يحتاجون إلى دليل ملموس لكل ذلك وهي الأموال الموجودة في الكيس الأسود والتي أخذها (بدير) عندما رحل من المتجر بعد تلك الحادثة متحجِّجًا بأنه ليس على ما يرام وكان يحتاج للعودة للمنزل، وبالفعل بعدما انتهت الشرطة منه رحل وأخذ معه الأموال.

بدأت التخيلات تدور داخل مخيلة كلٍّ من (عبد الرحمن) و(خالد) فيما هو قادم، فـ (عبد الرحمن) توقَّع أن الملثم الآخر سيسعى في أخذ ثأر صديقه الذي تُوفِّي، لذلك فإن حياة (بدير) في خطر إن كان قد اتفق معهما على تلك الخطة فعلًا، أما (خالد) فقد ظن أن أباه رجل عصابات بعدما خطط لذلك الأمر وأنه سوف يثأر من ذلك الملثم حتى لا يترك خلفه دليلًا لما خططه، أما (حَميد) فجلس يحاول محاكاة تفكير (بدير) وعما سيفعله وظن أن شخصيته غير إجرامية، ولكنها تلجأ للخداع، لذا فهو سيحاول حل الموضوع بأبسط الطرق الممكنة حتى إنه قد يرشي ذلك الملثم الآخر بالمال حتى لا يتكلم عن الأمر في مقابل عدم الإفصاح بشخصيته للشرطة.

ما زال الجميع يفكر حتى ارتفع صوت (عبد الرحمن) وهو بداخل غرفة الكاميرات وهو يقرب الصورة أكثر وأكثر على يد الملثم الآخر ليصيح قائلًا:

الواد ده مش مسيحي، الواد ده تبع عصابة الحورانية، ده الوشم بتاعهم.

كانت عصابة الحورانية هي من أعنف العصابات في البلاد ويتمركزون في أقصى جنوب مدينة الكرمة ومعظم أنشطتهم يمارسونها في شمال مدينة السويلية، يمتلكون العديد من المجرمين الذين يعملون لصالحهم، وولاؤهم وإخلاصهم لهم، كان نشاطهم الأساسي في صالات القمار والألعاب المحرمة المعتمدة على الرهانات، وازدادت سمعتهم سوءًا بعد توليهم مراهنات قتالات الموت وازدياد قوتهم وبطشهم، ويبدو أن (بدير) متورط معهم بأمر من تلك الأمور وكان أقربهم المقامرة بسبب كل تلك الأموال التي يصرفها دون أن يسدد ديونه.

ما إن علم (حَميد) ذلك فتراجع عن رأيه وعلم أن رأي (عبد الرحمن) هو الأقرب للصواب، (بدير) في خطر كبير ومن الممكن أن يتم التخلص منه.

حاول (خالد) الوصول إلى هاتف أبيه، ولكنه لم يجب. أحس بالخطر على والده وأنه قد أقحم نفسه في أمر كبير للغاية، وشعر هو أيضًا بالخوف، فهو من قام بقتل ذلك المجرم، فهل ستسعى العصابة وراء عائلته؟! حينها طلب (خالد) من (عبد الرحمن) توفير حماية كاملة لأسرته حتى انتهاء الأمر، وبالفعل نفذ (عبد الرحمن) الأمر له.

انطلقت سيارة بحث جنائي تجوب المدينة متجهة إلى منزل (بدير) لإنقاذه قبل الفتك به، كان (عبد الرحمن) هو من يقود وبجانبه (حَميد) قد أصابه بعض التوتر، فهو غير معتاد على المطاردات أو اصطياد المسلحين، أذاع (عبد الرحمن) عبر الراديو عن إرسال دعم سريع إلى منزل بدير وملاقاتهم هناك.

وصل (حَميد) و(عبد الرحمن) إلى منزل (بدير) وقد ارتدى كل منهما سترته الواقية وبدآ يتحسسان طريقهما لدخول منزل بدير، وما إن وصلا إلى الباب حتى ألقى (عبد الرحمن) نظرة سريعة من الزجاج ليجد حفنة من الرجال بالداخل متجمعين حول كرسي في منتصف غرفة ويسددون ركلاتهم وضرباتهم إلى ذاك الشخص الجالس على الكرسي، لقد وقع (بدير) في يد عصابة الحورانية، لم يمضِ الكثير حتى قام الرجال بحمل (بدير) وهو حي وينزف دماء من مواضع كثيرة واتجهوا به إلى باب المنزل يغادرون، حينها اختبأ (عبد الرحمن) و(حَميد) خلف إحدى الشجيرات واتفق (عبد الرحمن) مع (حَميد) أنه سينقض على رئيسهم ويهدده بسلاحه على أن يهتم (حَميد) بمراقبة الآخرين وتأمين الطريق الخلفي لهم، حاول (حَميد) استوقاف (عبد الرحمن) وانتظار الدعم، ولكنه أخبره حينها ستكون العصابة قد غادرت المكان ولن يجدوا (بدير) حيًّا بعدها.

ما إن خرج قائد تلك المجموعة حتى انقض عليه (عبد

الرحمن) موجهًا مسدسه نحو رأسه ويخبر كل من معه بإلقاء أسلحتهم ودفعها نحوه، ذُهل الجميع مما حدث ومن سرعة (عبد الرحمن)، ورضخ قائدهم وطلب من رجاله الانصياع للأمر ورمي أسلحتهم وقد فعلوا ذلك بالفعل، كل ذلك ولم يتحرك (حَميد) وظَلَّ واقفًا متسمِّرًا يده ترتعش وهو يحاول التحكم بنفسه وإحكام قبضته على سلاحه فلا يستطيع، حينها خرجت عدة طلقات من الخلف جاءت من إحدى السيارات التابعة للعصابة لتصيب إحداهنَّ جانب (عبد الرحمن) وتسقِطه أرضًا و(حَميد) ينظر للأمر وهو مرتعد مما حدث.

انبطح الجميع عندما سمعوا صوت الطلقات وبدؤوا يتلوُّوا على الأرض محاولين الفرار بعدما توالت دفعات الأعيرة النارية ولم تمضِ ثوانٍ حتى بدأ إطلاق النار الكثيف بعد وصول أول سيارة دعم محمَّلة بأفراد البحث الجنائي مدججين بالسلاح، يحاول (حَميد) جمع شتات نفسه والاتجاه إلى (عبد الرحمن) للاطمئنان عليه، ولكنه وجد نفسه يهوي على الأرض غير قادر على الحركة وهو يمسك مسدسه يصوبه على أحد أفراد العصابة الذي كان في مرمى تصويبه المباشرة، ولكنه لم يقوَ على الضغط على الزناد، وبدأ يبكي فجأة وينتحب مع ازدياد الطلقات من كل حدب وصوب، حاولت العصابة الفرار، ولكن بعض أفرادها سقطوا من طلقات رجال البحث الجنائي، كل هذا و(عبد الرحمن) ملقًى على ظهره لا يتحرك ولا يستطيع (حَميد) الوصول إليه.

وسط كل تلك الطلقات خرج أحد الأشخاص يتمشى بخطوات ثابتة نحو (حَميد) يقترب منه، وما إن وصل إليه حتى جثا على ركبتيه وهو يمسك بوجه (حَميد) ويمسح دموعه ويبتسم في وجهه ويربت على ظهره بحركة دائرية رقيقة، نظر (حَميد) إلى ذلك الشخص ليجده والده قد أتى إليه مبتسمًا وهو يكلمه بكل عطف قائلًا:

أعتقد أن هو ده الوقت المناسب يا (محمد)، إخواتك مستنيينك.

ثم أشار بيده إلى الشارع المقابل ليجد (علي) و(كريم) وأمه

يلوحون إليه بيدهم ويدعونه للقدوم. ما إن رآهم (حَميد) حتى سرت رعشة قوية بجسده ولم يستطع التحكم به، ولكن أبوه أخبره:

يلا يا (محمد)، كلنا منتظرينك.

أمسك (حَميد) بمسدسه وصوبه نحو رأسه وهو يبتسم لأخويه ويضغط بإصبعه على الزناد.

# (٨)

# انفرط العقد

يجلس (حَميد) على أحد الكراسي في مكتب العميد (سعيد) الذي يبدو من ملامح وجهه أنه يستشيط غضبًا، ينظر إلى (حَميد) نظرات لوم وغيظ لم يرها (حَميد) من قبل، أما (حَميد) فيجلس وهو صامت واضعًا وجهه في الأرض لا يستطيع مواجهة العميد (سعيد) بعد ما حدث.

ساد الصمت المكان لفترة قبل أن يتحدث العميد (سعيد) قائلًا:

تقدر تقولي إيه اللي أنا سمعته ده؟

علم العميد (سعيد) بما حدث وأن (حَميد) كان على وشك أن يفجر رأسه بطلقة من مسدسه لولا أن مسدسه كان على وضع الأمان واندفاع أحد ضباط قوة الدعم إليه يسحب منه المسدس بعدما وجده في حالة يرثى لها ويداها ترتعشان وجسده ينتفض مما يحدث حوله، كما علم أنه ترك (عبد الرحمن) مصابًا دون أن يحاول مساعدته واكتفى بالاختباء خلف إحدى الشجيرات وهو ينتحب، (عبد الرحمن) الذي طلب منه الحماية ها هو الآن بين الحياة والموت بسببه بعدما أُصيب بطلق ناري في جانبه ولم يتم إسعافه بسرعة وأصبحت حياته في حالة حرجة للغاية.

لم يُجِب (حَميد) على العميد (سعيد) فصاح به العميد (سعيد) بصوت عالٍ للغاية:

فيه ضابط بحث جنائي بيخاف من ضرب النار يا سيادة المقدم؟

ثم طرق بيده على المكتب بقوة محاولًا إخراج غضبه في أي شيء أمامه، كل ذلك وما زال (حَميد) صامتًا منكسرًا لا يجد ما يقوله، لتتوالى كلمات اللوم عليه من العميد (سعيد):

أمال بيقولوا مقدم (حَميد) أفضل ضابط في قسم البحث الجنائي على إيه؟ (عبد الرحمن) هيموت بسببك يا بيه.

لم يجد (حَميد) أي كلام ليقوله، فقد علم أنه إن تكلم فسيزيد الطين بلة وسيسوء الوضع أكثر، فلزم الصمت وظَلَّ يستمع إلى كلام العميد (سعيد) الذي توجَّه إلى مكتبه يحمل التاب الخاص به ويسير به في اتجاه (حَميد) وهو يقول:

أنا اللي غلطان، كان لازم أخد قرار أول ما شوفت الفيديو.

ثم اقترب من (حَميد) يريه الفيديو الخاص به وهو في السلم الخلفي لشركة الأمن وتلك الحركات الغريبة التي قام بها.

رمق (حَميد) الفيديو بطرف عينيه وحينها علم أن كل شيء يتهاوى من حوله، لقد انكشف وأصبح الوضع أكثر سوءًا ولم يكن أمامه سوى انتظار القرار الذي حاول تجنبه منذ زمن بعيد، ولكن العميد (سعيد) سيصعبه عليه بأسئلته العدوانية التي يطلقها عليه:

تقدر تقولي إيه معنى الفيديو ده، أنت بتتعاطى إيه يا سيادة المقدم عرفنا؟

لم يجب (حَميد) فاستنشاط العميد (سعيد) أكثر وهو يطرق بيديه على الكرسي الذي يجلس عليه (حَميد) بقوة وهو يردد:

جاوبني يا (حَميد)، بتشرب إيه يخليك تعمل كده؟

ما زال (حَميد) صامتًا لا يجيب، فعلم العميد (سعيد) أنه لا فائدة مما يفعله فأنهى حديثه معه قائلًا:

أنا كلمت الوزارة وصدر قرار بإحالتك للتحقيق وسحب الشارة منك وسلاحك لحد أما التحقيقات تخلص.

ثم نادى العميد (سعيد) على أحد الضباط ليدخل ويصطحب (حَميد) إلى غرفة المعمل الجنائي لسحب عينة دم منه قبل السماح له بمغادرة قسم البحث الجنائي.

نهض (حَميد) من الكرسي وكانت كلتا قدميه خدلتين فكاد يهوي على الأرض لولا مساعدة الضابط الذي لحقه قبل الوقوع وساعده للخروج من المكتب والتوجه إلى المعمل لإجراء ذلك التحليل، وما إن انتهوا حتى غادر (حَميد) قسم البحث الجنائي وهو مرتعب مما هو قادم.

قبل الرجوع لمنزله عرج (حَميد) إلى مستشفى الوزارة حيث تم نقل (عبد الرحمن)، وصل إلى هناك يحاول الاستفسار عن حالة (عبد الرحمن)، ولكنه وجده ما زال في غرفة العمليات وجميع الأطباء بالداخل يحاولون إسعافه بشتى الطرق الممكنة، ووجد هناك والدة (عبد الرحمن) تجلس تبكي عمَّا حدث لابنها وبجانبها شابة صغيرة تنهمر في البكاء هي أيضًا دون انقطاع، (هالة)، خطيبة (عبد الرحمن) فهي مثل الوصف الذي وصفه (عبد الرحمن) له، لقد كانت تجمعهما قصة حب منذ زمن وكانت ستكلل بالزواج قريبًا، ولكن الآن يبدو أن الأمور أصبحت صعبة المنال، ينظر إليهما (حَميد) وقد شعر أن المكان يضيق عليه يوجهه ناحية والدة (عبد الرحمن) وخطيبته أكثر وأكثر، يراهما تتحركان بالحركة البطيئة، الدموع على وجهيهما تنزل ببطء شديد، يحاول (حَميد) النظر فلاحظ اختفاء كل الناس من حوله ولم يتبقَّ أمامه سوى والدة (عبد الرحمن) وخطيبته، لقد أصبح أمامهما مباشرة لا يفصل بينهما سوى قبضة يد، حاول التخلص من ذلك الوضع، ولكن قوى خفية هي ما تتحكم به، حينها صاح أحد الممرضين بـ (حَميد) قائلًا:

حضرتك مينفعش تفضل واقف قدام مكتب الاستعلامات كده، ممكن ترتاح على الكرسي.

خرج (حَميد) من شروده ونظر لوالدة (حَميد) فوجدها ما زالت جالسة بعيدة عنه وأخذت ترفع يدها تدعو لابنها أن يخرج سالمًا.

غادر (حَميد) المشفى وهو يشعر بضيق كبير يملأ صدره، فهو المتسبب في إصابة (عبد الرحمن) بسبب نوبة الذعر التي تملَّكته، لم يستطع حماية ذاك الشاب الصغير الذي شعر معه ببعض الأمان والطمأنينة، أما الآن فهو ضائع هائم لا يعلم ما سيحدث له، اتَّجه إلى سيارته وهو لا يعلم إلى أين يذهب، وبعد أن ترك نفسه لعقله، قرر الذهاب إلى بيت أبيه، سيبيت الليلة ولأول مرة منذ سنين طويلة في منزلهم القديم.

وصل (حَميد) إلى منزل والده، وما إن رآه والده في حالته تلك حتى علم أن ابنه يمر بمحنة عصيبة، لم يره أبدًا ضعيفًا

مثلما يراه الآن، لم يحاول والده التحدث إليه أو الاستفسار منه عمَّا يحدث، فقد فضل أن يتركه على حريته وإفساح المجال له ليرتاح، فقط أخبره أنه سيعد له الطعام وسيجهز له غرفته ليبيت بها.

توجه (حَميد) إلى الحمام ليستحم وهو ما زال يتذكر (عبد الرحمن) وما حدث له ونظرة أمه الحزينة وبكاءها الشديد، لا يستطيع محو تلك المشاهد من مخيلته، استمر (حَميد) كثيرًا وهو بالداخل فانتبه والده للأمر فطرق الباب عليه يحدثه:

الأكل جاهز يا (محمد).

انتبه (حَميد) بأنه قد أطال الاستحمام، حتى إن المياه قد تحوَّلت من الساخنة إلى الباردة دون أن يشعر، فقام بغلق الصنبور وخرج ليجد ملابس جديدة قد أعدَّها له والده فقام بارتدائها وانضم إلى والده على سفرة الطعام، حيث وجد أن أبيه قد أعدَّ قطعة من الاستيك الفاخر الذي كان يشتهر بشوائه منذ أن كان (حَميد) صغيرًا، يبدو أنه لم يفقد مهارته حتى الآن.

جلس (حَميد) مع والده يتناول الطعام، كان الأكل شهيًّا للغاية، لم يتناول (حَميد) قطعة لحم مثل تلك منذ زمن بعيد، كان والده بارعًا في إعدادها بطريقة تتفوق على أفخم المطاعم العالمية، ظَلَّ الصمت سائدًا حتى كسره والده قائلًا:

أنا دورتلك على روشتات والدتك الله يرحمها القديمة، ولقيت روشتات د. (يحيى) فهيم، هي اللي جنبك على الترابيزة دي.

نظر له (حَميد) باستغراب فأكمل والده مبتسمًا:

أنت عارف أبوك مبيرميش ورقة.

ثم ساد الصمت مجددًا وحينها تحدث (حَميد) يسأل والده:

مش هتسألني أنا جيت هنا ليه؟

أجابه والده:

لما تكون عايز تتكلم أكيد عارف أني هسمع لك.

صمت (حَميد) مجددًا وأكمل طعامه، وما إن انتهى حتى نهض واتجه إلى والده وألقى قبلة على جبينه، وما إن انتهى حتى انفجر والده في البكاء وهو جالس، فنظر له (حَميد) بضعف شديد وهو يراه يبكي بشدة فاقترب منه يربِّت على كتفه وهو يقول:

سامحني.. سامحوني كلكم.

لم يستطع (حَميد) المكوث في منزل أبيه أكثر من ذلك، فتوجَّه إلى مكان الورقة المطوية على الطاولة أخذها وغادر المنزل متجهًا إلى منزله.

قارب الوقت على بزوغ النهار عندما وصل (حَميد) إلى بيته، ما إن صعد إلى طابقه حتى وجد باب شقة (جميلة) يُفتح وهي تنظر خلسة عمن هو قادم، ما إن رأت (حَميد) حتى فتحت الباب وتحركت باتجاهه ويبدو عليها علامات القلق الشديد، لاحظ (حَميد) قدومها بلهفة عليه مرتدية فستان أحمر قصير وقد صففت شعرها بطريقة رقيقة لأول مرة يراها بها، شعر (حَميد) بشيء من الطمأنينة لتواجدها بجانبه فنظر لها وهو يبتسم، فقامت (جميلة) باندفاع شديد باحتضانه وهي تبكي وسط ذهول من (حَميد) وهو يبعد يديه عن جسم (جميلة) التي ما زالت تحتضنه بقوة وهو لا يصدق ما حدث.

ظلَّت (جميلة) على تلك الوضعية لفترة كبيرة حتى حاول (حَميد) التملص منها فرفعت (جميلة) رأسها لتنظر لـ (حَميد) والدموع قد ملأت وجهها وهي تحدثه:

أنا كنت قلقانة عليك جدًّا لما شوفتك الصبح وأنت خارج من شقتك.

تذكر (حَميد) ذلك الموقف عندما هرب من شقته بعدما أُصيب بنوبة هلع بسبب د. (سمير). حاول (حَميد) تهدئة (جميلة) وجعلها تبتعد عنه قليلًا، وبالفعل أرخت (جميلة) يديها من على (حَميد) ورجعت للوراء خطوتين، وما إن رآها (حَميد) حتى خفق قلبه بعدما وجد عينيها مليئة بالدموع وقد تورَّدت وجنتيها فازدادت جمالًا.

طمأن (حَميدُ) (جميلةَ) وأخبرها أنه أصبح على ما يرام وأنه قد أُصيب بنوبة فجائية حيث مر بيوم صعب للغاية ويحتاج للراحة فقط، تبسَّمت (جميلة) بعدما استمعت لكلام (حَميد) وبدا عليها الفرحة وعرضت عليه إعداد الطعام السريع له، ولكنه أخبرها أنه قد تناول الطعام منذ فترة قصيرة، فاندفعت إلى شقتها تركض أمامه بفستانها الأحمر الأنيق وهي تحدثه:

طب استنى أجيب لك حتة بسبوسة تحلي بوقك بيها.

ينظر (حَميد) لـ (جميلة) وهي تركض وقد شعر بأن شيئًا خفيًا يربطها بها، لقد تعلَّق بها دون أن يشعر ويحتاجها بجانبه طوال الوقت، فأخذ يسأل نفسه، هل يحمل مشاعر حب تجاه (جميلة) أم ما الذي يحدث له؟

أخذ (حَميد) البسبوسة من (جميلة) وشكرها ودخل إلى بيته كي يرتاح وهو ينظر إلى (جميلة) التي أخذت تبتسم له وهي تتمايل ببطء بفستانها الأحمر، وبدون مقدمات قامت بطبع قبلة على يدها وأرسلتها إليه عبر الهواء، ثم التفَّت راكضة نحو باب شقتها وتغلقه وراءها، كل ذلك وسط دهشة (حَميد) مما تفعله معه (جميلة).

استيقظ (حَميد) في اليوم التالي وهو يشعر بضيق شديد وحزن دفين بداخله، لا يوجد لديه ما يفعله بعدما تم تحويله للتحقيق، وأيضًا الشخص الوحيد الذي كان يسأل عنه أصبحت حياته على المحك، نهض (حَميد) من سريره واتجه إلى هاتفه يحدث أحد أفراد البحث الجنائي يسأل عن (عبد الرحمن) فأخبره ذاك الشخص أنه قد خرج من العمليات ووُضع في العناية المركزة بعد أن لوحظ بأن حالته غير مستقرة وأنهم جميعًا يدعون له بالشفاء.

أغلق (حَميد) هاتفه واتجه إلى المطبخ يعد بعض الطعام، وهو يتحرك داخل الشقة لمح بعينه الورقة التي أعطاها له والده بالأمس، روشتة د. (يحيى فهيم) القديمة ومدون عليها عنوانه، يعلم بأنه قد غيَّر عنوانه بعد ولادته، لذا فكان من الصعب إيجاده في ذلك العنوان، ولكن ماذا لديه ليخسره فلا

يوجد شيء آخر ليفعله، لذا قام بتناول فطوره واستعد لزيارة مكان عيادة د. (يحيى) القديمة.

وصل (حَميد) إلى العنوان المدون على الروشتة وأخذ يبحث عن رقم العقار حتى وجده، يبدو أنه قد تم تجديده قريبًا وأصبح يحمل الطابع الحديث، توجه (حَميد) إلى حارس العقار يسأله عن عيادة د. (يحيى فهيم) فأجابه الحارس بأنه لا يعلم أي شيء عن ذلك الطبيب بالرغم أنه يعمل في العقار لما يقرب من ٢٠ عامًا ولم يكن هنالك عيادة بهذا الاسم، فشكره (حَميد) وانصرف، ولكن بعد دقائق قليلة وجد (حَميد) ذلك الحارس يركض باتجاهه وهو يلوح له قائلًا:

يا خوي، افتكرت.. د. (يحيى فهيم).

هنا تغيَّرت ملامح (حَميد) وشعر ببصيص من الأمل، اقترب منه حارس العقار وهو يخبره:

أنا سمعت الاسم ده من زميلي اللي قبل مني وممكن يدلنا على مكان الدكتور ده، سيبلي أنت رقمك وأنا لما أعرف عنوانه هكلمك.

حينها أخبره (حَميد) برقمه فسأله الحارس:

نتشرف باسم حضرتك.

فأخبره (حَميد):

المق... اسمي (محمد حَميد).

انطلق (حَميد) في طريقه ورجع الحارس إلى العقار مجددًا ودخل غرفته وأخذ يفتش في أوراق لديه حتى عثر على كارت في أحد الأدراج وقد كان لأحد ضباط الشؤون الأمنية، أمسك الحارس بالكارت واتصل بالرقم المدون عليه ليجيبه الشخص بصوت غليظ قائلًا:

مين؟

فأجابه الحارس:

أيوه يا باشا، أنا (منعم) حارس العمارة ٥٦، حضرتك فاكرني؟

أجابه الضابط في اقتضاب:

عايز إيه؟

فأجابه الحارس:

فيه حد جه سأل على د. (يحيى فهيم) يا باشا، أنتم كنتوا بتعدوا عليا كل مدة تسألوا إن كان حد سأل عليه أو هو شخصيًّا جه، النهارده فيه واحد جه يسأل عليه وأنا عملت زي ما أنتم طلبتوا بالضبط، خدت رقمه وقلت له هبقى أكلمه وكلمت حضراتكم على طول.

هنا أجابه الضابط:

هبعتلك حد ياخد منك البيانات.

أغلق الضابط المكالمة ثم اتصل من مكتبه على رقم داخلي ليجيبه أحدهم قائلًا:

أيوة يا (شريف).

فأجابه (شريف):

جالي تليفون عن واحد سال على (يحيى فهيم) وبعت أجيب البيانات الخاصة بيه يا أفندم.

أجابه الرجل:

أول ما تجيب البيانات تجيبهالي وأنا هدخل أبلغ سيادته.

أغلق الرجل الهاتف ونهض مسرعًا خرج من مكتبه وتوجَّه لباب مجاور له يطرقه بلطف شديد طرقة واحدة وانتظر كثيرًا حتى جاءه الرد بالدخول، ما إن دخل الرجل حتى تقدَّم بهدوء وهو ينظر بنظره للأسفل يتحدث قائلًا:

فيه واحد سأل عن (يحيى فهيم) سيادتك، و(شريف) هيجيب كل بياناته معاليك.

استدار الرجل بكرسيه ليظهر ببذلته السوداء الفاخرة وهو ينظر للرجل أمامه يحدثه:

المعلومات دي تجيلي في أسرع وقت.

أجابه الرجل بسرعة:

أوامر معاليك.

فسأله الرجل ذو البذلة السوداء:

فيه أخبار عن (علي) و(عزيز) في الواحة؟

أجابه الرجل:

لسه يا أفندم، أنا بتابع الموضوع كل دقيقة، لو فيه جديد هبلغ حضرتك لحظتها.

ثم تحرك الرجل مسرعًا ليخرج من المكتب ويغلق الباب بهدوء شديد.

اتَّجَه (حَميد) إلى المشفى مجددًا حيث يوجد (عبد الرحمن) ورغب في رؤيته، لكن كل الزيارات كانت ممنوعة لأن حالته ما زالت حرجة وغير مسموح لأحد بدخول العناية المركزة، ظَلَّ (حَميد) فترة في المستشفى حتى وجد أن جلوسه لن يفيد بشيء فقرر الرجوع إلى منزله.

في قسم البحث الجنائي دخل أحد الفنيين إلى مكتب العميد (سعيد) يعرض عليه التقرير الخاص بـ (حَميد)، لم يكن هنالك أية عقاقير أو مخدرات بجسده، كل المؤشرات طبيعية ولا يوجد ما يثير الشبهات تجاهه، فتعجَّب العميد (سعيد) عمَّا يحدث مع (حَميد) وماذا حدث له، وحينها طلب من أحد أفراد الأمن بإبلاغ (حَميد) بميعاد بدأ التحقيقات معه بالوزارة.

أغلق (حَميد) الهاتف بعدما تم إبلاغه بميعاد التحقيق واتجه لإعداد وجبة الغذاء، وحينها سمع صوت صراخ عالٍ وشديدٍ صادرًا من شقة (جميلة)، لقد عاد زوجها مجددًا لمضايقتها، حينها غلى الدم في عروق (حَميد) الذي ركض ليجلب سلاحه، ولكنه تذكَّر أنه قد سُحب منه فتوجه مجددًا إلى المطبخ يسحب سكينًا كبيرًا ويتوجَّه إلى الباب يفتحه بقوة ويركض لينقض على الرجل الواقف أمام شقة (جميلة) يطعنه بالسكين في صدره، ثم تركه تنهمر الدماء منه وهو يصرخ من الألم، وتوجَّه إلى (جميلة) التي كانت طريحة الأرض بفستانها الأحمر الجميل، فنزل (حَميد) إليها يحتضنها وهو يحاول طمأنتها أنه قد أزال عنها معاناتها، حينها انضم طفلان إليهما وقاما

بمعانقة (حَميد) أيضًا، اندهش (حَميد) مما يحدث فـ (جميلة) لم تخبره أن لديها أطفال ولم يرهما من قبل في شقتها، رفع (حَميد) وجهه متفحِّصًا الطفلين ليجدهما (علي) و(كريم) أخويه ينظران إليه بكل عطف وحنان ويحتضانه مبتسمَيْنِ، لا يعلم (حَميد) ماذا يحدث ولماذا يتواجدون هنا، نظر إلى (جميلة) وفستانها الأحمر فتذكَّره، أنه يشبه فستان أمه لدرجة كبيرة، لِمَ ترتديه (جميلة) ولِمَ تنظر إلى (حَميد) بابتسامة غريبة، هل تلك نظرة تشفٍّ؟، ترمقه بشدة حتى انطلقت من فمها ضحكة عالية كأنها ضحكة انتصار، ماذا يحدث له ولماذا تتحول ملامح (جميلة) تدريجيًّا أمام عينيه لتتحول إلى أمه.

زادت ضربات قلب (حَميد) وبدأ في التوتر، وحينها سمع صوت حارس العقار وهو يصيح بالخارج:

يا خبر أسود، الحقوووونا.

واندفع لداخل الشقة ليجد (حَميد) يفترش الأرض وملابسه قد امتلأت بالغبار الكثيف الموجود عليها، فأسرع يساعده على النهوض قائلًا:

إيه اللي حصل يا (حَميد) باشا، مين قتل الراجل اللي برة ده.

أجابه (حَميد) بصوت متقطع:

كان عايز يقتل (جميلة) وأنا أنقذتها.

فسأله الحارس:

(جميلة) مين يا باشا؟

فأشار (حَميد) بإصبعه إلى الأرض وهو يقول:

(جميلة)، أهي.

ابتعد الحارس عن (حَميد) وهو مرتعب وأخذ ينظر إليه بذعر وخرج مسرعًا ليجد أحد الجيران يقف بجوار الرجل المصاب يسأل الحارس عمَّا حدث فأجابه:

الأستاذ (محسن) صاحب الشقة جه يبص عليها، طلعت

لقيت (حَميد) باشا ضربه بالسكينة وبيشاور لي على واحدة مش موجودة.

حضرت الإسعاف بسرعة ونقلت الرجل المصاب بسرعة إلى أحد المستشفيات، أما (حَميد) فقد حضر قسم البحث الجنائي لمعاينة الحادث وتم القبض عليه بتهمة الشروع في القتل.

أثناء التحقيق، تسرب خيط من الدخان الكثيف من شقة (حَميد)، فأسرع (منعم) الحارس يدخل شقته ليخرج بعدها بثوانٍ وهو يحمل صينية في يده وهو يقول:

صينية بسبوسة اتحرقت في الفرن.

تم القبض على المقدم (حَميد) بعد اتهامه بالشروع في قتل الأستاذ (محسن عبد الله) جاره وتم الكشف عليه طبِّيًا وتشخيصه بمرض الفصام الحاد بشهادة طبيبه الخاص د. (هيثم)، لذا تم اعتباره خطرًا على المجتمع وتم إيداعه إحدى المصحات النفسية للعلاج ومتابعة حالته وتم فصله من قسم البحث الجنائي مع عدم تقلد أي وظائف تخص الدولة، وظَلَّ في المشفى سنتين تحت المراقبة الشديدة وتم الإفراج عنه بعدها ليخرج إلى العالم مجددًا، ولكن تلك المرة قد تلقى علاجه كاملًا.

# (٩)

# في المصحة

مرت شهور و(حَميد) بداخل المصحة النفسية، كانت الأمور غير جيدة هناك تمامًا، فلم تمر أيام حتى عُرف بأنه مريض عدواني يجب أن ينال معاملة خاصة من الجميع، لم يكن يرغب في العلاج أو أن تتحسن حالته، لا يريد أن يقترب منه أحد ويعامل جميع العاملين بطريقة آمرة غاضبة، ولكن ذلك لم يكن مسموحًا في المصحة فاضطروا إلى التعامل معه على طريقتهم الخاصة.

حاول (حَميد) في البداية أن يستخدم ذكاءه في المصحة وأن يتعامل مع الأطباء والممرضين على مستوى تفكيرهم المتدني -من وجهة نظره- وبالفعل نجح في خطته من تهرب من تناول أدوية أو تهديد بعض الممرضين بأنه سيقوم بسجنهم إن اقتربوا منه أو حتى استجداء بعضهم لتقليل مدة جلسات الكهرباء، حتى ظهرت نيرس (عطيات) تلك، لا يعلم (حَميد) كيف ارتبط لقب نيرس بـ (عطيات) فهي بعيدة تمامًا عن ذلك اللقب، ليس لاسمها بل لهيئتها الممتلئة المكتظة بالثنيات حيث ملأت الشحوم جسدها في أماكن غريبة غير عادية جعلت جسدها يبدو من بعيد يشبه قطعة أسفنج دائرية امتلأت بالماء فانتفشت، أما وجهها فقد كان متجهمًا دائمًا عابسًا ينشر طاقة سلبية تكفي لجعل كل المرضى يُقدمون على الانتحار، ولكنهم كانوا يخافون منها لذا لم يفعلوا، في الواقع كان الأطباء نفسهم يهابونها ويتجنبون الاحتكاك بها، فلها نفوذ وصلاحيات قد يعادلان صلاحيات مدير المصحة نفسه.

كان (حَميد) يوهم العاملين هناك أنه يتناول أدويته بانتظام، وبمجرد أن يرحلوا حتى يقوم بوضع إصبعه بفمه يتقيأ الأدوية، كان ذلك يجعله يفقد الكثير من الطعام الذي تناوله مؤخرًا، ولكنه في المقابل لن يخضع لتلك الأدوية التي تجعله غير مدرك لما يحدث حوله أو أن يصبح لقمة سائغة لهؤلاء الذين أرادوا أن يرغموه على أن يصبح كالدمية المطيعة لديهم.

كانت علاقة (حَميد) بـ (عطيات) تقتصر على تقييده أثناء جلسات الكهرباء التي يخضع لها كل أسبوع، كانت الرائحة التي تصدر من جسدها تعادل آلام الجلسات الأولى للكهرباء التي حاول (حَميد) احتمالها رغم صعوبتها، ولكن عندما تعاقبت الجلسات نسي (حَميد) رائحة (عطيات) القذرة وأصبح خوفه كله منصب على الكهرباء التي ازدادت قوتها وهي تسري في جسده تجعله ينتفض بقوة غير قادر على المقاومة.

كانت (عطيات) تمر بأحد الأيام على غرف المرضى لتلاحظ بعض القيء المتواجد بجانب مرحاض (حَميد)، ولأنها نيرس مخضرمة فرمقت (حَميد) بنظرة معناها «لقد أمسكت بك أيها الفأر اللعين»، وبالفعل في اليوم التالي كانت هي من تتولى أمر إعطاء الأدوية لـ (حَميد) وبعد أن تناولها وبلعها طلبت منه أن يريها فمه مفتوحًا وهو ما يفعله جميع الممرضين الآخرين ليتأكدوا من بلع المرضى للأدوية، وما إن فعل حتى دست إصبعها الضخم الممتلئ داخل فمه أوصلته إلى بلعومه لينتفض (حَميد) يتقيأ ما قد تناوله في الحال وهو يسعل مشمئزًا مما قد وُضع في حلقه منذ لحظات.

نظرت (عطيات) إلى الممرض الموجود وهي تخبره:

المريض رهيف وبيجيب اللي في بطنه بسرعة.

ثم صمتت للحظات وهي تجفف إصبعها وهي تكمل:

ياخد الدوا ويتكتف نص ساعة لحد أما يتهضم.

يستمع (حَميد) إلى كلام (عطيات) وهو يشعر بغضب عارم مما حدث فلن يستطيع الهروب من تناول الأدوية مجددًا بسبب تلك الحرباء الخبيرة في خدع المرضى التي كشفت حيلته البدائية، رحلت (عطيات) من غرفته ونهض (حَميد) وهو يحاول أن ينسى ما حدث، ولكنه ما إن شعر بطعم شيء أشبه بطعم السمك النتن في حلقه وتذكر إصبع (عطيات) فتقيأ مجددًا.

استمرت المناوشات بين (حَميد) و(عطيات) ووصلت

لطريق مسدود، فقد غضبت (عطيات) بشدة عندما أفسد (حَميد) إحدى وجبات الغذاء للمصحة كلها بعدما ألقى حذائه البلاستيكي داخل إحدى صواني الطعام الكبرى وهي كانت المسؤولة عن توزيع الطعام حينها، وأيضًا اتهامها في إحدى المرات بتلقي الرشاوى من أهالي المرضى لتحسن معاملة المرضى دون عن غيرهم، فكان ردها قاسٍ وعنيف على (حَميد) بعدما تولَّت هي بنفسها الإشراف على كل جلسات الكهرباء الخاصة بـ (حَميد) التي كان يكرهها للغاية، ولكن في وجود (عطيات) ولمساتها الخاصة جعلت تلك الجلسات أشبه بخروج روحه من جسده كل مرة.

يجلس (حَميد) في حديقة المصحة حيث كان ذلك يوم الزيارات، لم يرغب (حَميد) في الخروج أيام الزيارات حيث كان المكان يعج بالناس وهو لم يكن يحب ذلك، ولكنه أُرغِم أن يظل في الحديقة وسط الحشد حتى وإن لم يزره أحد منذ أن دخل المصحة. ولكن ذلك اليوم جاءه ضيف عزيز على قلبه ثقيل في لقائه مجددًا.

صباح الخير يا أفندم.

نظر (حَميد) لذاك الشخص بلهفة فهو يعلمه من صوته، إنه (عبد الرحمن) يقف أمامه مبتسمًا وهو في كامل صحته، لا يبدو عليه آثار الحادث ولا يبدو عليه الغضب من (حَميد) مما فعله معه، بل اقترب من (حَميد) وعلى وجهه علامات السعادة لرؤيته، فمد له يده يسلم عليه وسط ذهول من (حَميد) الذي جاءه أخيرًا شخص ليزوره بعد أشهر عدة.

جلس (عبد الرحمن) بجانب (حَميد) على المقعد الخشبي وبدأت علامات الخوف تتسلل إلى (حَميد) الذي نادى على أحد الأطباء المشرفين على الزيارة يسأله:

يا دكتور (عامر)، أنا فيه حد قاعد جنبي؟

اقترب الطبيب من (حَميد) مبتسمًا وهو يجيبه:

آه يا (محمد)، شاب جميل قاعد جنبك ولابس قميص وبنطلون ونضارة شمس.

كان وصف الطبيب مطابقًا لما يراه (حَميد) فاطمئن قلبه قليلًا.

أكمل الطبيب حديثه يتحدث بود:

أول زيارة ليك دي يا (محمد) وأتمنى أنها تكون مستمرة.

ثم اقترب الطبيب من (عبد الرحمن) يحدثه:

خلي الباشا يطاوعنا شوية عشان بيكدرنا هنا وإحنا كبار في السن منستحملش.

قالها وهو يبتسم مما جعل (عبد الرحمن) يبادله نفس الابتسامة.

تأكد (حَميد) أن (عبد الرحمن) حقيقي بالفعل وقد أتى لزيارته فبدأ بالتحدث إليه قائلًا:

عامل إيه من وقت ال...

ثم صمت (حَميد)، فأجابه (عبد الرحمن) هادئًا:

الحادثة؟ الحمد لله مع الوقت كل حاجة بقت كويسة.

ثم أكمل (عبد الرحمن):

حضرتك عامل إيه، أنا آسف مقدرتش أزورك قبل كده عشان ظروفي الصحية.

أجابه (حَميد) وهو مندهش من أدب (عبد الرحمن) معه بالرغم من أنه هو السبب في إصابته بطلق ناري:

أنا كويس، أعتقد أني بتحسن.

فرد (عبد الرحمن):

طب الحمد لله، ترجع لنا بالسلامة إن شاء الله.

ساد الصمت لفترة لم يتكلم أحد فيها، فأخرج (عبد الرحمن) هاتفه وقربه من (حَميد) يريه صورة ما وهو يسأله:

تعرف الشخص ده؟

نظر حَميد نظرة سريعة على الهاتف فوجد صورة لـ (عبد الرحمن) مع أحد كبار السن وهما يضحكان سويًا، لوهلة لم يتبين (حَميد) من ذاك الشخص، ولكن عندما أمعن النظر

سرت رعشة في جسده وهو يطيل النظر في الشاشة ولا يتكلم، فتحدث (عبد الرحمن) وهو يعلم أن (حَميد) قد تعرَّف على ذاك الشخص:

ده دكتور (ماهر حسن مصطفى).. والدي.

يستمع (حَميد) إلى ذلك الحديث وما زال لا يستطيع الحديث ليكمل (عبد الرحمن) كلامه:

لو تفتكره، فهو اللي منعك من الانتحار وأنت صغير.

يعلم (حَميد) من ذاك الشخص أتم المعرفة بالرغم من أن ملامحه قد تغيَّرت وقد تملكت الشيخوخة منه إلا أن ملامح وجهه المميزة لم تغب عن (حَميد) ولو للحظة، ولكن الأمر الأهم هو ما علاقة (عبد الرحمن) بهذا الأمر.

تابع (عبد الرحمن) كلامه:

د. (سمير عبد العليم) زارك من مدة في بيتك، بس الزيارة مكنتش لطيفة بالنسبالك.

يزداد خفقان قلب (حَميد) وهو يستمع لما يُقال، لا يستطع الإجابة أو الاستفسار عمَّا يحدث، فقط ينظر إلى الأمام ويستمع إلى حديث (عبد الرحمن) المبهم الذي أكمل:

أنا حبيت آجي أقولك إني مش بلومك على الحادثة اللي حصلت، بالعكس أنا اللي غلطان أني خليتك يحصلك كده وأنت عندك الحالة دي.

رمق (حَميد) (عبد الرحمن) بنظرة تهكمية وهو يقول:

كنت عارف بحالتي كمان، طب الحمد لله أني صعبت عليك.

لم يتوقع (عبد الرحمن) أن يسير الحوار بتلك الطريقة، فـ (حَميد) يجلس لا يبدي أي اعتراض لما يُقال وكأنه قد قرر ألا يتفاعل أو يرغب في معرفة أي شيء مما يحدث له.

أصبح اللقاء غريبًا نوعًا ما فلم يجد (عبد الرحمن) أي استجابة من (حَميد) ولم يوجه أي سؤال له عمَّا يحدث، بل ظَلَّ صامتًا ينظر إلى الحديقة دون حديث فأكمل (عبد الرحمن)

قائلًا:

الكلام اللي قاله لك د. (سمير) حقيقي، وأنا جيت النهارده علشان أأكد لك الكلام ده.

ابتسم (حَميد) ابتسامة كبيرة وهو يرد على (عبد الرحمن) قائلًا:

تصدق فعلًا الدوا بتاعكوا ده خلاني نابغة، مش شايف النوابغ اللي حواليا دول؟!وأشار إلى المرضى النفسيين الذين يحيطون به.

ثم أكمل (حَميد):

أبوك لو كان سابني كان زماني مستريح دلوقت.

أجابه (عبد الرحمن):

كل حاجة بتحصل لسبب، وأنت بقيت أشهر ضابط بحث جنائي، ولولا الحادثة اللي حصلتلك كان زمان الوضع اختلف، بس زي ما قولتلك كل حاجة بتحصل لسبب.

صمت (حَميد) مجددًا فأكمل (عبد الرحمن):

والدي كان صديق د. (يحيى) وهو اللي كان بيشرف على عمليات الولادة، وهو أكتر واحد كان مؤمن بفكرته، حتى لما د. (يحيى) فقد الأمل كان والدي هو اللي متابع الأطفال واكتشف مواهبهم اللي بتظهر بعد سن معين.

التف (حَميد) بجسمه ليواجه (عبد الرحمن) وهو يرمقه بنظرة تهكمية وهو يقول:

أبوك كان مؤمن بفكرة الدكتور بتاعكوا بس مفكرش يجربها على ابنه عشان ممكن تبوظله حياته، لا كان مؤمن فعلًا .

أجابه (عبد الرحمن):

ومين قال إنه مجربهاش عليا؟

فضحك (حَميد) وهو يجيب (عبد الرحمن):

ما أنت كنت شغال معايا، واضح إنه خفف لك الجرعة شوية.

ابتسم (عبد الرحمن) وهو يجيب (حَميد):

(عطيات)؟

تفاجأ (حَميد) لكلام (عبد الرحمن) ونظر إليه نظرة تعجب وهو يستفهم عمَّا يقصده فتابع (عبد الرحمن):

(عطيات) عاملة لك مشاكل؟ الممرضة.

تعجب (حَميد) من قول (عبد الرحمن) وسادت الدهشة على وجهه رغم محاولته إخفائها، فتحدث (عبد الرحمن) مكمِّلًا حديثه وبنبرة سريعة متلاحقة:

ايدك عليها حروق وكدمات وده بسبب جلسات الكهرباء اللي بتاخدها، بس العلامات زايدة علشان محدش بيحطلك المرطب اللي بيخفف آثار الكهربا على إيدك، والكدمات بسبب إنك بتكون متكتف لفترة طويلة أطول من جلسة الكهرباء يعني بتبقى متكتف كمان وأنت في أوضتك، وبرضه معرفتش تغيَّر بنطلونك اللي عليه آثار بول من كذا يوم مع إنك استحميت النهارده قبل الزيارة، يعني محدش غسل لك هدومك أو جاب لك هدوم جديدة تغيَّرها بدل المتوسخة دي، وجزمتك مش متوسخة بالزرع زي باقي المرضى، ده لأنك جيت على كرسي متحرك بسبب الكهربا الزيادة اللي بتاخدها عقابًا ليك اللي الدكاترة متعرفش عنها حاجة، وده بان على الدكتور اللي ابتسم لك بلطف أول ما ندهت له، وده معناه إن مشكلتك مش مع دكاترة، إنت مشكلتك مع ممرض ومش أي ممرض، الممرض اللي ممشي الدنيا هنا وأعتقد أنها (عطيات) اللي قابلتها برة بتلم إكراميات من أهالي المرضى بكل ثقة ومحدش بيعترض على اللي بتعمله.

صمت (عبد الرحمن) للحظة ثم أكمل:

وعلشان أتاكد أن كلامي صح، فالعامل اللي جابك بالكرسي المتحرك لسه واخد إكرامية من أهل مريض بس شوف اللي هيحصل دلوقت.

نادى (عبد الرحمن) على العامل فاقترب منه يخرج من جيبه مبلغًا كبيرًا جعل العامل ينظر له بلهفة، ولكن بمجرد أن نظر إلى (حَميد) حتى تغيَّرت ملامحه ورد على (عبد الرحمن)

قائلًا:

لا يا أفندم احنا هنا مبناخدش فلوس من حد.

ثم نظر حوله وتأكد أن الممرضين قد لاحظوا أنه لم يأخذ المال ثم انصرف، فجلس (عبد الرحمن) وهو ينظر لـ (حَميد) يسأله:

(عطيات)؟

بصوت هادئ متزن أجابه (حَميد):

نيرس (عطيات).

تعجب (عبد الرحمن) وهو يسأل (حَميد):

إيه؟

أجابه (حَميد):

اسمها نيرس (عطيات).

ارتسمت ابتسامة خفيفة على محيًا (عبد الرحمن) وهو يكمل حديثه مع (حَميد):

عايزني أتدخل؟

رد (حَميد) بدون اهتمام:

لا مش هتفرق كتير، سيبني أنا هعرف أتعايش معاها.

صمت الاثنان قليلًا ليتغيَّر أسلوب الحوار من (حَميد) ويسأل (عبد الرحمن):

طالما أنت عندك شاطر كده، ليه أنا بالذات؟

أجابه (عبد الرحمن):

عشان أنت المقدم (محمد حَميد)، كل ضباط البحث الجنائي تتمنى بس تقابله تستفيد منه، كل الناس تعرفك وتعرف مدى ذكائك والقضايا اللي حلتها في كل مكان كنت فيه وكنا محتاجين مساعدتك أنك تكون إثبات فعلي أن التجارب اللي عملها د. (يحيى) ناجحة وأنها فعالة وليها فايدة كبيرة للبشرية.

سأله (حَميد):

وهو فين د. (يحيى فهيم) ده ما هو فص ملح وداب؟

هنا تغيَّرت ملامح (عبد الرحمن) فجأة وهو ينظر لـ (حَميد) بترقب يسأله:

أنت دورت عليه أو سألت عنه؟

أجابه (حَميد):

آه جبت عنوان عيادته القديم وسألت عليه والبواب كان خد رقمي وقال هيكلمني.

تغيَّرت ملامح (عبد الرحمن) للقلق الشديد وهو يسأل (حَميد):

وكلمك؟

أجابه (حَميد):

لا، دخلت المصحة.

تغيَّرت ملامح (عبد الرحمن) وبدأ يتحدث بصوت منخفض دون أن يحرك شفتيه بوضوح:

الراجل اللي قاعد على يميننا لوحده ده بيراقبك، وغالبًا عشان يعرفوا مكان د. (يحيى)، لو أنت مصدقني ومصدق اللي قلته لك فأنا هحتاج مساعدتك قبل ما أمشي.

ثم نظر (عبد الرحمن) إلى (حَميد) ينتظر إجابته وقد أتته بالفعل.

لم تمضِ ثوانٍ حتى نهض (حَميد) من كرسيه وهو يصيح بـ (عبد الرحمن) ليسمعه جميع من بالحديقة قائلًا:

أنا مش محتاج شفقة من حد، مش عايز حد منكم ييجي يزورني تاني، وقول للعميد (سعيد) أن (حَميد) هو اللي نجحه في شغله ودلوقتي باعتلي حتة نقيب عشان يسأل عني، اتفضل امشي وبلغهم مفيش ضابط ييجي يزورني بعد كده.

بدأ عدد من الممرضين يسرعون إليهم ليحاولوا السيطرة على الموقف وتقييد (حَميد)، ولكن (عبد الرحمن) أوقفهم بيده وهو يشهر بطاقته التعريفية في وجههم قائلًا:

النقيب (عبد الرحمن) بحث جنائي، محدش يقرب له.

وقف الممرضون ينظرون لبعضهم البعض، فذلك الأمر لم

يرد عليهم من قبل، فأسرع (عبد الرحمن) لينهي المقابلة وهو يهمس بصوت خفيض يسمعه (حَميد) فقط قائلًا:

عمره ما بينسى أولاده.. هنساعدك.

غادر (عبد الرحمن) المصحة و(حَميد) يفكر فيما قاله (عبد الرحمن)، ويفكر في الرجل الذي يراقبه بالفعل والذي كان يظنه غير حقيقي فلم يشغل بالًا له، ولكنه الآن أيقن أن هنالك شخص حقيقي يتنصت عليه لسبب غير معلوم.

يجلس (عبد الرحمن) في مكتبه يبدو عليه الترقب وانتظار أمرٍ ما، لم يدم الأمر طويلًا حتى طرق الباب ودخل أحد أفراد الحماية وهو يستأذن قائلًا:

المساعد (جابر) معاه واحدة اسمها (عطيات عبد الصادق) برة يا أفندم.

فيجيبه (عبد الرحمن) بهدوء تام:

دخلها لوحدها.

دخلت (عطيات) إلى مكتب (عبد الرحمن) وتتملكها علامات الحيرة يشوبها بعض القلق، فهي لا تعرف سبب حضورها إلى مبنى البحث الجنائي، استقبلها (عبد الرحمن) بأسلوب لين هادئ وهو يشير إليها بأن تجلس على الكرسي الذي أمامه ثم بدأ معها الحديث دون مقدمات:

مزعلة المقدم (محمد حَميد) منك ليه يا (عطيات)؟

هنا تغيَّرت ملامح (عطيات) فجأة وعلمت سبب حضورها للمكان، إنه تهديد له عمَّا تفعله مع (حَميد) في المصحة، وحينها تغيَّر حالها واسترجعت شخصيتها القوية الحازمة وهي تجيب (عبد الرحمن):

يا أفندم مكالمة تليفون كانت أحسن ما تجيبني هنا وسط المجرمين، وبعدين حضرتك بتتكلم عن مريض وجاي يتعالج وبيرفض ياخد العلاج، المفروض إني أطبطب عليه؟

شعر (عبد الرحمن) بأن (عطيات) تمارس سيطرتها خارج نطاق حدودها فشعر بالغضب وكاد أن يغير من وضعية اللقاء،

ولكنه كظم غيظه ورد على (عطيات):

لا طبعًا يا (عطيات) معاكي كل الحق، إنتي لازم تعملي شغلك محدش يقدر يكلمك فيه.

فاعتدلت (عطيات) في جلستها وكأنه ظنت أنها انتصرت في نقاشها مع (عبد الرحمن) الذي أكمل حديثه:

وأنا كمان لازم أعمل شغلي.

تحوَّل وجه (عطيات) فجأة للحيرة مما قيل، فهي لا تعلم ماذا يقصد (عبد الرحمن) فأتبع قائلًا:

محكتلكيش صحيح أنا آسف، مش فيه عصفورة جت وقالت لي إن فيه معلم اسمه (عبد الحَميد الصعيدي) شغال في المخلفات الطبية وعنده معمل تحت بير السلم وبيعيد استخدام المخلفات دي تاني.

هنا تغيَّرت ملامح (عطيات) فجأة وكأنها صُعقت مما قيل ولم تجد ما تقوله، ولكن نظرة (عبد الرحمن) لها بترقب واهتمام جعلتها تتحدث بصوت خائف متقطع:

وأنا إيه علاقتي بالموضوع يا باشا؟

أجابها (عبد الرحمن):

ما احنا لما دوَّرنا لقينا بالصدفة أنك بتطلَّعي مخلفات من المصحة وبتروح لـ (عبد الحَميد)، أنا الصراحة اتفاجأت وقولت استحالة نيرس (عطيات) تعمل كده، دي بتعمل شغلها على أكمل وجه، بس للأسف العصفورة أكدت لي الكلام ده.

ارتفع صوت (عطيات) وهي تجيب (عبد الرحمن) قائلة:

كذب يا باشا ورحمة أبويا في تربته كله كذب.

أجابها (عبد الرحمن):

والله يا خبر دلوقت بفلوس كمان نص ساعة هيبقى ببلاش، رجالتنا راحوا يزوروا المعلم في معمله وهنشوف مين صادق ومين كذاب.

بدأت (عطيات) تتصبب عرقًا من كل جسدها المكتنز وبدأ صدرها يعلو ويهبط بطريقة مرعبة وهي تحاول تمالك نفسها،

فقاطعها (عبد الرحمن) وهو يسألها ببرودة أعصاب:

مش عايزة تقوليلي حاجة؟

انفجرت (عطيات) فجأة وأخذت الكلمات تخرج من فمها متسارعة ليحاول (عبد الرحمن) فهمها:

وربنا ما أعرف يا باشا أنه شغال في المخلَّفات، أنا بديله بواقي الأدوات الطبية اللي مستخدمتش قبل كده.

ثم تابعت:

كل شهر بنعدم الأدوات الطبية اللي مستخدمتش وبتبقى بكيستها وصلاحيتها سارية، بس من قوانين المصحة أنها تتعدم كل شهر قبل ما يدخَّلوا الأدوات الجديدة، أنا بديهم لـ (عبد الحَميد) مقابل قرشين وبوزعهم مع زمايلي وكله بيسترزق، بس وربنا عمري ما طلَّعت مخلَّفات له أبدًا ولا أعرف أنه شغال فيهم.

هنا وقف (عبد الرحمن) وتحرك ببطء حول مكتبه وهو يحدث (عطيات):

طب وده يصح يا (عطيات)؟

أجابته (عطيات):

لا، غلط طبعًا يا باشا، بس والله ما قصدي أأذي حد، وربنا كله بكيسته بتاعة المصنع.

فأجابها (عبد الرحمن):

طب والحل دلوقت، إنتي كده هتتلطي في الموضوع وإنتي بريئة.

أجابته (عطيات):

ورحمة الغاليين عندك يا باشا أنا مليش دعوة بموضوع المخلفات ده، متلبسونيش نصيبة.

أجابها (عبد الرحمن):

احنا هنسلمكم ووكيل كبير القضاة هيشوف قضيتكم إيه.

بدأت عطيات ترتجف وازداد السواد في وجهها سوادًا وأخذت الدموع تتجمع داخل مقلتي عينيها مستعدة للنزول،

وبدأت في استرجاء (عبد الرحمن) ألا يفعل ذلك وألا يقبض عليها، فاقترب منها (عبد الرحمن) قائلًا:

بصي يا (عطيات) عشان أنت شكلك طيبة، أنا هسيبك تروحي، بس لو هما بلغوا عنك أنا مليش دعوة ساعتها.

ما زال القلق يسيطر على (عطيات) التي سألت (عبد الرحمن):

هما ممكن يجيبوا سيرتي لما يتمسكوا؟

أجابها (عبد الرحمن) بكل برودة أعصاب:

طبعًا، مش هايشيلوها لوحدهم، هيبلغوا عن كل اللي تعاملوا معاهم.

لم تعد (عطيات) قادرة على السيطرة على جسدها فأخذ يرتعش من الخوف وكأنها قد تم القبض عليها، فنادى (عبد الرحمن) على أحد أفراد الحماية فدخل عليه الفرد فأخبره بإحضار المساعد (جابر) مجددًا لمكتبه، فخرج فرد الحماية، ولم تمر لحظات حتى دخل المساعد (جابر) بصلعته اللامعة وشاربة الكثيف وعينيه الجاحظة الداكنة وجسده العريض الفارع وهو يؤدي التحية لـ (عبد الرحمن) بصوته الجهوري الذي هز أرجاء الغرفة كلها:

اؤمرني يا (عبد الرحمن) باشا.

فانتفضت عطيات من جلستها وهي مرتعدة من (جابر) ومن صوته وظنت أنه جاء لإلقاء القبض عليها، ولكن (عبد الرحمن) طمأنها بأن المساعد (جابر) سيساعدها للخروج من المبنى، وأوصى (عبدُ الرحمن) (جابرَ) أن يعتني بـ (عطيات) جيدًا حتى تغادر وأن يطمئن حتى تركب سيارة مناسبة توصلها البيت، فهي من تعتني بالمقدم (محمد حَميد) بالمصحة النفسية، فأطاع (جابر) الأمر واتجه إلى (عطيات) يساعدها على النهوض وما كادا أن يخرجا حتى استوقف (عبد الرحمن) (عطيات) وهو متكئ بظهره على طرف مكتبه يحدثها:

مسألتينيش يعني عن العصفورة يا (عطيات)، مش عايزة تعرفيه؟

كانت (عطيات) في حالة شرود ولم تفكر في الواشي الذي وشى بها عند (عبد الرحمن)، ولكنها أجابته متسائلة:

مين يا باشا؟

ضحك (عبد الرحمن) عاليًا وهو يجيبها:

فيه ضابط يفضح الجاسوس بتاعه؟ بس عشان خاطر المقدم (حَميد) فهديكي تلميحة، العصفورة شغال معاكوا ومش عاجبه النظام بتاعك.

فأجابت (عطيات) بعد تفكير بسيط مستنكرة:

سلطان أمين المخزن، الطماع واكل مال النبي؟

ابتسم (عبد الرحمن) أكثر وهو يجيبها:

مش قولتلك مش هينفع أفضح مصادري، يلا مع السلامة، ومتنسيش تسلملينا على المقدم (حَميد).

غادرت (عطيات) ولم تمر دقائق حتى عاد (جابر) بعدما أوصل (عطيات) للخارج يطرق باب (عبد الرحمن) ويدخل المكتب قائلًا:

عايز تعمل معاها إيه يا باشا؟

ابتسم (عبد الرحمن) لـ (جابر) الذي فهم أن (عبد الرحمن) يريده بشيء آخر فأجابه (عبد الرحمن):

هتروح بكرة المصحة تسأل عن (سلطان) ده، وتقوله ييجي مبنى البحث الجنائي عشان عايزه، ولما ييجي مشيه، بس وأنت هناك لازم (عطيات) تشوفك معاه هناك، لازم يا (جابر).

هنا أدى (جابر) التحية لـ (عبد الرحمن) وغادر المكتب ليصيح (عبد الرحمن) مناديًا بصوت عالٍ وهو يقول:

تعالى اطلع يا (سيد).

خرج شخص ما من المرحاض الخاص بغرفة (عبد الرحمن) الذي لم يكن مغلقًا وهو ينظر بعينيه لأسفل ويرفع يده يحيي (عبد الرحمن) فابتسم له (عبد الرحمن) قائلًا:

زي ما وعدتك أهو، (عطيات) عمرها ما هتعرف أنك أنت

اللي بلغت، وبكرة (جابر) هيروح يتكلم مع (سلطان) ده و(عطيات) هتشوفهم، أنت ولا كأنك قولتلي حاجة وهما يصطفوا مع بعضهم.

أجابه (سيد):

هو صحيح يا أفندم (عبد الحَميد) ده شغال في المخلفات الطبية دي؟

أجابه (عبد الرحمن) قائلًا:

والله ما أعرف يا (سيد) بس كويس أنك فكرتني.

رفع (عبد الرحمن) سماعة التليفون الداخلي يحدث أحد الضباط قائلًا:

رائد منعم واحشني والله.. عندي ليك إخبارية عن معلم اسمه (عبد الحَميد الصعيدي).

انتهى (عبد الرحمن) من حديثه مع زميله ليجد (سيد) يتحدث معه قائلًا:

أنا عايز أبلغ حضرتك أن (عطيات) مش وحشة قوي كده يا باشا، هي ممكن اتعاملت بغباء مع الباشا بس هي بأمانة الله هي بتقسِّم الفلوس علينا كلنا بالتساوي وبتراعي ظروفنا لو حصلنا حاجة، ودلوقت هتقلق أكتر ورزقنا هيقل.

نهض (عبد الرحمن) وهو يتجه نحو (سيد) الذي لاحظ تغيُّر وجه (عبد الرحمن) وهو يحدثه:

وأنت قابل تأكل عيالك من مال حرام مسروق يا (سيد)؟

فوضع (سيد) وجهه في الأرض فاقترب منه (عبد الرحمن) واضعًا يده على كتفه يحدثه:

أنا اخترتك ليه بالذات يا (سيد) عشان تحكيلي؟ عشان أول ما شفتك في المصحة عرفت أنك نقي من جوا وبتخاف ربنا وضميرك بيأنبك على اللي بيحصل ده وسرقة المستلزمات الطبية، مش كده يا (سيد)؟

أجابه (سيد) بسرعة:

أيوة يا باشا كله إلا المال الحرام.

ابتسم (عبد الرحمن) وهو يكمل حديثه مع (سيد):

وبعدين ده أنا كنت عايز منك طلب كده ومحدش هيعرف يعملهولي غير (سيد) حبيب قلبي.

اندهش (سيد) من كلام (عبد الرحمن) وأجابه:

عنيا ليك يا باشا اؤمرني.

فأكمل (عبد الرحمن) قائلًا:

فيه مريض دخل المصحة بعد المقدم (حَميد) بكام يوم على طول.. عايز اسمه كامل يا أبو السيد.

اشتدت الأمطار في شهر ديسمبر وأخذت تهطل بغزارة على كل مدن دولة (دونسيار) وقد اختصت مدينة الكرمة بالنصيب الأكبر، لم تتوقف الأمطار أبدًا هناك وعطَّلت الحياة وتوقف كل شيء في انتظار هدوء الأحوال الجوية السيئة، ولكن في خضم كل ذلك توقفت سيارة أمام مصحة الكرمة ولا يعلم أحد كيف نجت تلك السيارة في طقس كهذا.

خرج أحد الأشخاص من السيارة يفتح شمسيته ويستعد للركوض للدخول إلى المصحة، كان ذلك يوم الزيارة الرسمية للمرضى، ولكن لم يأتِ أحد لصعوبة التحرك في ذلك الطقس، ولكن يبدو أن أحدًا لم يكن ليفوِّت زيارة لأحد من أهله.

كانت حركة الرجل ضعيفة هزيلة لم يقوَ على الجري بسرعة نظرًا لسنه الكبير، ولكن بعد مقاومة وإصرار وصل إلى باب المصحة ليبعد الشمسية وملابسه الكثيفة المضادة للماء ويظهر وجهه واضحًا أمام فرد أمن المصحة وهو يخبره:

جاي زيارة للمقدم (محمد حَميد).

تعجَّب فرد الأمن من ذلك الشخص فهو الوحيد الذي أتى للزيارة، ولكنه سرعان ما فتح له بابًا ليدلف منه ليحتمي من الأمطار بالخارج ليدخل الرجل مسرعًا شاكرًا فرد الأمن وهو ينتظر أن يدخل للقاء (حَميد).

أمسك فرد الأمن الهاتف الداخلي وهو يحدث أحد المسؤولين بالداخل يخبره أن هنالك زائر لأحد المرضى، وحينها أمسك

فرد الأمن الهاتف ليسأل ذاك الشخص المسن عن اسمه فأجابه:

(ماهر حَميد).

لم يكن (حَميد) يتوقع تلك الزيارة تمامًا وخصوصًا أثناء ذلك الطقس الغريب، لِمَ أتى والده لزيارته وهو لم يفعلها من قبل، لم يكن (حَميد) يرغب في لقائه، ولكن بعد محاولات عدة من الأطباء المتواجدين وافق أخيرًا وهُيِّئت لهم غرفة مناسبة للزيارة بعدما أصبحت الحديقة بركة ماء لا تصلح لشيء سوى السباحة بها.

جلس (حَميد) على طاولة بلاستيكية طويلة منتظرًا دخول والده الذي دخل وهو يحمل بيده علبة ورقية صغيرة يحتضنها بشدة يحميها من الأمطار، وما إن دخل الغرفة ووجد ابنه حتى توقَّف للحظات وكأنه يراجع نفسه عمًّا يفعله، ولكن لم يدم الأمر طويلًا، فقد دلف للغرفة وأغلق فرد الأمن الباب وراءه ليتركهما بمفردهما.

تقدم (ماهر) ليقترب من كرسي (حَميد) وهو يتحدث بصوت هادئ خفيض:

ازيك يا (محمد)؟

لم يجبه (حَميد) واكتفى بابتسامة ذات معنى وجَّهها لوالده، ليحدثه والده بنفس نبرة الصوت الهادئة: أنا مش جاي عشان أشمت فيك زي ما أنا شايف في عينيك يا ابني.

ثم صمت لفترة وهو يجذب كرسيًّا آخر ليجلس عليه ويصبح في مواجهة (حَميد) ليكمل حديثه وقد تحوَّل وجهه ليملأه حزن دفين:

ومش جاي عشان أساعدك برضه.

ثم صمت مجددًا وساد الصمت لفترة حتى خرجت الكلمات من فم (ماهر) قائلًا:

أنا جاي عشان أطلب منك تسامحني.

رفع (حَميد) مقلتي عينيه وهو يرمق والده بنظرة استنكار

يتخللها تعجب عمّا قاله فتابع والده:

آه أنا جاي عشان أعترف لك، أنا طول الفترة اللي فاتت بقولك اتعالج ولازم تشوف لك حل لمرضك، بس هل سعيت لك أنك تتعالج؟ أبدًا.. ولا مرة.

ثم أكمل:

طول الفترة دي وأنا بكابر ومش عارف بكابر ليه، ولادي كلهم راحوا مني ومعرفتش أعملهم حاجة، حتى ابني اللي عايش معرفتش أتعامل معاه بعد اللي حصل وفضلت أشوف حالته بتسوء أكتر وأكتر وعمري ما فكرت أني أهتم بيه.

ينظر (حَميد) إلى والده الذي ولأول مرة يتحدث معه بتلك الطريقة:

سبتكم واهتميت بالشغل وكنت مفكر أني طالما برجع البيت كل يوم وأتغدى معاكم يبقى أنا كده عملت اللي عليَّا وأب مثالي، بس عمري ما قعدت معاكم أعرف مشاكلكم إيه، بتلعبوا إيه، بتحبوا إيه.

يوم الحادثة لما الضابط سألني (كريم) و(علي) عندهم كام سنة جاوبته غلط.

ثم هربت دمعة من (ماهر) هو يكمل:

حتى بعد أما تُوفُّوا كل اللي أنا عملته أني هربت من البيت وهربت من المسؤولية وسبتكم، بدل ما أحاول أحمي ابني اللي فاضل واللي كان هو أكتر إنسان مقرب لإخواته وفجأة سابوه، كان هو أكتر واحد محتاجني في الوقت ده. لا، أنا سبته وهربت وكمِّلت في الكِبر بتاعي.

كل السنين دي وأنا بكابر يا (محمد) ومش عارف أنا بكابر ليه، والله ما عارف بكابر ليه، كأنك من سني وبعاقبك على حاجة أنت معملتهاش، محدش عمره قعد معاك يعلِّمك حاجة أو ياخدك في حضنه، بالعكس أنت اللي كنت بتعمل كده مع إخواتك بالرغم إننا محدش عملك كده.

بدأ وجه (ماهر) يتشنج ويصدر حركات لا إرادية وكأنه يحاول الانفجار في البكاء ولا يستطيع، وبدأ كلامه يصدر متقطعًا:

كل يوم من بعد الحادثة بسأل نفسي سؤال ومبقدرش أجاوب نفسي عليه.. هو أنا ليه أول ما شوفتكم تحت اليخت ودمكم سايل مفكرتش أنط وراكم زي ما أنت عملت؟ كل يوم بسأل نفسي ومبرضاش أجاوب، بس النهارده هجاوب وأنت سامعني، أنا وقتها حسيت أن الموضوع ميخصنيش وكأن اللي تحت دول مش ولادي، حسيت أنكوا غرباء عني معرفكوش.

وعارف أنا جاي النهارده ليه؟ أنا جاي عشان إنت اللي تساعدني، عشان تسامحني، المفروض أنا اللي أكون في مكانك هنا، أنا المريض مش أنت، أنت عملت زي أي واحد بيحب حد.. مبيسبهوش، إنما أنا مريض سيبتكم وأنتم عايشين وسيبتكم وأنتم ميتين وسيبتك وأنت محتاجلي.

أنا آسف يا ابني، أنا عارف أن أسفي ده ولا له لازمة عندك دلوقت، بس مش عارف ليه حاجة جوايا قالتلي إني أجيلك عشان أقولك آسف.

آسف على كل دقيقة كانت عندي ومقضيتهاش معاكم، آسف على الحمل اللي رميته عليك وخليتك أنت اللي تراعي إخواتك، آسف على هروبي، آسف على معاملتي، آسف إني مهتمتش بيك ولا باللي حصل لك.. أنا آسف يا (محمد).

انفجر (ماهر) في البكاء وظَلَّ ينتحب و(حَميد) أمامه يستمع لما قاله يحاول تمالك نفسه.

نظر (ماهر) لـ (حَميد) وهو يحاول أن يجفف وجهه من الدموع يسأله:

هما موجودين دلوقت؟

ينظر له (حَميد) نظرة شفقة وهو ينظر يمينه ويساره ويجيبه بإيماءة يخبره عن وجودهما، فارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه أبيه وهو يسأله:

بيعملوا إيه.

أجابه (حَميد) بصوت هادئ وهو يشير يمينًا ويسارًا:

(علي) بيلعب بلعبته و(كريم) قاعد بيسمع كلامنا.

زادت ابتسامة والده وهو يقول:

سلملي عليهم وقولهم إنهم وحشوني أوي.

ولم يكمل كلامه حتى انفجر في البكاء مجددًا.

ظَلَّ صوت البكاء هو السائد في المكان، وعندما هدأ قليلًا أكمل حديثه قائلًا:

تعرف يا (محمد) أن في بعض الأوقات كنت بحسدك أنك بتشوفهم وبتتواصل معاهم مع إني عارف إنك تعبان ومحتاج علاج.

ثم ظهرت ابتسامة خفيَّة من (ماهر) وحاول إنهاء حالة البكاء التي تملكته:

صحيح الراجل اللي اتضرب بالسكينة حاولنا أننا نخليه يتنازل عن القضية ولما عرف بحالتك قرر أنه يتنازل، ما فضلش بس إلا أنك تتعالج والمستشفى تخرَّجك على طول.

سأله (حَميد):

لما عرف بحالتي ولا لما اديتله فلوس؟

أجابه والده:

أيًّا كان اللي حصل، المهم دلوقت أنك أنت صاحب القرار في خروجك من هنا.

ثم مرر (ماهر) العلبة الورقية الصغيرة لـ (حَميد) يخبره:

دي بسبوسة بالقشطة، الحاجة الوحيدة اللي عملناها سوا في البيت، أنا اللي عملتها لك بإيدي.

وحاجة كمان حبيت أعرفك بيها، عرفت أنك ضربت الراجل عشان كان بيمد إيده على واحدة اسمها (جميلة)، (جميلة) دي كانت بنت جارنا وصديقتك وأنتم صغيرين جدًّا وأبوها كان بيضربها دايمًا عشان بتقعد معاك، وفجأة لقيناهم عزلوا من جنبنا ومرجعوش من يومها.

ظهرت فجأة لـ (حَميد) ذكرى لمحية عندما أخرج الصور التي أعطاها له والده بعد وفاة والدته وكانت إحدى الصور تضم (حَميد) و(كريم) و(علي) ومعهم (جميلة) أمام منزلهم.

أكمل والده حديثه:

أنا حبيت أعرَّفك المعلومة دي ممكن تساعدك في علاجك.

غادر (ماهر) المصحة وهو سعيد مبتسم وكأنه قد أزال عبئًا كبيرًا من عليه، حتى إنه لم يرتدِ ملابسه المضادة للماء وهو عائد إلى سيارته، فرحل عن المصحة ولم يُستدَل له على مكان بعد تلك الزيارة، لم يظهر منذ حينها هو وسيارته.

في منزل قديم يجلس (عبد الرحمن) ود. (سمير عبد العليم) يتناقشان، ويدخل عليهم رجل مسن كبير ليسرع الاثنان يمسكان بيده يساعدانه على الجلوس، وما إن جلس حتى قام بسؤال (عبد الرحمن):

عملت إيه يا عبده في الراجل اللي بيراقب (حَميد)؟

أجابه (عبد الرحمن):

عرفت اسمه اللي دخل بيه المستشفى وطلع فعلًا ملوش أي بيانات في (دونسيار) مع أن إثبات شخصيته بيقول إنه دونسياري، بس شكلها مزورة، بس مش عارف مين هيزوَّر إثبات شخصية مريض نفسي.

أجابه الرجل المسن:

دي حركات (مختار)، لسه منساش، ومش هيسكت لحد أما يوصل لي.

تحدث د. (سمير):

طب وهنعمل إيه يا دكتور (يحيى)، كده كل الخطط بتبوظ مننا، د. (علي الشريف) و(عزيز) ومطلوبين في مدينة الواحة، وأنا طلَّعوني مجنون، و(حَميد) دخل المصحة واتطرد من الخدمة، وأنت (مختار) رجع يدوَّر عليك تاني.

أجابه د. (يحيى) قائلًا:

المهم نساعد أولادنا اللي في خطر يبقوا في أمان الأول، وبعد كده نفكر في موضوع (مختار) وموضوعي.

**بعد خروج (حَميد) من المصحة النفسية.**

رن جرس شقة (حَميد) فتوجه إلى الباب يفتحه ليجد أمامه

أحد الأشخاص الغرباء والذي ابتسم في وجه (حَميد) وأخذ يحدثه:

حضرتك أنا دكتور (فايز إبراهيم) تسمح لي أتكلم مع حضرتك شوية؟

أخرج (حَميد) هاتفه وقام بتصوير (فايز) الذي اندهش مما يحدث، أرسل (حَميد) الصورة عبر الواتس آب ليأتي له الرد من (عبد الرحمن) برسالة قائلًا: «آه فيه شخص موجود يا أفندم».

اطمأن (حَميد) واعتذر لـ (فايز) عمَّا فعله وسمح له بالدخول، جلس (فايز) على الأريكة وبدون مقدمات تحدث:

احنا عايزين حضرتك تحقق في قضية سفاح ستوكهولم.

اندهش (حَميد) من طلب (فايز) وأجابه بهدوء:

حضرتك أنا برة الخدمة من زمان، ممكن حضرتك تروح قسم البحث الجنائي وهما هيساعدوك.

فقاطعه (فايز):

أنا عارف حضرتك كويس، إحنا عايزين محقق خاص يطلَّع صديقي من القضية اللي واقع فيها.

نظر له (حَميد) نظرة ترقب وهو يستمع إلى باقي التفاصيل في اهتمام.

## إلى اللقاء في رواية سفاح ستوكهولم

في مكتب أمني يجلس الرجل ذو البذلة السوداء وأمامه شاشة كبيرة يظهر عليها (حَميد) وهو بداخل المصحة النفسية، وأثناء جلسة للصدمات الكهربائية جرى ذلك الحوار.

أحد الأشخاص:

تعرف د. (يحيى فهيم) يا (حَميد)؟

أجابه (حَميد) وهو غير واعٍ:

آه.

فسأله الشخص:

**تعرف مكانه؟**

**فأجابه (حَميد):**

**لا .فسأله الشخص:**

**طب تعرف حد يعرف مكانه؟**

**أجابه (حَميد):**

**آه، د. (سمير عبد العليم) .**

**تمّت.**